

٢١٥

مِنَ المسرح العالمي

السُّحُب - ١

تأليف: أريستوفانيس

ترجمة وتقديم أدبي د. احمد عتمان

مراجعة وتقديم تاريخي د. عبد اللطيف أحمد علي

الجزء الأول

١- المقدمة التاريخية

٢- المقدمة الأدبيّة

أول أغسطس ١٩٨٧

تصدر عن
وزارة
الإعلام
الكويت

مسلسلة من المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

حمد يوسف الرومي

الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة

د. طه محمود طه

أستاذ الأدب الانجليزي الحديث - جامعة الكويت

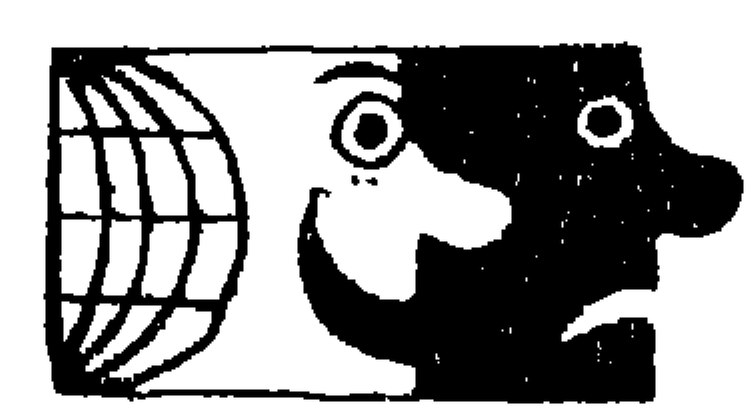
المراسلات باسم :

الوكيل المساعد لشئون الثقافة والصحافة والرقابة

وزارة الاعلام

ص.ب ١٩٣

٢١٥



من المسرح العالمي

السحب - ١

تأليف: أريستوفانيس

ترجمة وتقديم أدبي د. أحمد عتمان

مراجعة وتقديم تاريخي د. عبد اللطيف أحمد علي

الجزء الأول

١ - المقدمة التاريخية

٢ - المقدمة الأدبية

تصدر عن: وزارة الإعلام - الكويت

السحب

المقدمة التاريخية

بقلم : أ. د. عبداللطيف أحمد علي

١ ـ سيرة أريستوفانيس :

مؤلف مسرحية **السحب** ـ موضوع هذا العدد من سلسلة المسرح العالمي ـ هو أريستوفانيس (Ariestophanês) ، أمير شعراء « الكوميديا القديمة » فى العصر الكلاسيكى ، وهو عصر تألق الحضارة اليونانية ولا سيما فى أثينا ، منذ القرن الخامس وحتى قرب نهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، حين انتهى عصر « دولة المدينة » بعد أفول نجمها السياسى . وتاريخ مولد أريستوفانيس غير معروف على وجه اليقين ، وان كان من المعتقد أنه يقع بين سنتى ٤٥٧ و ٤٤٥ . (١) وفى رأينا أن السنة الاخيرة هى الارجح استنادا الى ما ورد فى مسرحية « السحب » ذاتها (بيت ٥٣٠ وما بعده ، والشروح عليها) من أنه كان فى عام ٤٢٧ لا يزال فى سن لا تؤهله للتقدم شخصيا بعرض مسرحية« المشاركون فى الوليمة » . ومن ثم فقد عرضت باسم شخص آخر . فاذا صح أن أريستوفانيس قد ولد فى ٤٤٥ ، فانه يكون قد شارف سن الـ ١٨ فى عام ٤٢٧ ، وهذه السن تدخل فى اطار سن البلوغ بوجه عام عند اليونان (حيث كانت تتراوح ما بين سن ١٥ وسن ٢٠) . على أن سن البلوغ القانونية عند الاثينيين كانت ١٨ عاما بمعنى أن المواطن لا يعتبر شابا (ephêbos) الا ببلوغه السن المذكورة ، حيث كان يلزم بتأدية الخدمة العسكرية لمدة تتراوح بين سنة وسنتين . وقد نشأت فى أثينا فيما بعد (حوالى عام ٣٣٥) منظمة باسم منظمة الشباب (ebhêbeia) ، تحت اشراف الدولة ، وكان على الشباب الالتحاق بها عند بلوغهم سن الـ ١٨ لتأدية التدريبات العسكرية الاجبارية .

وكانوا بعد تأدية هذا الواجب الوطنى يصبحون مؤهلين للالتحاق — اذا شاءوا — بأحد معاهد التربية العليا . وكانت هذه المعاهد — والمسمى كل منها بالجيمنازيون فى اليونانية ، والجيمازيوم فى اللاتينية (٢) — معاهد حكومية وان كلف الاثرياء بالمساهمة فى الانفاق عليها — فيما بعد — من أموالهم الخاصة . وكانت بمثابة « نواد رياضية — ثقافية » يتابع فيها الشباب ممارسة التدريبات العسكرية والالعاب الرياضية ، ويتزودون فيها بقدر من الثقافة الفكرية فى آن واحد . وكان يوجد بأثينا ثلاثة من هذه الجيمنازيات (٣) . لعل أريستوفانيس اذن لم يكن فى عام ٤٢٧ قد فرغ بعد من تأدية واجبه الوطنى ولا كان — فى أكبر الظن — قد أتم مرحلة التعليم التى تقابل الآن مرحلة التعليم العالى . فى الواقع أننا لا نعرف — الا استنتاجا — أنه كانت هناك سن معينة يجب توافرها فيمن يرغب من المواطنين التقدم الى السلطات الاثينية بطلب عرض مسرحية كوميدية باسمه الشخصى .

ويروى أيضا ان اريستوفانيس لم يتمكن من أن يخرج باسمه فى السنة التالية (٤٢٦) مسرحية **البابليون** ، ولا ان يتمكن حتى فى السنة التى بعدها (٤٢٥) من أن يعرض باسمه مسرحية **الاخارنيون** ، فعرضت كلتاهما تحت اسم شخص آخر .
وكانت أول مسرحية يخرجها باسمه الشخصى (**idiô onomati**) هى مسرحية **الفرسان** التى ندد فيها بسياسة أثينا التعسفية ازاء الحلفاء ، وهاجم فيها « كليون » الزعيم الأثينى الفوغائى ، وأحرز بها الجائزة الاولى عام ٤٢٤ . ونخرج من هذا كله باقتراح — لعله أدنى من سواه الى الصواب — ومفاده أن شاعرنا ولد فى سنة تقع ما بين ٤٥٠ و ٤٤٥ ، ولئن صح ذلك لكان عمره يتراوح ما بين ٢١ ، ٢٦ سنة عندما سمح له بالتقدم شخصيا بعرض أول كوميدية له عام ٤٢٤ .

ونستشف من قراءة مسرحيات أريستوفانيس أنه كان ينحدر من أسرة محافظة ميسورة الحال . وكان الشاعر مواطنا اثينيا ينتمى الى حى كوداثينايون (**Kydathênaion**) ، وهو أحد أحياء قبيلة بانديونيس (**Pandionis**) ، احدى القبائل العشر التى كان ينقسم اليها كل المواطنين الاثينيين فى القرن الخامس (٤) وكان أبوه يدعى فيليبوس (فيليب) وقد تزوج

الشاعر وأنجب ثلاثة أبناء : أراروس وفيليب ونيقوستراتوس . وكلهم نسجوا على منوال أبيهم فكانوا مثله شعراء مسرحيين .

وقد استخلص بعض الباحثين ـ ربما خطأ ـ من بعض الاشارات الواردة فى مسرحية « الاخارنيون » أن الشاعر أو أباه كان يقتنى ممتلكات فى جزيرة آيجينا التى تقع فى الخليج السارونى الذى يطل عليه ساحل أتيكا الجنوبى ، وتوصف بأنها كانت « قذى فى عين بيرايوس) (ميناء أثينا) . وكان أهلها من أصل دورى (كمعظم أهل البلوبونيس وهى المروه) . وقد احتلتها دولة مدينة أرجوس فى عهد طاغيتها فيدون . وفيها سكت أول عملة نقدية فى بلاد اليونان قاطبة (أثناء القرن السابع) وصارت آيجينا قوة بحرية كبيرة خلال الفترة الاركية (ما قبل الكلاسيكية) أي فى القرنين السابع والسادس وقد اشترك بعض مواطنيها فى تأسيس مستوطنة نقراطيس (كوم جعيف عند كفر الزيات) قرب الضفة اليسرى أو الغربية من فرع الدلتا الكانوبى (فرع رشيد حاليا) عند أواخر القرن السابع (زمن الآسرة السادسة والعشرين ، العهد الصاوى) . وكان أهل جزيرة أيجينا بحكم اصلهم الدورى متعاطفين مع اسبرطة . وقبيل مطلع القرن الخامس بقليل بدأ صراع الجزيرة مع أثينا . والحقت بها الاخيرة هزيمة بحرية عام ٤٥٩ . وأرغمتها قسرا فى عام ٤٥٨ على الانضمام الى حلف ديلوس البحرى الكونفدرالى وعلى دفع اشتراك أو أتاوة سنوية مقدارها ٣٠ تالنتا (٥) . ولما نشبت الحرب البلوبونيسية عام ٤٣١ انحاز أهل آيجينا الى المعسكر الاسبرطى . وعندئذ لجأت أثينا الى العنف وطردت أهل الجزيرة منها ، واسكنت فيها مستوطنين أثينيين كان من بينهم ـ على ما يروى ـ أسرة اريستوفانيس وأسرة افلاطون . ففى مسرحية (الاخارنيين) المذكورة (أبيات ٦٥٢ ـ ٦٥٤) يقول الشاعر مازحا أو ساخرا ان اللاكيدايمونيين (الاسبرطيين) ما كان يعنيهم من أمر جزيرة آيجينا شىء سوى طمعهم فى تجريده من ممتلكاته .

وتشهد مسرحيات أريستوفانيس باهتمامه الشديد بشئون وطنه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وحياة عصره الادبية ، والمامه الواسع بالتيارات الفكرية السائدة ، ومؤلفات معاصريه من الشعراء والكتاب والخطباء .

وقد ذكرت أن اريستوفانيس قد أدى — فى أكبر الظن — واجب الخدمه العسكرية كغيره من المواطنين الاثينيين عند بلوغه سن الشباب (١٨ سنة) لمدة سنة أو سنتين . وفى أكبر الظن أيضا أنه لم يكلف بالخدمه العسكريه خارج حدود أتيكا . ولا ننسى أن الحرب البلوبونيسية قد اندلعت فى مايو من عام ٤٣١ فى وقت كان فيه أريستوفانيس قد بدأ أو جاوز بقليل مرحلة سن الشباب المؤهلة للجندية . وعلى افتراض أنه كان من مواليد عام ٤٥٠ فانه يكون قد بلغ سن الـ ١٨ فى عام ٤٣٢ . فهل أدى أريستوفانيس الخدمة العسكرية قبيل اعلان الحرب مباشرة ، ومن ثم تكون قد اقتصرت على قيامه بالتدريبات العسكرية وأعمال الحراسة لمدة سنة فى المواقع الامامية من اقليم أتيكا ، على نحو ما كان متبعا مع الشباب الاثينيين (ephêboi) ، أم أنه — على افتراض أنه ولد فى سنة تالية لعام ٤٥٠ ، قد جند للخدمة العسكرية أثناء فترة قيام اسبرطة فى مستهل الحرب بغزو اقليم اتيكا وتخريبه سنويا فيما يعرف بحرب أرخيداموس (الثانى) أحد ملكى اسبرطة وقائد قوات البلوبونيس — وهى حرب استمرت حوالى ست سنوات (٤٣١ — ٤٢٥) . ولم يصلنا من الشاعر نفسه ما يفيد أنه اشترك — مثل سقراط على سبيل المثال — فى أي ميدان للقتال خارج اتيكا أو حتى فى داخلها . وليس من المستبعد أن يكون قد أعفى من ذلك لسبب أو لآخر . وعلى أي حال فمن الواضح — فى ضوء كثير من مسرحياته — أن الشاعر لم يكن من أنصار هذه الحرب ، ولا فيما يبدو — أي حرب أخرى بل كان من دعاة السلام على الاقل بين أثينا واسبرطة .

وعن نشاط أريستوفانيس السياسى أو على الاقل مشاركته فى حياة أثينا السياسية يمكن القول انه كان ككثير من بني وطنه الاثينيين يحضر — بعد تخطى سن الثامنة عشرة وتأدية الخدمة العسكرية — جلسات الاكليسيا (Ekklôsia) ، أي مجلس الشعب أو بالاحرى « الجمعية الشعبية » تمييزا لها عن مجلس البولى (الشورى) الذى سيأتى ذكره بعد قليل . اذ كان كل المواطنين الاثينيين من الذكور البالغين يعتبرون نظريا — بعد بلوغهم سن الـ ١٨ — أعضاء فى هذه الجمعية . ذلك أن دولة مدينة أثينا — ككثير من دويلات بلاد اليونان ذات النظام الديمقراطى ، لم تأخذ بالنسبة لهذه الجمعية بمبدأ التمثيل النيابى . ولم يكن

الحضور فرضا محتما بل كان واجبا وطنيا فقط ، وللمواطن الحرية فى الحضور أو عدم الحضور حسب مزاجه أو ظروفه اذ كان ذلك يتوقف غالبا على محل اقامته اما بأحد أحياء المدينة ذاتها أو ضواحيها القريبة أو بأحد الآحياء النائية عنها .

وكان حضور جلسات « الجمعية الشعبية » من قبل عملا غير مأجور ثم تقرر عقب الحرب البلوبونيسية ترغيبا للناس بعد سوء حالتهم الاقتصادية فى الحضور اعطاء المواطن أوبولا واحد (= سدس دراخمة) مكافأة على حضور الجلسة (وقد زيدت هذه المكافأة الى ستة أوبولات (= ١ دراخمة) فى الثلث الاخير من القرن الرابع نظرا لتدهور قيمة العملة الاثينيه .

وكان مكان انعقاد الاكليسيا (الجمعية الشعبية) فى أول الامر هو الاجورا agora (الميدان العام والسوق) ثم نقل الى مكان قرب تل بنوكس Pnyx . وكانت الجمعية تنعقد أحيانا فى ميناء بيريه ، وفى القرن الرابع في مسرح ديونيسوس . ولم يكن الحضور كثيفا الا عند طرح مشروعات قوانين بالغة الاهمية على الجمعية أو النظر فى مسائل عسكرية أو سياسية بالغة الاثارة للاقتراع عليها علانية (برفع الايدى) أو سرا (بحصى مرقومة أو كسر من الشقف) . ولا نعرف شيئا عن معدلات حضور جلسات الجمعية الشعبية فى اثينا ، كما لا نعرف للأسف شيئا مؤكدا عن النصاب المطلوب لصحة انعقاد جلساتها . كل ما نعرفه فى هذا الصدد أنه فى قضية سياسية خطيرة كالنظر فى أمر نفي مواطن من البلد لخطورته على نظام الحكم (ostrakismos) كان يشترط لصحة الاجتماع نصاب لا يقل عن ٦٠٠٠ عضو ، وهو عدد يعادل تقريبا ١/٧ مجموع المواطنين الذكور البالغين حين كان يبلغ ٤٣٫٠٠٠ مواطن عند قيام الحرب البلوبونيسية . ولا ندرى شيئا عن مدى مواظبة أريستوفانيس على حضور جلسات الجمعية الشعبية لكن من المرجح انه كأحد أبناء حي كوداثينايون ، وهو أحد أحياء أثينا المدينة ذاتها ، قد شهد بعض جلساتها ان لم يكن الكثير منها ، على نحو ما تشهد به ملاحظاته الثاقبة . ولا مراء فى أنه قد تردد أحيانا على المحاكم الشعبية ولعله أختير مرة أو أكثر كمحلف فيها كغيره من المواطنين للنظر فى بعض القضايا العادية أو الهامة . ولم تكن محاكم أثينا القضائية محاكم قضاة

متخصصين فى القانون ، بل محاكم محلفين مختارين بالقرعة من بين المواطنين العاديين ذوى الوعى والفطنة العادية . ففى كل عام كان يختار بالقرعة من بين جميع المواطنين المؤهلين ٦٠٠٠ عضو ممن يبدون استعدادهم للخدمه كمحلفين ، مع مراعاة نسبة عدد مواطنى كل حى من أحياء قبائل الدولة الاثينية .

وكانوا يقسمون أو يوزعون على عشر محاكم قضائية يتراوح عدد المحلفين فيها ما بين ٢٠١ ، ٤٠١ ، ٥٠١ محلف . وكانت كل محكمة مستقلة لا سلطان عليها ، ولا موجه قانونيا لها ، ومن الصعب — نظرا لكبر عددها — رشوة أعضائها . وكان الحكم فيها اما بالادانة أو التبرئة . وقد سخر الشاعر من هذا النظام القضائى وتهكم تهكما لاذعا بهؤلاء المواطنين ممن كانوا يتكالبون على الخدمة كمحلفين (وأغلبهم كانوا من الفقراء أو المتقاعدين أو المتعطلين) لا بدافع من الشعور بالواجب الوطنى بل من أجل الحصول على أجر يومى زهيد كان — كما قرره بريكليس لاول مرة لاغراض سياسية عام ٤٥٠ — لا يزيد على أوبولين ، وزيد الى ثلاثة أوبولات (= ½ دراخمة) على يد الزعيم الفوغائى كليون فى عام ٤٢٥ (٦) .

ويستدل من أحد النقوش الحجرية التي ترجع الى أوائل القرن الرابع على أن أريستوفانيس قد اختير — فى سنة غير محددة — عضوا فى مجلس البولى (Boulê) أي « مجلس الشورى » الاثينى ، والمسمى أيضا « بمجلس الخمسمائة » . وقد اتبع مبدأ التمثيل النيابى فى هذا المجلس . فكانت كل قبيلة من القبائل العشر التى تضم المواطنين كافة تختار سنويا بالقرعة خمسين عضوا من الاحياء التابعة لها (على قدر عدد مواطنى كل حى) بشرط تجاوزهم سن الثلاثين لتمثيلها فى مجلس الشورى . وكانت العضوية لمدة سنة واحدة ، ولمرة واحدة أو مرتين على الا تكون فى سنتين متتاليتين ، ومن الواضح أن أريستوفانيس فى سنة اختياره عضوا بذلك المجلس فى مطلع القرن الرابع (حسبما ورد فى النقش الحجرى المذكور) كان قد ناهز سن الخامسة والاربعين أو الخمسين . ولا نعرف كم كان يتقاضى عضو مجلس الشورى الاثينى فى زمن الشاعر ، ولكنه كان يتقاضى يوميا فى زمن أرسطو (النصف الثانى من القرن الرابع) خمسة أوبولات أي أقل من دراخمة واحدة بقليل (٧) .

كان مجلس الشورى الاثينى تسهيلا للعمل يباشر مهامه من خلال لجانه . فكان ممثلو كل قبيلة الخمسون يشكلون لجنة ، وتتناوب لجان المجلس العشر العمل دوريا ــ بترتيب حسب القرعة ــ على مدار السنة . وتسمى اللجنة خلال نوبتها (حوالى ٣٦ أو ٣٧ يوما فى السنوات غير الكبيسة ، أو ٣٨ ، ٣٩ فى السنوات الكبيسية) (٨) باللجنة المترئسة وأعضائها بالرؤساء (Prytaneis) . وكانت تنعقد يوميا ما عدا أيام الاعياد الرسمية فى مبنى يسمى سكياس (Skias) ، بمعنى « المظلة » والذى عرف نظرا لشكله بالثولوس (Tholos) أي القاعة المستديرة ذات السقف الحجرى المخروطى الشكل ، المتاخمة لدار مجلس الشورى (Bouleutêrion) الكائنة فى فناء معبد أم الآلهة (Mêtrôon) حيث كانت تحفظ الوثائق والسجلات الرسمية ، عند الطرف الجنوبى من الاجورا (الميدان العام والسوق) . وكان على كل لجنة ــ فى فترة رئاستها (Prytaneia) وهى ١/١٠ من السنه ــ أن تجتمع يوميا بالقاعة المستديرة ، وتتناول وجبات طعامها هناك . وتختار من بينها حوالي ثلث اعضائها (١٧ عضوا) ليبقوا ليل نهار بالقاعة المذكورة . وعلى هؤلاء الاخيرين أن يختاروا فى كل يوم بالقرعة واحدا منهم ليكون رئيسا لهم (epistatês) لمدة يوم واحد ، ويتولى أيضا رئاسة اجتماع مجلس الشورى والجمعية الوطنية أن تصادف انعقاد الهيئتين معا فى يوم رئاسته .

وكان أعضاء لجنة الخمسين هم الذين يوجهون ــ أثناء فترة رئاستهم ــ الدعوة لانعقاد مجلس الشورى والجمعية الوطنية ، ويقومون بتحضير جدول الاعمال ، ومراعاة ألا يكون بين الحضور من هم ليسوا مؤهلين لحضور الجلسة واستقبال الحكام التسعة المدنيين (المعروفين بالاراخنة (archontês)) (٩) وكبار الموظفين والمواطنين العاديين أو السفراء الاجانب ، وتقديمهم الى مجلس الشورى سواء أجاءوا تلبية لرغبة منهم أم استجابة لدعوة المجلس لهم . وكانوا يتمتعون بوصفهم لجنة رئاسية لمجلس الشورى ببعض سلطات قضائية كسلطة القاء القبض على المتهمين بجرائم معينة الى أن يحين موعد محاكمتهم . وكان عضو اللجنة الخمسينية ــ أثناء توليها مهام الرئاسة ــ يتقاضى أجرا يوميا ــ فى زمن أرسطو لا فى زمن الشاعر ــ مقداره ستة أوبلات أي دراخمة واحدة .

كان مجلس الشورى الاثينى ذا اختصاصات واسعة بل أوسع من مدلول اسمه ، اذ كان يضطلع — بالاشتراك والتعاون مع حكام دولة المدينة المدنيين (المعروفين باسم الاراخنة) وقوادها العسكريين العشرة (stratêgoi) (٩) — بجميع مهام الدولة ، واعداد مشروعات القوانين توطئة لعرضها على الاكليسيا (الجمعية الشعبية) التى تملك وحدها حق الرفض أو القبول أو اعادتها الى مجلس الشورى لتنقيحها أو تعديلها . ولم يكن هناك أمر يطرح على الجمعية الشعبية الا بعد أن ينظر فيه اولا مجلس الشورى . وحتى الاقتراحات المقدمة من أعضاء الجمعية الشعبية أو من الحكام انفسهم كانت تعرض أولا على مجلس الشورى لدراستها قبل تحويلها الى الجمعية الشعبية للبت فيها . وكان من بين صلاحيات مجلس الشورى المتعددة : فحص مستندات المرشحين المؤهلة لشغل المناصب العامة أو المرشحين الجدد لعضوية المجلس نفسه (dokimasia) عند فض الدورة السنوية . وانيطت به واجبات خاصة فيما يتعلق بالاسطول كالعناية بالسفن وأحواضها ، وتجهيز سفن جديدة فى كل عام . وكانت صلاحيات هذا المجلس المالية هامة أيضا ومن بينها تأجير ممتلكات الدولة وتحصيل ريعها ، واقتراض النقود من خزائن المعابد ، ومراقبة عملية التسليم والتسلم للارصدة المالية من أيدى أمناء الخزانة العامة فى سنة الى أيدى خلفائهم فى المنصب فى السنة التالية ، واستلام الاتاوات أو الاشتراكات المالية المقررة على الدويلات الاعضاء فى حلف ديلوس البحرى الكونفدرالى (الذي تزعمته أثينا فى القرن الخامس) ، ومراجعة كشوف حساب الحكام وكبار الموظفين بعد انتهاء خدمتهم السنوية عن تصرفاتهم المالية (euthyna) ، ثم العناية بالمبانى الحكومية ، والاشراف على بعض العبادات ومراسم القرابين الدينية .

وكان مجلس الشورى مسئولا عن الحفاظ على وثائق وسجلات الدولة الرسمية . وكان لهذا المجلس ايضا بعض سلطات قضائية كالنظر مقدما فى قضايا بالغة الأهمية قبل عرضها على الجمعية الشعبية ، وهي ما تتصل بدعاوى الخيانة او التآمر على الدستور او اثارة الشغب والاخلال بالأمن العام (eisangélia) . وكان من سلطته فرض غرامات على المواطنين بحد اقصى ٥٠٠ دراخمة . وبالاجمال كان مجلس الشورى هو حجر الزاوية فى أثينا

وفى كل دولة مدينة مثلها ديمقراطية الدستور . لكنه على الرغم من استقلاله وتحرره من سلطان الحكام عليه — فيما عدا حق القواد العشرة دون سائر الموظفين فى حضور جلساته ، وعلى الرغم من اتساع دائرة اختصاصاته وتنوعها ، فانه لم يقدر له قط السيطرة او التسلط على الدولة نظرا — لتغير العضوية فيه سنويا — ، اذ يقدر عدد من تناوبوا العضوية فيه أثناء القرن الخامس بما لا يقل عن ثلث عدد المواطنين المؤهلين ، وحوالي نصفهم فى القرن الرابع ، وهو ما لم يتح قيام تكتلات قوية فيه أو جبهة متحدة ، وان كان فى الوقت نفسه معبرا عن الرأي العام ومرآة عاكسة لمشاعر الجمهور الأثيني .

ونعود الى سيرة أريستوفانيس لنقول ان سنة وفاته كسنة مولده غير معروفة على وجه التحديد ، وان يكن من المرجح انها كانت فى سنة قريبة جدا من عام ٣٨٥ . كانت آخر مسرحية قدمها للعرض باسمه هى **بلوتوس** (الثروة) فى عام ٣٨٨ وهذه المسرحية مثل مسرحيته بعنوان **النساء فى البرلمان** والتى عرضت قبل ذلك فى عام ٣٩٢ ، تنتمي فى الواقع الى الكوميديا المسماة « بالكوميديا الوسطى » التي ازدهرت منذ حوالي ٤٠٠ الى ٣٢٠ وكان من بين ابرز شعرائها وأغزرهم انتاجا انتيفانيس (٣١١ — ٨٨) واليكسيس (٣٧٢ — ٢٧٠) . وفى عام ٣٨٧ أخرج له ابنه أراروس (وهو كأخيه نيقوستراتوس كان من شعراء الكوميديا الوسطى) مسرحية بقلمه بعنوان « آيولوسيكون » (حيث تتمثل كل خصائص هذا النوع من الكوميديا) ، ثم مسرحية اخرى فى نفس العام ٣٨٧ — ٣٨٦ بعنوان « كوكالوس » وهذه قريبة جدا من الكوميديا المسماة « بالكوميديا الجديدة » التي ازدهرت فى اواخر القرن الرابع وبلغت ذروتها على يد أميرها ميناندروس الأثيني (٣٤١ — ٢٩١) . وثمة دلالة أخرى على وفاة أريستوفانيس قرب التاريخ المذكور هي تصور افلاطون له كأحد المتحدثين — اغلب الظن عقب مماته — فى محاورة « المأدبة » التي يرجح انها كتبت حوالي عام ٣٨٤ .

واذا صح ان الشاعر ولد — كما ذكرنا — فيما بين ٤٥٠ ، ٤٤٥ ، ومات نحو عام ٣٨٥ ، فانه يكون بذلك قد مات عن سن تتراوح بين ٦٠ و ٦٥ عاما .

٣ ــ أريستوفانيس وحضارة عصر بريكليس

لقد وافق مولد الشاعــر (٤٤٥/٤٥٠) حدثين سياسيــين هامين ، أحدهما عقد معاهدة الصلح الأخيرة بين اثينا (بوصفهــا زعيمة حلف ديلوس البحري الكونفدرالي) وبين دولة الفرس فيما يعرف « بصلح كاللياس » (ربيع ٤٤٩) والذي ربما لم يكن معاهدة رسمية بل كان ميثاق عدم اعتداء . وأيا كانت طبيعته فقد انهى « الحروب الفارسية » التي كانت قد نشبت بين اليونان والفرس بعد مطلع القرن الخامس بسبب تدخــل اثينا لمسانــدة « الثورة الأيونية » ــ وهي ثورة قامــت بها المدن اليونانيــة الواقعــة على الساحل الغربي للاناضول والجزر المتاخمة له ــ للتخلص من ربقة الحكم الفارسي . وقد مرت الحروب الفارسية بأدوار وشهــدت عدة معارك برية وبحريــة بعضها في بلاد اليونــان ذاتها (٤٩٠ ، ٤٧٩/٤٨٠) ، وبعضها الآخر في شرقي البحر المتوسط عند سواحل الاناضول (٤٧٩ ، ٤٦٧) وفي دلتا مصر (٤٥٩ ــ ٤٥٤) وحــول قبرص (٤٥١ ــ ٤٤٩) . واما الحدث السياسي الثاني فكان عقد « صلح الثلاثين عاما » بين أثينا واسبرطة في سنة ٤٤٥/٤٤٦ ــ بعد اشتباكات ومعارك متفرقة غير حاسمة في بلاد اليونان الوسطى ، نشبت بسبب اطماع أثينا في بسط سيطرتها في البر على نحو ما فعلــت في البحر ــ وهــي ما تعرف احيانــا باســم « الحــــرب البلوبونيسية الاولى » (٤٦٠ ــ ٤٤٥) .

لكن هذا الصلح لم يقيض له ان يستمر الا نصف مدته ، اذ اندلعت « الحرب البلوبونيسية الكبرى » بين القوتين العظميين في بلاد اليونان في مايو عــام ٤٣١ .

كانت الفترة التي بدأت مع صلح الثلاثين عاما منذ ٤٤٥/٤٤٦ فترة سلام حقيقي استمر حوالي ١٥ عاما . وكان بريكليس ، القائد والسياسي الشهير ، قد اصبح أثناءها الحاكم الرئيسي وصاحــب أقوى نفوذ في الدولة الأثينية (٤٤٥ ــ ٤٣٠) . وكان اريستوفانيس قد بلغ عند نهايتها سن الشباب . ولا بد انه سمع عن اصلاحات بريكليس منذ ظهوره على مسرح السياسة في عام ٤٦٢ ، وانفراده ــ بعد اغتيال زميله افيالتيس في العام التالي ــ بزعامة الحــزب الديمقراطي ، لترسيخ دعائم الديمقراطية الأثينية ، ولمس مــا نعمــت به أثينــا من استقرار سياسي ، وشهد ملامــح الازدهار

الاقتصادي ، والنمو العمراني ، والنشاط الثقافي والتقدم الفكري .

حسب الشاعر ان يكون قد شهد فى مطلع شبابه ــ بوصفه عضوا فى الجمعية الشعبية كسائر أقرانه من المواطنين ــ بعض ممارسات الديمقراطية الاثينية حيث كان مواطنو دولة المدينة (Polis) يتمتعون بالحرية ــ وقوامها حرية التعبير عن الراي فيما بينهم (Parrhêsia) وحرية التعبير عن الرأي السياسى (isêgoria) ، والمشاركة الفعلية فى تدبير شئون المدينة (Politika) ــ والكلمة الاخيرة يونانية وتؤدي الآن معنى « السياسة » .

كانت هذه الديمقراطية من طراز فريد يمارس فيها الشعب (soungp) حق التصديق النهائي على مشروعات القوانين ، وحق رقابة الحكام ومساءلتهم بعد اعتزالهم الخدمة، وتملأ فيها المناصب العامة بالقرعة ولمدة سنة واحدة ، ما عدا منصب القواد العسكريين العشرة الذي كان بالانتخاب الشعبي لمدة عام واحد مع جواز اعادة الانتخاب عدة مرات .

ولا يتسع المقام بداهة الا لاجمال أبرز ملامح تلك الحضارة اليونانية التي تألقت فى أثينا على ايام الشاعر . كان الأجورا والجيمنازيوم اللذان لا يتصور قيام مدينة يونانية بدونهما ــ يتصدران المعالم الاثرية فى اثينا . والأجورا (agora) هي ميدان أو ساحة التجمع الشعبي والسوق العامة فى آن واحد . وأما الجيمنازيوم (gymnasium) فهو النادي الرياضي ــ الثقافي أو معهد التربية البدنية والعقلية . وقد نشأت فى اثينا ثلاثة من هذه النوادي كانت تقع خارج اسوار المدينة وكان دخول هذه المرافق العامة مباحا لكل المواطنين . وقد جهزت بكل ما يحتاجه ممارسو مختلف الالعاب سواء اثناء التمرين او بعده ، الى جانب مكتبة وقاعة للمطالعة او التقاء الشباب ببعض رجال الفكر والأدب . ولم يكن النادي يضم فقط مركضا للتدرب على الجري بل كان يضم عادة أو يلحق به مبنى منخفض يتوسطه فناء مفروش بالرمل الناعم لتعليم الصبية قواعد المصارعة (Palaestra) . وقد مر بنا كيف اتخذ بعض الفلاسفة من هذه النوادي مراكز لمدارسهم التي انتحلت أسماء هذه النوادي فى

غضون القرن الرابع . وكان بأثينا مضمار بسيط لسباق الجري (stadium) (١٠) لا يزيد طوله عن ٢٠٠ ، وعرضه عن ٣٠ ياردة . لكنه استكمل فيما بعد وصـــار يتسع لبضعة آلاف مـــن المتفرجين . ويفهم من مسرحية « السحب » انه كان هناك ايضـــا حلية لسباق الخيل او العربات (hippodromia) . وكان المسرح (theatrum) (١١) في طليعة المؤسسات الثقافية وشيدت قاعة المسابقات الموسيقية (Odeum) (١٢) فى عصر بريكليس . وأما معابد الآلهة والالهات وتماثيلهم فكانـــت منبثة فى كل مكـــان تقريبا سـ ء اسفل تل الأكروبول او فوقه ، وتبهر الانظار بعمارتها الفاخرة او نحتها الانيق او زخرفتها البديعة . وقد زخرت المدينة بالأروقة الرخامية المصورة وغير المصورة (stoa) والتي كانت تقي الناس ماء المطـــر وحر الشمس . كذلك تناثرت هنـــا وهناك المباني الحكومية كمكان اجتماع الجمعية الشعبية (Pnyx) ودار مجلس الشورى (Tholos) ودار الرئاسة (Prytaneum) ودور المحاكم (dikasteria) ، والأنصاب التذكارية لتخليـــد أسماء الممولين الفائزة عروضهم فى المسابقات الغنائية والمسرحية (chorêgoi) وأضرحة الابطال الاسطوريين والشخصيـــات العسكرية والسياسية والادبية ، وقبور بعض الثراة والتي كانت محلاة بشواهد جنازية (stelae) او الواح من الحجر او البلاط منحوتة بصور بارزة للموتى مع ذويهم لحظة الفراق ، وتجمع بين الجمال والجلال فى آن واحد .

كان الفرس قد خربوا كثيرا من مباني الأكروبول اثناء حملتهم العسكرية الثانية على بلاد اليونـــان (٤٨٠ – ٤٧٩) بقيادة الملك خشيارشاه الاول . وتعني كلمـــة الاكروبول (Acropolis) المدينة العليا أو أعلى المدينة . وهو تل صخري مرتفع بيضـــاوي الشكل تقريبا يكـــاد يتوسط اثينـــا ، وتبلغ مساحته حوالـــي ١٠٠٠ × ٤٨٠ قدما ، وشديد الانحدار صعب المرتقى من كـــل جوانبه الا من الجانب الغربي حيث يسهل الصعود اليه . وقـــد أصلح بريكليس ما افسده الفرس فأعاد تعمير الاكروبول جاعـــلا منه أقدس مكان فى المدينة اذ بنيت فوقه من جديد افخم المعابـــد حيث أودعت أروع التماثيـــل ونحتت أبدع المناظـــر الزخرفية ، الاسطورية منها والتاريخية . حسبنا التنويه بأكثر هذه المعابـــد

فخامة وأعني معبد البارثنون (Parthenon) ، مفخرة العمارة اليونانية ، الذي شيد مكان معبد قديم لم يستكمل بناؤه ، لأثينة بوصفها الهة عذراء (Parthenos) . والمعبد مبني من الرخام الابيض كمنظم المعابد الاخرى ، ودوري الطراز ، محاط بالاعمدة ، ومتعدد الحجرات ، ومن تصميم المهندس المعماري اكتينوس (Ictinus) ومساعده كاالليكراتيس (Callicratês) .

وأما تمثال اثينة الذي اودع فى قدس اقداس المعبد ، وقيل انه كان من الذهب والعاج ، فكان من صنع المثال الشهير فيدياس (Phidias) ، صديق بريكليس ، والمشرف العام على مشروعات البناء والتعمير فى عصره . وقد تكلف بناء البارثنون اموالا طائلة ، واستغرق عدة سنوات اذ بدىء العمل فيه عام ٤٤٧ وتم نذره للربة هو والتمثال عام ٣٣٨ . لكن العمل استمر فى نحت الصور والمناظر الزخرفية حتى عام ٣٣٢ (قبيل اندلاع الحرب البلوبونيسية بسنة واحدة) . وخلال تلك الفترة كان العمل يجرى بهمة لبناء تلك البوابة الجديدة الفاخرة ــ (Propylaea) للاكروبول ، التي كبدت الدولة أيضا نفقات باهظة ، وشيدت من الرخام البنتليكي الابيض (١٣) ، ووضع تصميمها المهندس منيسيكليس (Mnêsiclês) جامعا فيها بين الطرازين المعماريين الدوري والأيوني ، واستغرق العمل فيها نحو خمس سنوات (٤٣٧ ــ ٤٣٢) .

وبجوار البوابة من ناحية الغرب شيد من جديد معبد لأثينة بوصفها الاهة النصر (Athêna Nikê) . وهو معبد رشيق من الرخام . وعلى مسافة غير بعيدة منه نصب ذلك التمثال الهائل الذى صنعه فيدياس من البرونز حوالى عام ٤٥٠ تخليدا لذكرى الانتصار الاخير على الفرس . ويروى ان هذا التمثال الشاهق الارتفاع ــ وهو ايضا لأثينة بوصفها الالهة الذائدة عن حياض المدينة بالقتال فى المقدمة ضد المعتدين (Promachos) ، كان يشاهد من مسافة بعيدة عند رأس سونيوم البارزة من الطرف الجنوبي الشرقي لاقليم أتيكا . وتأكيدا لمعنى قدسية الاكروبول ونذره كله لبادة أثينة فقد شيد فى موقع معبد قديم ، معبد الاريختيوس بدأ العمل فيه سنة ٤٢١ وانتهى ــ بعد فترة توقف ــ فى ٤٠٧ . وهذا المعبد من الرخام البنتليكي ، وأفاريزه من حجر اليوسيس الاسود ، وانيق البناء وان يكن معقد التصميم . ويعتبر

فريدا من نوعه حيث ان احد جوانبه ــ المسمى بسقيفة الفتيات (Caryatides) ــ تقوم فيه تماثيل لفتيــــات مقام الاعمدة حاملات السقف فوق رؤوسهن . ويضم المعبد تمثال اثينة بوصفها راعية المدينة (Athêna Polias) . لكنه نذر ايضا لعبادة بوسيدون ، الــه البحر ، وهيفايستوس ، إلــه النار والحــدادة ، واريخثيوس Erechtheus ، ملك اثينا الاسطوري وابن ربة الارض ، الذي تولت اثينة حضانته وتربيته .

وقرب المنحدر الجنوبي للاكروبول نلتقي بمسرح أثينا الكبير، وهو مسرح ديونيسوس، حيث كانت تعرض المسرحيات التراجيدية والكوميدية اثناء الاحتفــالات بأعياد ذلك الاله ، الــذي نشأ فن التمثيل (الكوميدي التراجيدي) فى رحاب عبادته .

كان ديونيسوس الها طراقي الاصل وفد الى بلاد اليونان اما من طراقيا (قرب بلغاريا الحالية) او من فريجيا (أحد اقاليــم الاناضول) حيث كانت تسكن بعض القبائل الطراقيــة . وكان فى الاصل ايضا الها للنبات كالقمح والاشجار والتين واللبلاب ، ولم يلبث ان غدا الها للخصب ، والثمار واقترن اسمه بالعنب عــلى وجه الخصوص ، فصار اله النبيذ . وقد اقترنت عبادته منــذ البداية بطقوس غريبة مصحوبة بالشراب والغناء والرقص العنيف ودق الطبــول ورفع عصى مضفورة بشماريــــخ الكرم والتلويــح بالمشاعل فى مواكب الليل . كان اله النشــوة الغامرة والجــذب الروحي (او الوجد الصوفي) . والخروج عن الوعي والرواح فى الغيبوبة . وكانت عابداته من النساء ــ وهن اكثر الناس تأثــرا بديانته ــ يقمن اثناء سيرهن فى مواكبه الدينية الليلية الصاخبة ، بأعمال خارقة ــ كالفتك بصغار الحيوانات وأكل لحمها نيئا وذلك بعد ان تتقمصهن روح الاله ويصبحن من فرط ما يغشاهن مــن عاطفة دينية متأججة كالممسوسات او المجذوبات . ولقد لقبن فى الواقع بالمجنونات (maenades) او بالبــاكخيــات (Bacchae) نسبة الى باكخوس Bacchus ، وهو اسم آخر ليدي الاصل (اي من اقليم ليديا بالاناضول) للآله ديونيسوس . وقــــد تخلى الآن معظم الباحثين عن الراي القائل بأن ديونيسوس قد اتى الى بلاد اليونان ناشرا الاعتقاد بالخلود ومبشرا بالبعث وحياة اخرى بعد الموت . غير ان ديونيسوس قد ارتبط فى اذهان المخلصين من

عباده بالعالم السفلي (العالم الآخر) ، وهي فكرة ربما نشأت اصلا بين انصار المذهب الأورفي (نسبة الى أورفيوس) الذي كان ديونيسوس يحتل فى تعاليمه مكانة مرموقة . هكذا اصبحت لديونيسوس هو الآخر عبادة ذات طقوس سرية مختلفة عن طقوس عبادته القديمة المقرونة بالعربدة والتهتك (orgia) .

واقترنت عبادة ديونيسوس منذ البداية بلبس الأقنعة . ولما كان الحيوان الاثير لديه والمقدس له هو الجدي فقد حرص المتعبدون له على التقرب منه بطرح ملابس جلدية فوق أكتافهم او وضع اقنعة على وجوههم تقربهم من شكل الجداء . ومن لفظ الجدي اليونانية (tragos) ركبت كلمة تراجوديا (tragôdia) و أي « أغنية الجدي » التي كانت تنشد للاله فى اعياده ، ثم تطورت الى حوار بين المنشدين ارتقى بعد ذلك الى فن تمثيل التراجيديا. وكان المحتفلون فى الريف بعيد حصاد العنب يسيرون فى موكب صاخب عابث ماجن (kômos) متنكرين فى ازياء يتدلى منها ما يشبه عضو الذكورة او حاملين شكلا مضخما يمثل عضو الذكوره ، رمز الخصب الذي كان ديونيسوس هو ربه . وكانوا يتبادلون النكات الفكهة الساخرة او الفاحشة البذيئة . ومن اسم هذا الموكب (kômos) جاء اسم كوموديا (kômôdia) ــ أي أغنية او اغاني الموكب الماجن ــ التي تطورت بدورها وصارت الى ما نعرفه اليوم باسم الكوميديا . لا عجب ادن ان يسمى المسرح الكبير فى اثينا باسم ديونيسوس ، اله النشوة الغالبة والنبيذ ، واله التنكر والتقنع ، الذي نشأ فن التمثيل فى رحاب عبادته . وقد اقيم بجوار هذا المسرح معبد صغير لهذا الاله وكان يتوسط ساحة المسرح مذبح ديني (thymelê) حيث كانت تقدم بعض القرابين قبل بداية العرض المسرحي . وقد مر بناء مسرح ديونيسوس بمراحل معمارية وتعاورته عمليات للترميم والتعديل . وقد انشيء لاول مرة فى أواخر القرن السادس . كان مكان النظارة (theatron) (وهي الكلمة التي اطلقت على المسرح برمته) يقوم على سفح تل، ويظهر فى شكل حدوة الحصان، ويطل على ساحة شبه مستديرة هي المسماة عند اليونان بالاوركيسترا (الاوركيسترا) ــ أي مكان الرقص ــ حيث كان يجرى ايضا الحوار بين الممثلين الذين لم يزد عددهم فى التراجيديا عن ثلاثة رجال، وفى الكوميديا عن اربعة ، كما يؤدي فيه الخوروس

choros (الكوراس) ــ اي الجوقة المؤلفة من ١٥ فردا فى التراجيديا ، ومن ٢٤ فردا فى الكوميديا ــ الرقص والغناء ــ وفى مواجهة التل اقيمت الخيمة (skênê) وهي مكان تبديل ملابس الممثلين . ويقال ان مقاعد النظارة المصفوفة على سفح التل والمصنوعة من الخشب تحطم هيكلها ذات مره وسقط بالمشاهدين اثناء احد العروض المسرحية (٥٠٠ ــ ٤٩٧) . ويرى بعض الدارسين انه جرى بناء المقاعد من الحجر المسامي ومن الرخام فى وقت لاحق اثناء القرن الخامس ، بينما يرى البعض الآخر ان ذلك لم يتحقق الا على يد رجل الدولة المصلح ليكورجوس الذي اعاد بناء المسرح (مكان النظارة والاوركيسترا) من جديد قرب اواخر القرن الرابع (٣٣٠ ــ ٣٢٥) .

تلك بعض نماذج سقناها على سبيل المثال لا الحصر تشهد على مدى ما احرزته أثينا فى « عصر بريكليس » من نهضة فنية بلغت مستوى رفيعا لم تشهده من بعد فى مجالات العمارة والنحت والرسم وصنع الاواني الفخارية وزخرفتها .

وقد بدت أثينا ــ خلال فترة سيطرة بريكليس على مقاليد الأمور فى الداخل ، وهيمنته على حلف ديلوس البحرى ــ الذى قيل أنه استغل الفائض من رصيد خزانته فى تجميل بلده ــ بدت ــ كما يروى بلوتارخوس فى عصر لاحق ــ كأنها غانية فاتنة متزينة بأبهي الحلل والحلي . وأما عن النهضة فى مجالات الفكر والأدب والثقافة ، فقد بلغت أثينا فى زمن الشاعر شأوا بعيدا حتى صارت ــ كما يقول المؤرخ الكبير المعاصر ، ثوكيديديس ، بمثابة « مدرسة هللاس » أي مدرسة بلاد اليونان كافة .

لكن اذا كان اريستوفانيس قد سمع فى شبابه الشيء الك[illegible] عن حياة بريكليس العامة ، واستمع الى خطبه ، ولمس منجزاته المجيدة فى شتى الميادين من أجل رفعة بلده ، فقد ترامى الى مسامعه أيضا بعض أخبار عن حياة هذا الزعيم الخاصة . كان من بينها ــ وربما أكثرها اثارة ــ خبر طلاقه من زوجته وام ولديه (٥١) ، ومعاشرته معاشرة الازواج لعشيقته أسباسيا Aspasia (ومعنى الاسم : مرحبا) ، وهى غانية جميلة متحررة ، وافدة من مدينة ميليتوس فى أيونيا (ساحل الاناضول الغربى) كانت لبقة الحديث ، ذات ثقافة عالية ، وعلى مستوى فكرى رفيع ، بل قيل

انها كانت متمكنة من البلاغة اليونانية . ومع هذا فلم تلبث هـذه الخليلة الاجنبية ــ ان غدت مطعنا فى حياة الزعيم ، وهدفا لسهام خصومه السياسيين ، ومغمزا للغامزين من شعراء المسرح الكوميدى الذى عرضوا به لانقياده لها بل رموها بالخلاعة والفجور . وقد تناهى الى أريستوفانيس (كما يتضح من مسرحيته بعنوان « الاخارنيون » : أبيات ٥١٥ ــ ٥٣٩) كثير من هذه الافتراءات وغيرها من الشائعات كتأثيرها القوى فى بريكليس اذ حرضته ــ كما زعم خصومه ــ على استصدار بعض قرارات سياسية خطيرة كقرار اخماد ثورة جزيرة ساموس بالقوة والعنف (٤٤٠ ــ ٤٣٩) ، مع الانحياز ضدها الى جانب ميليتوس ، مسقط رأس اسباسيا ، وقرار دخول الحرب البلوبونيسية الكبرى (مايو ٤٣١). ومن المؤكد أن اريستوفانيس قد بلغه ــ وسواه من المواطنين ــ نبأ حرمان ابن بريكليس من أسباسيا الذى ولد على ما يرجح عام ٤٣٣ (وهو سمى أبيه) من الجنسية الاثينية ، وهى جنسية كانت مقصورة على الابناء المنحدرين من أبوين كل منهما أثينى ــ وذلك وفقا لقانون كان الزعيم نفسه قد استصدره فى عام ٤٥١/٤٥٠ دون أن يدور فى خلده وقتئذ أن سيكون أحد المتضررين به .

لكن الاكليسيا (الجمعية الشعبية) أصدرت ــ بعد وفاة الزعيم متأثرا بالطاعون فى خريف عام ٤٢٩ ــ قرارا استثنائيا بالاعتراف بشرعية هذا الابن ومنحه الجنسية الاثينية . كذلك علم الشاعر بتلك الدعوى القضائية التى أقامها على أسباسيا شاعر كوميدي آخر لاذع السخرية مثله يدعى هرميبوس فى تاريخ غير معروف أثناء حياة بريكليس ، وان كان من المرجح انه لاحق لحرب ساموس آنفة الذكر ــ متهما اياها بالالحاد (asebeia) والتوسط بين الرجال والنساء فى الفحشاء ــ وهي دعوة تبدو كيدية للنيل من بريكليس نفسه الذى انبرى فى المحكمة لدحضها متوسلا ــ على ما يروى ــ بدموعه الى المحلفين لتبرئة ساحة رفيقته . ويحكى أن أسباسيا التى ظلت وفية لبريكليس حتى وفاته (٤٢٩) ، قد عاشرت من بعده رجلا يدعى « ليسيكليس » ــ وهو زعيم شعبي غير مرموق . ولم تسعد برفقته طويلا اذ سقط قتيلا فى احدى معارك الحرب البلوبونيسية عام ٤٢٨ . وجدير بالذكر أن أسباسيا كانت صديقة لسقراط شغوفة بمطارحته الحديث . وقد نوه بذكراها بعض تلاميذه الخلصاء من أمثال أنتيسثنيس ، رائد المدرسة

الكلبية ، وآيسخينيس الملقب « بالسقراطى » ، وأفلاطون نفسه (محاورة منيكسينوس) .

كان بريكليس ـ من ناحية الام ـ سليل اسرة ارستقراطية عريقة . وقد عرف عنه الزماتة والوقار والعزوف عن مخالطة الدهماء . وعلى الرغم من اقتران اسمه بالديمقراطية الاثينية فقد كان سلوكه الشخصي بعيدا عن الديمقراطية . كانت ادارة شئون الدولة هوايته المفضلة ، والسياسة شاغله اليومى . وكان الشعب بوجه عام يثق به لا لامانته فى الشئون المالية فقط (فهذه صفة نادرة نسبيا بين ساسة اليونان) بل لصفات اخرى كنفاذ بصيرته ، وحنكته السياسية ، وحزمه، وقدرته الفائقة على الخطابة والاقناع .

ويشيد المؤرخ ثوكيديديس بقيادته للجماهير لا لانقياده لها ، واصفا زعامته فى عبارة مأثورة تقول « انها كانت نظريا ديمقراطية ، لكنها فى الواقع حكم الرجل الاول » . لقد تحولت الزعامة الى حكم فردى ، وهذا كان من شأنه ان يفضي بالتدريج الى حكم أوتوقراطى (مردي مطلق)أو ـ على حد تعبير اليونان ـ الى طغيان (**tyrannis**) وهو ما يقارب فى يومنا هذا الدكتاتورية الشعبية . وبغض النظر عما يشوب تقويم خصومه له من خلط بين سياسته ازاء الاثينيين وسياسته ازاء المدن الاعضاء فى حلف ديلوس الكونفدرالى ، فقد تمكن بريكليس من ان يقود الشعب الاثينى الى المجد السياسى ، والى الصدارة الحضارية فى العالم الهلينى .

ولم يكن هناك مناص من ان يتعرض رجل دولة على شاكلة بريكليس ـ مثلما تعرضت خليلته « اسباسيا » ـ لسهام النقد والتجريح سواء بسبب تسلطه السياسى او خصاله الشخصية أو « افكاره العصرية » . فقد تهجم عليه خصومه السياسيون ، وتهكم به شعراء المسرح الكوميدي الذين وصموه بالاستبداد لانه يحكم حسب هواه ويفعل ما يريد سواء بالاثينيين أو الحلفاء . ولعل تعاليه أو تنائيه عن جمهرة العامة كان مثار تقول عليه . ومدعاة لغضب دهماء الطبقة الدنيا من سلوكه . ولعل كثيرين ايضا من افراد الطبقة الوسطى لم ترق لهم افكاره التقدمية واحتضانه للمذهب العقلى الجديد ـ وهو مذهب راح يروجه فى اثينا بعض المفكرين الوافدين على المدينة . ولم يختلط بريكليس الا بطائفة « المثقفين » ، واصطفاهم على غيرهم من الناس . واتخذ منهم اصدقاءه القليلين .

ولعل هذا هو ما أثار ريبة افراد الطبقة الوسطى من « السلفيين » فى ذلك الاتجاه الفكرى الجديد ، فتوجسوا خيفة من تأثـير هذه البطانة فى موقف الزعيم من الدين والتقاليد الموروثة . ويستشف من تعامل بريكليس مع احد العرافين انه كان يتجنب الخروج علـى الاعراف والمساس بالمشاعر الدينية . لكنه حاول فى الوقت نفسه استخدام الدين لدعم سياسته ، وان كنا لا نعرف المدى الذى ذهب اليه فى هذا الصدد. ومع هذا ففي وسعنا القول بأن فكره كان اسمى من ان يؤمن بالخرافات أو الخزعبلات . على أن بريكليس لـم يكن منافقا مرائيا من أدعياء التدين ، ولا كان ملحدا منكرا لوجود الآلهة .

وازاء قلة ما نعرفه عن كنه افكار بريكليس ، فلا مناص مـن أن نستنبطها من علاقاته بأشخاص آخرين . وقد ذكرنا ان بريكليس كان قليل الاصدقاء ، وان هؤلاء كانوا كلهم تقريبا من رجال الفكـر والادب والفن . كان من بينهم « بروتاجوراس » ، السوفسطائـى المرموق ، « وسوفوكليس » الشاعر التراجيدى الذائع الصيت ، « وهيبوداموس » اشهر مهندس يونانى فى تخطيط المدن وصاحب بعض النظريات السياسـية (١٤) . ولم يكن هؤلاء جميعـا مـن اصدقائه الخلصاء المقربين الذين تعرض اثنان منهم — نكاية فيه — لمختلف التهم . فقد اتهـم صديقه الحميم « فيدياس » ، المثـال الاثنيى الكبير ، باختلاس شيء من الذهب أو العاج اثناء قيامـه بصنع تمثال الربـة أثينة الفاخر الـذى اودع بمعبد البارثنـون (عام ٤٣٨/٤٣٧) . ويستلفت النظر ان مقيم الدعوى عليه كان احد العمال الذين كانوا يعملون تحت اشرافه . وقد افلت فيدياس من العقاب بطريقة او اخرى بعد ادانته ، اذ رحل الى اوليمبيا — موطن الالعاب الاوليمبية (باقليم ايليس فى شمـال غربي البلوبونيس — المورة) — حيث عكف على صنع تمثال زيوس الذى نحته ايضا من العاج الموشى بالذهب . ويعد هذا التمثال الذى يصور رب الارباب جالسا ، أروع تحفة فنية صاغتها يد هذا الفنان التشكيلى الموهوب. ولم يسلم من كيد الكائدين معلم بريكليس وصديقه الحميم الآخـر « اناكساجوراس » ، احد فلاسفة أيونيـا الطبيعيين ، واسبقهم فى القدوم الى اثينا حيث استقر به المقام زهاء ثلاثين عاما خلال القرن الخامس . اذ وجهت له تهمة الالحاد بسبب نظرياته الفلسفية فى تعليل اصل الاجرام السماوية ، وفصله العقل عن المادة ، والتـى صدم بها مشاعر الاثينيين ومعتقداتهم الدينية ، ولا سيما مذهبه فى الكون وقوله بوجود قوة مجردة مدبرة رشيدة محركة لمادة الكون ،

وحاكمة لـه ، ومهيمنة عليه ، سماها العقل (nous) ، وسواء اكانت محاكمة اناكساجوراس قد جرت فى عام ٤٣٢ كما يرى معظم المؤرخين القدامى والمحدثين او جرت قبل ذلك بسنوات فى عام ٤٥٠ كما يرجح احد الباحثين ، فنحن لا نعرف عنها سوى انها انتهت بادانته . ولم يعد فى وسع بريكليس ان يفعل شيئا من اجل صديقه الحميم سوى ان يسهل له طريق الفرار من المدينة ، فرحل أناكساجوراس الى لامبساكوس ، احدى مدن الدردنيل ، حيث أسس مدرسة فلسفية . ولم تنل هذه التهم التى كيلت لاصدقاء الزعيم المقربين ـ بالحق او بالباطل ـ ولا الاحكام التى صدرت بادانتهم ؛ لم تنل من مركزه السياسي او تزعزع سلطته فظل ممسكا بأعنة الامور حتى نشوب الحرب البلوبونيسية الكبرى (٤٣١) . لكن محاكمة أناكساجوراس كانت سابقة تنذر بأخرى لاحقة اشهر منها ، هى محاكمة سقراط (٣٩٩) .

ولا مراء فى أن أريستوفانيس قد عانى فى شبابه ما عاناه بنو وطنه من ويلات الحرب البلوبونيسية (٤٣١ ـ ٤٠٤) ـ وهي حرب أهلية يستبين من مسرحياته انه كان من اشد معارضيها واقوى دعاة وقفها وانهائها . لقد هاله ما اصاب حقول ريف أتيكا من تخريب خلال السنوات الاولى على يد الجيش الاسبرطي فيما يعرف « بحرب ارخيداموس » ، احد ملكى اسبرطة وقائد قوات الغزو (٤٣١ ـ ٤٢٥) . وقد امتثل أريستوفانيس كغيره من السكان لقرار بريكليس بالاحتماء من هجمات العدو داخل «الاسوار الطويلة» ، وهى أسوار مزدوجة تمتد بين أثينا وبيريه لمسافة اربعة أميال تقريبا . وقد ترتب على تكدس الاهالي فى تلك المساحة الضيقة انتشار وباء يرجح انه الطاعون (صيف عام ٤٣٠) الذى أودى بحياة عدد غفير من الناس (يقدر بحوالى ربع السكان) . ومن المؤسف حقا أن يتهم بريكليس نفسه وقتئذ ـ نتيجة لانهيار الروح المعنوية فى بلده ـ بالاختلاس ويصدر الحكم بتغريمه وينحى عن منصبه لفترة لم تطل اذ لم يلبث ان اعيد انتخابه ـ على نحو ما حدث سنويا دون انقطاع منذ ٤٤٣ ـ قائدا ـ ضمن القواد العشرة ـ فى ربيع ٤٢٩ . لكن مرض الطاعون ـ الذى مات به ولدان لبريكليس من زواجه الاول ـ لم يلبث ان أنتاب الزعيم ولم يمهله طويلا فقضى نحبه بعد شهور قليلة فى خريف العام نفسه (٤٢٩) . وفقدت أثينا بموته زعيما شعبيا قديرا ، وخطيبا مفوها ، وسياسيا حاذقا نزيها نظيف اليد . وخسرته الدولة الاثينية وهى فى أشد الحاجة اليه لمعالجة مشاكل الحرب ومواجهة اخطارها .

٣ ـ أثينا من بعد بريكليس

ولم يخلفه الا زعماء شعبيون متطرفون(dêmagôgoi) من امثـال كليـون (٤٢٨ ـ ٤٢٢) ، وهيبربولوس (٤٢١ ـ ٤١٥/٤١٧) ، وكليوفون (٤١٠ ـ ٤٠٤) ومعهم قواد عسكريون متقلبو الاهـواء مغامرون يطغى طموحهم الشخصى على المصلحة القومية والـولاء للوطن من أمثال الكيبياديس (٤٢٠ ـ ٤٠٣/٤٠٤) أو آخرون ـ على نقيضهم ـ من امثال « نيكياس » الذى عرف ـ بصرف النظـر عن ايمانه بالخرافات ـ عرف بالاعتدال الذى بلغ حد التهاون والميل الى المهادنة والجنوح للسلم وايثار عقد الصلح مع اسبرطة علـى كسب الحـرب .

كان كليون (Cleôn) الزعيـم الشعبى الذى خلف بريكليس عام ٤٢٨ ، زعيما غوغائيا يجيد الخطابة المثيرة لهياج الدهماء باستغلال استيائهم من الاوضاع ، والتلويح لهـم بمـا يتمنونـه وتشتهيه أنفسهم ، تدعيما لمركزه ونفوذه السياسى . وكان متطرفا من انصار مواصلة الحرب والتوسع الاستعمارى .

وحدث ان انتقل مسرح القتال الى البلوبونيس (شبه جزيرة المورة) حيث استولى قائد أثينى ماهر يدعى ديموسثنيس على بيلوس (عند طرف خليج نوارينو) ، وهى قاعدة عسكرية هامة فى أرض الاعـداء . ثم ضرب الحصار على جزيرة سفاكتيريا المتاخمة فـى نفس العـام (٤١٥) . لكن على الرغم مما حشدته أثينـــا حول الجزيرة من سفن (٧٠ سفينة) وقوات محاربة (١٤٫٠٠٠ جندى وبحـار) فقد عجز القواد الاثينيون عن اخذ الجزيرة عنوة . وطال أمد الحصار واقترب الشتاء . وبلغت الانباء أثينـا فاتهم كليـون القواد العسكريين ـ فـى الجمعية الشعبية ـ بالتقاعس وعـدم الكفاءة ، وزعم انه لو كانت القيادة العسكرية العليا فى يده لاقتحم سفاكتيريا واسر الحامية الاسبرطية . وكان ذلك بمثابة توبيخ ساخر وغمـز لخصمه نيكياس القائد العام الـذى عرض التنازل له عـن القيادة العليـا . وأسقط فى يد كليـون وحاول التراجع . لكـن الاصوات تعالت فى الجمعية الشعبية مطالبة اياه بتولى القيادة . وابحر كليون فعلا الى سفاكتيريا مضطرا او على مضض . وهنـاك وجد ان ديموسثنيس قد اتم الاستعداد لتضييق الخناق علـى الجزيرة ، فاختاره وحده ليكون زميلا له فى القيادة .

وشاء له الحظ ان ينتصر انتصارا باهرا فاقتحم الجزيرة بعد أقل من ثلاثة اسابيع . وأسر ٢٩٢ جنديا من جنود الحامية الاسبرطية ــ وهو حدث كان له دوى فى العالم اليونانى . وساورت الاثينيين الاطماع فتأهبوا لضرب حلفاء اسبرطة فى وسط بلاد اليونان ، غافلين عن نصائح بريكليس الراحل بعدم الاشتباك مع العدو البلوبونيسى برا فى معارك نظامية . وجهزت أثينا حملة عسكرية هاجمت بويوتيا (الاقليم المتاخم لأتيكا) من ثلاث جهات للاطاحة بالحكم الاوليجركى فى مدن هذا الاقليم . واقامة حكم ديمقراطى موال لها . لكنها منيت بهزيمة كبيرة فى معركة ديليوم (خريف عام ٤٢٤) . وفى هذه المعركة البرية النظامية الوحيدة فى كل الحرب البلوبونيسية ، خسرت أثينا نحو ١٢٠٠ من خيرة جنودها المشاة كاملى العتاد . واضطرت عقب الهزيمة الى الموافقة على عقد هدنة مع اسبرطة وحلفائها لمدة سنة واحدة (٤٢٣) .

وقد اشترك سقراط فى معركة ديليوم المذكورة (خريف عام ٤٢٤) ، وابلى فيها بلاء حسنا واثبت ــ مثلما فعل فى معركة أخرى سابقة (معركة بوتيدايا ٤٣٢) وما سيفعله فى ثالثة لاحقة (معركة أمفيبوليس ٤٢٢) ، قدرته الفائقة على الاحتمال مؤكدا سمعته كجندي شهم شجاع . ويسترعي الانتباه أن سقراط قد تعرض وقتئذ للهجوم الساخر من جانب اثنين من شعراء المسرح الكوميدي اشتركا فى المسابقات الادبية التي عقدت فى أثينا بمناسبة اعياد ديونيسوس في ربيع ذلك العام ٤٢٣ ، عام الهدنة المشار اليها . وكان احدهما هو اميبسياس الذي تقدم بمسرحية بعنوان **كونوس** (Konnos) ــ وهو اسم معلم سقراط كأحد من شخصيات المسرحية . ولم يتبق لنا من هذه المسرحية سوى شذرات ، وان كنا نعلم انها نالت الجائزة الثانية (ونال الاولى شاعر كوميدي هو كراتينوس ، بمسرحية عنوانها بوتينه (Pytinê) . واما الشاعر الآخر فهو اريستوفانيس الذي تقدم فى المسابقة بمسرحية **السحب** (١٥) موضوع هذا الكتاب ــ والتي تهجم فيها على سقراط وتهكم به ورسمه فى صورة هزلية ماجنة ، بوصفه ــ فى زعمه ــ أمام السوفسطائيين . ولم تظفر هذه المسرحية الا بالجائزة الثالثة والاخيرة .

وانتقل مسرح القتال فى الحرب البلوبونيسية الى الشمال ولم يلبث كليون ان لقي مصرعه (خريف عام ٤٢٢) ، وهو يقاتل ضد جيش اسبرطي بقيادة براسيداس ، عند امفيبوليس ، وهي مستوطنة أثينة ذات اهمة حوية ، على نهر استروما(Strymon) قرب ساحل طراقيا فى شمال بحر ايجه . وقد اشترك سقراط ايضا كجندي من جنود المشاة فى تلك المعركة التي انتهت بضياع أمفيبوليس من يد الاثينيين . وقد مهد ذلك لفتح باب التفاوض وعقد صلح بين اثينا واسبرطة فى عام ٤٢١ ، على أساس الوضع الذي كان قائما عشية اندلاع الحرب الكبرى . وكان من المقرر أن يستمر هذا الصلح ــ المعروف « بصلح نيكياس » ــ خمسين عاما . غير ان أطماع الحزب الديمقراطي المتطرف فى التوسع غربا عبر البحر ، وحماس شبان أثينا الذين لم يستوعبوا دروس الحرب القاسية ولم يعتبروا بمحن السنوات السابقة ، ورغبة طبقة التجار فى فتح أراض جديدة على أمل ايجاد أسواق جديدة لترويج سلعهم وتنفيذ مشروعات استثمارية ، فضلا عن نزعة الطموح الشخصي الجامح لدى قائد مغامر مثل الكيبياديس تلميذ سقراط وصديقه الحميم ــ هذه العوامل مجتمعة حدت الجمعية الشعبية على اتخاذ قرار بارسال حملة بحرية ضخمة لغزو صقلية . ولم يكن للحملة فى الواقع أى مبررات قوية سوى تذرع الكيبياديس وأنصاره ببعض حجج واهية كضرورة نجدة المدن الايونية الاصل ضد أعدائها فى صقلية ، والسيطرة على هذه الجزيرة ذات الاهمية الاستراتيجية والاقتصادية ، والمبادرة الى منع المدن الدورية فيها من الانحياز جهارا الى المعسكر البلوبونيسى .

وقبيل خروج الاسطول الاثيني الكبير من ميناء بيريه ، حدثت جريمة دينية أثارت المشاعر واشاعت الفزع وروح التشاؤم في المدينة .

فقد وجدت ذات صباح التماثيل لهرميس ــ وهو اله السفر والارتحال ــ والمنبثة فى الطرقات ، وجدت مهشمة بفعل جناة مجهولين ــ وفسر هذا الانتهاك الصارخ للمقدسات بانه نذير بوقوع انقلاب اوليجركى للاطاحة بالحكم الديمقراطى (١٦) . واشارت اصابع الاتهام الى الكيبياديس وحفنة من الارستقراطيين من انصار

الحزب الاوليجركي . لكن الظروف لم تكن لتساعد على محاكمته فورا وترجيح ادانته وقتئذ ـ وخلى سبيله ليخرج مع الحملة بوصفه ابرز قوادها الثلاثة .

واقلعت سفن الاسطول الاثينى (صيف ٤١٥) متجهة الى صقلية حيث جرت بعض مناوشات قرب سراقوسة التى استشعرت الخطر المحدق بها فارسلت من فورها وفدا لطلب النجدة من اسبرطة وامضت وحدات الاسطول الاثينى الشتاء مرابطة فى مياه المدن الساحلية الحليفة . وفى مايو ٤١٤ شرع الاثينيون فى ضرب الحصار على سراقوسة ذاتها ، وهى الميناء الحصين والمدينة الرئيسية على الساحل الشرقى للجزيرة . ونصح احد القواد الثلاثة بالمبادرة بالهجوم فلقى مصرعه فى المناوشات الاولية . لكن الاسطول الاثينى مضى فى تشديد الحصار على المدينة الى ان جاءتها نجدة من اسبرطة التى ارسلت اليها بعض قوات تحت امرة قائد قدير لمساندتها الى مقاومة الغزاة ، وطال امد الحصار فارسلت القيادة الاثينية تطلب من حكومتها ارسال تعزيزات . ووقعت ثلاث معارك بحرية انتصر الاثينيون فى اولاها ، وان خسروا مواقعهم فى البر ، وانهزموا فى الثانية هزيمة فادحة جاءتهم فى اعقابها التعزيزات من اثينا (٤١٣) . لكن قائد هذه الامدادات اخفق فى الهجوم الذى دبره لاقتحام المدينة ليلا فاشار على زملائه بالانسحاب الفورى . ولاحقه العدو وفقد الاسطول الاثينى سيطرته على البحر ، واختل توازنه ونظامه ، ودمر كله تقريبا فى المعركة الثالثة . ولم يتمكن مشاة البحرية الاثينية من الفرار فاستسلموا للعدو . ووقع نيكياس ، احد القواد الثلاثة الذين اسندت اليهم حملة صقلية ، فى الاسر واعدم هو وقائد الامدادات (ديموسثنيس) وكان لاماخوس القائد الاخر قد قتل فى بداية عمليات الحصار . واما القائد الكبير الثالث وهو الكيبياديس اول المحرضين على شن الحملة فكانت الحكومة الاثينية قد استدعته حتى قبيل ضرب الحصار على سراقوسة ـ للمثول امام المحكمة فى اثينا واستجوابه للاشتباه فى تآمره مع اخرين فى جريمة انتهاك مقدسات الاله هرميس . وتظاهر بالامتثال للامر وركب السفينة التي جاءته لنقله الى أرض الوطن . لكنه غافل حراسه ونزل بأحد موانى ايطاليا ومنها فر لاجئا الى اسبرطة ، مرتميا فى احضانها مقدما لها مشورته وخدماته لضرب اثينا ، مترديا بذلك فى حمأة الخيانة العظمى . هكذا انتهت « الحملة الصقلية » (٤١٥ ـ ٤١٣)

بكارثة عسكرية فادحة . ولم تستطع اثينا النهوض من كبوتها هذه الا بشق الانفس ، وبذل اقصى الجهد والمال لبناء اسطول جديد .

وانهار الصلح الذى كان مقدرا له ان يستمر خمسين عاما . وتجدد القتال بين المعسكرين الاثيني والاسبرطي . وقد تقلب فيه حظ الفريقين المتحاربين اكثر من مرة . وتعرضت اثينا لانقلاب اوليجركى فى الداخل اتى « بحكومة الخمسة الاف » التى ما لبثت ان اطيح بها لتخلفها حكومة اوليجركية معتدلة واقل تطرفا من سابقتها تعرف بحكومة « الاربعمائة » (٤١١) . وسرعان ما نشب الخلاف بين اقطاب هذه الحكومة حول مفاتحة اسبرطة فى الصلح او الاستسلام لها ، واغتيل (فرينيكوس) زعيم الجناح الاوليجركى المتطرف الموالى لاسبرطة . وكان قواد الاسطول الاثينى المرابط عند جزيرة ساموس قد اعلنوا التمرد على الحكومة الاوليجركية — مهددين بالابحار الى اثينا لاعادة الحكم الديمقراطى بالقوة . واتخذوا قرارا بالصفح عن الكيبياديس — اللاجىء وقتئذ ، بعد ان نبذته اسبرطة لدى احد الولاة الفرس بالاناضول — ودعوته للانضمام اليهم . ولبى الدعوة ناصحا اياهم بالتريث وعدم مبارحة قاعدة ساموس البحرية نظرا لبالغ اهميتها العسكرية . وحدث ان ثارت جزيرة يوبويا المتاخمة لاتيكا ، وعضو حلف ديلوس ، على اثينا بتحريض من اسبرطة ، وافلتت من قبضة اثينا . وقد عجل ضياع يوبويا — وهى جزيرة ذات اهمية اقتصادية كبيرة لاثينا — بسقوط « حكومة الاربعمائة » بعد اربعة شهور (سبتمبر ٤١١) لتخلفها حكومة ديمقراطية (محدودة) . واقرت هذه الحكومة اقتراحا باستدعاء الكيبياديس من المنفى ٤١٠ . بيد ان الكيبياديس لم يعد الى اثينا من فوره بل بقى فى الخارج بمحض ارادته متابعا نشاطه مع زملائه من قواد الاسطول الاثينى ضد العدو الاسبرطى . وقد احرز بضعة انتصارات باهرة على الاسطول البلوبونيسى فى منطقة الدردنيل والبسفور ، مستردا كيزيكوس وخلقدونية وبيزنطة (٤١٠ — ٤٠٩) ، وهو ما حمل حكومة اسبرطه على مفاتحة اثينا فى امر الصلح على اساس الوضع القائم وقتئذ . غير ان اثينا رفضت العرض ، وتألق اسم الكيبياديس من جديد ، وازداد الاعجاب به ، وتطلعت الجماهير فى اثينا الى عودته بعد طول غياب بالمنفى .

وعاد الكيبياديس الى ارض الوطن عام ٤٠٧ ، حيث استقبل بحفاوة بالغة وترحيب شديد . وغفرت له خيانته ورد اليه اعتباره

ووجد انه قد انتخب قائدا ــ ضمن القواد العشرة لعام ٤٠٧ ــ مزودا وحده بسلطة مطلقة (stratêgos autocratôr) وما لبث ان عاد الى جبهة القتال فى ايونيا . وحدث ان نزل الكيبياديس الى ساحل الاناضول الغربي لجمع بعض القوات تاركا وراءه نائبه فى قيادة الاسطول ، بعد ان نصحه بعدم التحرش باسطول العدو . لكن هذا النائب لم يلتزم بالنصيحة واشتبك مع العدو فى معركة بحرية انتهت بالهزيمة عند نوتيوم (قرب افيسوس) فى اواخر عام ٤٠٧ أو أوائل عام ٤٠٦ وبلغ الخبر أثينا فأثار خصوم الكيبياديس الريبة فيه من جديد وتمكنوا من تأليب الرأى العام عليه . ولم يظهر اسمه بين القواد العشرة المنتخبين لعام ٤٠٦ فادرك انه ذلك يعنى عزله . وخشي العودة الى اثينا لمواجهة محاكمة محتملة واثر الفرار الى شبه جزيرة طراقيا (غاليبولى) حيث اعتصم بقصر حصين كان يملكه فى ضيعة له . وبقى فى عزلته الى ان احس بمطاردة اسبرطة له فالتجأ الى احد ولاة الفرس بالاناضول الذى اواه فترة ثم غدر به ــ بتحريض من اسبرطة ــ وارسل اليه من قتلوه غيلة باحدى قرى اقليم فريجيا . لكن الاسطول الاثينى لم يلبث ان احرز بعد هزيمته المذكورة ــ انتصارا كبيرا على الاسطول البلوبونيسى فى معركة عند ارجينوساى (Arginusae) ــ قبالة جزيرة ليسبوس فى اوائل عام ٤٠٦ وهو انتصار انتهى بحادثة مؤسفة اذ هبت عاصفة هوجاء ادت الى سقوط بضعة الاف من الملاحين فى البحر وعجز القواد الثمانية الذين اداروا المعركة عن انتشالهم من الغرق . وثار الرأى العام الاثينى مطالبا بتقديم القواد المسئولين للمحاكمة . وفر منهم اثنان . وقدم الستة الباقون للمحاكمة امام الجمعية الشعبية التى انعقدت (هى ومجلس الشورى) فى شكل هيئة قضائية . وصدف ان كان سقراط فى ذلك اليوم عضوا فى لجنة رئاسة مجلس الشورى التى اسندت اليها يومئذ رئاسة هيئة المحكمة . وتعالت الاصوات الصاخبة الغاضبة مطالبة بان تطرح لجنة الرئاسة مشروع قرار بادانة القواد الستة ادانة جماعية لا فردا فردا . ورفض سقراط وحده ذلك لمخالفته لنص القانون ، مثيرا عليه سخط اقطاب الحزب الديمقراطي ، لاصراره على رأيه ، غير عابىء بهياج الاغلبية الساحقة . وتم الاقتراع ــ رغما عنه ــ فصدر قرار بالادانة الجماعية للقواد الستة والحكم باعدامهم .

وتكاتفت عدة عوامل على كسر شوكة اثينا وترجيح كفة اسبرطة وكان من ابرزها تمرد المدن الاعضاء فى حلف ديلوس على زعامة اثينا

وتدخل الفرس لمساندة اسبرطة لا سيما بعد ان توثقت اواصر الصداقة بين القائد الاسبرطى القدير ليساندر وبين قورش الاصغر شقيق الملك الفارسي ، ونائبه فى الاناضول ــ والذى امد اسبرطة بالاموال لدعم اسطولها البلوبونيسي ودفع رواتب سخية للاحيه المرتزقة . واخيرا جاء يوم المعركة الفاصلة ، اذ بوغت الاسطول الاثينى الرابض عند ايجوسبوتامى Aegospotami على الضفة الاوربية للدردنيل بهجوم اسبرطى بقيادة ليساندر الذى اغتنم فرصة نزول الملاحين الاثينيين الى البر بحثا عن الزاد والمؤونة او للراحة . وقتل فى المعركة (اغسطس ٤٠٥) حوالى ٣٠٠٠ جندى وملاح اثينى ، واسرت عدة الاف اخرى منهم اعيدوا الى اثينا لتكتظ بهم المدينة وتزداد مشاكلها التموينية. ودمرت سفن الاسطول الاثينى كلها او اغرقت ماعدا تسع سفن تمكنت من الفرار ، فاتجهت ثمانى منها الى قبرص بقيادة « كونون » ، واما التاسعة المسماة (برالوس) ــ وهى السفينة الرسمية للدولة ــ فقد شقت طريقها عبر بحر ايجة حاملة معها نبأ الهزيمة المفجعة الى اثينا . وعاد ليساندر ليشدد حصاره على ميناء بيريه بحرا بينما كانت قوات بيلوبونيسية قد شرعت فى تطويق ارباض اثينا برا (نوفمبر ٤٠٥) . وضيق الخناق على اثينا وتهددها الفناء عندما حصدت المجاعة ارواحا كثيرة . واجريت مفاوضات مضنية لم تجد اثينا بعدها بدا من الاستسلام (ابريل ٤٠٤) . وطالب بعض حلفاء اسبرطة (مثل كورنثة وطيبة وغيرهما) بقتل رجال اثينا البالغين واسترقاق النساء والاطفال . لكن اسبرطة نفسها لم تستجب لهذا المطلب ، رافضة تدمير مدينة كأثينا لها تاريخ مجيد فى الدفاع عن الامة اليونانية ضد الفرس ، ورضخت اثينا لشروط الصلح المهينة التى نصت على هدم « الاسوار الطويلة » وتحصينات بيريه ، وتسليم كل ما تبقى من الاسطول الاثينى ما عدا ١٢ سفينة ، والجلاء عن كل الممتلكات الخارجية ، والسماح لكل الساسة انصار الحزب الاوليجركى بالعودة الى الوطن ، والسير فى ركاب الحلف البلوبونيسى فى كل ما يتعلق بالسياسة الخارجية مع التعهد بتزويده بوحدات عسكرية عند الاقتضاء . هكذا خبأ نجم اثينا بعد ان تألق فى سماء العالم الهلينى ردحا طويلا من الزمن ، وانتقلت الزعامة العسكرية والسياسية فى بلاد اليونان الى اسبرطة (٤٠٤ ــ ٣٧١) .

ولم تقف معاناة اثينا عند هذا الحد فقد تعرضت الديمقراطية لمحنة سياسية اذ وقع انقلاب اوليجركى ــ بايعاز من اسبرطة ــ اتى

(فى يوليو ٤٠٤) « بحكومة الثلاثين » التى عطلت الدستور ونكلت بالديمقراطيين وبكل من اشتبه فى ولائهم للنظام الجديد ، من مواطنين ومستوطنين اجانب ، وقتلت منهم الكثيرين دون محاكمة او بعد محاكمة صورية أو زجت بهم فى السجون ، وصادرت ممتلكاتهم . وفر منهم من استطاع الفرار . واشاعت حكومة الثلاثين او « الطغاة الثلاثين » فى اثينا جوا من الفزع والارهاب لم تشهد المدينة مثيلا له من قبل . غير ان زعماء الديمقراطية الذين لاذوا بالفرار تمكنوا من التجمع فى المنفى وحشد قوات عسكرية للزحف بها على اثينا وتمكنوا من الاستيلاءعلى ميناء بيريه والتحموا مع قوات حكومة الثلاثين بالقرب منه حيث انزلوا الهزيمة بها فى معركة ضارية (يونيو ٤٠٣) . وقد سقط كريتياس (Critias) رئيس هذه الحكومة وزعيم الجناح الاوليجركى المتطرف ، وعميل اسبرطة ، صريعا وهو يقاتل ضد الديمقراطيين حتى الرمق الاخير . وسقط معه ايضا قريبه خارميديس ، رئيس حكومة العشرة فى بيريه . وكلاهما كان قريبا لافلاطون ،وكلاهما كان فى الآصل رفيقا او تلميذا لسقراط . وطرأ تحول مفاجىء على سياسة اسبرطة فتدخلت للتوسط حقنا للدماء . وانتهى الامر بسقوط حكومة الثلاثين وحكومة العشرة التى خلفتها فى اثينا وفرار رجالها من المدينة الى ضاحية اليوسيس . وعادت الديمقراطية منتصرة الى اثينا (اواخر سبتمبر ٤٠٣) . وتألفت حكومة ديمقراطية معتدلة اعادت العمل بكل مواد دستور بريكليس تقريبا واصدرت عفوا عاما (فى ٤٠٣/٤٠٢) شمل كل المواطنين الذين تورطوا فى ارتكاب جرائم سياسية ، غير جرائم القتل العمد ، أثناء عام الطغيان والارهاب ، باستثناء رجال حكومة الثلاثين انفسهم ، وجلاديهم وبعض اذنابهم . وشرعت الحكومة الديمقراطية المعتدلة فى تعمير ما خربته الحرب البلوبونيسية واصلاح ما افسدته حكومة الطغاة ، لانتشال الدولة الاثينية من وهدتها الاقتصادية والاجتماعية والخلقية ، ورفع روح المواطنين المعنوية التى انهارت بانهيار زعامة أثينا فى الخارج ، وانتكاس الديمقراطية فى الداخل .

٤ ــ سقراط :

ولد سقراط (Sôcratês) فى احدى قرى اتيكا ولكنه عاش فى اثينا طوال حياته (٤٦٩ ــ ٣٩٩) وكان ابوه ــ فيما يروى ــ بناء او نحاتا ميسور الحال وكانت امه قابلة وقد ورث عن ابيه حرفته

فاشتغل فى صدر حياته بصناعة التماثيل فترة قصيرة من الزمن. وقد ادى انصرافه عن حرفته الى انقطاع مورد رزقه . غير ان ما تبقى لديه من مال سوى ورثه عن والديه أو كسبه من حرفته كان يكفى ـ على ما يبدو ـ لسد حاجاته الضرورية القليلة . وادى فى شبابه واجب الخدمة العسكرية كأحد الجنود المشاة . وتزوج سقراط فى خريف حياته امرأة تدعى (كسانثيبى) ويبدو انها كانت ثرية مدللة ، وقد نسجت حولها حكايات لا تخلو من الاختلاق او المبالغة ومفادها انها كانت شكسة حادة المزاج سليطة اللسان. وانجب سقراط منها ثلاثة اولاد كان احدهم صبيا بينما كان الاخران لا يزالان فى سن الطفولة عندما حكم على ابيهم بالموت وهو فى السبعين من عمره ـ عام ٣٣٩ (١٧)

وليس من المعروف ـ على وجه اليقين ـ متى بدأ اهتمام سقراط بالفلسفة وهي كلمة يونانية تعني (حب الحكمة) لقد كان بالفطرة شغوفا بالاستغراق فى التأمل والتفكير . ولعله تأثر اول ما تأثر بنفر من فلاسفة الطبيعة الذين قدموا من ايونيا واستقر بهم المقام فى اثينا . ولا يساورنا شك فى انه سمع عن اناكساجوراس . ومن المحتمل انه التقى به . ويروى انه كثيرا ما شوهد فى مستهل حياته فى صحبة ارخيلاوس ، الفيلسوف الاثينى ، تلميذ اناكساجوراس ، الذي بحث هو الاخر فى أصل الكون وعناصره الاولية . ويكاد يكون من المؤكد ان سقراط قد اشتغل بالفلسفة الطبيعية فترة قصيرة من حياته ، وانه لم يلبث ان عزف عن هذا اللون من الفلسفة الميتافيزيقية الذى يبحث فى ظواهر الكون ، ونشأة الوجود . لقد طرأ له فى حياته ما جعله ينصرف عن البحث فى اصل الوجود الى البحث فى الغاية من الوجود ، ومعنى حياة الانسان على الارض . وصب اهتمامه على دراسة الانسان نفسه وسلوكه الخلقى والخير والشر ، وسبل وصوله الى المعرفة الحقه او الحكمة ، ومن ثم الى الفضيلة (aretê) ، المؤدية بدورها الى السعادة الحقيقية.

وفى اكبر الظن ان نقطة التحول فى حياة سقراط الفكرية ـ تحوله من الميتافيزيقا (دراسة ما وراء الطبيعة) الى الاثيكا (دراسة الاخلاق) كانت تلك الحادثة الغريبة التى رواها افلاطون (خطبة الدفاع : ٢١ ـ ١) على لسانه امام المحكمة .

وتتلخص فى ان صديقا حميما لسقراط . يدعى خايريفون ، ذهب ذات يوم من تلقاء نفسه الى مركز بنوءة الاله ابوللون فى دلفى.

(بوسط بلاد اليونان) ليسال بيثيا (نبية هذا الاله) عما اذا كان هناك أحد أحكم من سقراط . وجاءه الجواب بأنه ليس هناك من هو احكم منه . وقفل راجعا الى اثينا حاملا جواب الاله ومذيعا امره بين الناس . وأستغرب سقراط الخبر وراح يتقصى حقيقته لانه لم يعرف فى اول الامر ما تعنيه النبوءة ، وشرع يحاور من اشتهروا بالحكمة فى المدينة من ساسة وشعراء وخطباء وغيرهم من اصحاب المهن الحرف ، مؤملا ان يجد بينهم من هو اكثر منه حكمة . لكنه اكتشف أن من استوقفهم للتحاور معه يدعون المعرفة ويزعمون الالمام بكل شيء بينما هم فى الواقع لا يعرفون الا النذر اليسير حتى فى مجال تخصصهم اولا يعرفون شيئا قط معرفة صحيحة ، امـا سقراط نفسـه فلم يدع المعرفة وكان يعلم انه لا يعرف شيئا . وبذلك تكون النبوءة قد صدقت ، ومغزاها قد اتضح . وتيقن سقراط انه احكم اهل المدينة قاطبة لانه يأخذ على الاقل بالحكمة القائلة « اعرف نفسك » ــ وهى حكمة قديمة محفورة على مدخل معبد ابوللون فى دلفى .

هكذا نذر سقراط على نفسه البحث عن المعرفة الحقة او الحكمة منتهجا اسلوبا جديدا فريدا فى الحوار ، برع فيه وتميز به فعرف بالحوار السقراطي ، وهو أقرب ما يكون الى الاستفهام أو الاستجواب (elenchos) كان يبدأ بطرح السؤال على محدثه مستفسرا منه عن معنى او مفهوم لفظ مجرد كالتقوى او الجمال او العدالة . ويتظاهر بالتصديق على جوابه ، مدعيا الغفلة عن نقطة اساسية تركها محدثه مبهمة دون ايضـاح . ويمضى سقـراط فى سؤاله والتعقيب على اجاباته ، مستوضحا منه ما استبهم عليـه . ثـم يستدرجه من حيث لا يعلم فيسترسل فى الكلام ويتمادى فى الخطأ حتى يقع فى تناقض ظاهر كأن يقول فى النهاية عكس ما كان قد اكده فى البداية . وبذلك ينكشف جهله او قصور معرفته او يتأكد له عجزه عن الفهم . ولم يكن سقراط يقصد بذلك مجرد فضح أدعياء المعرفة او اثبات تفوقه العقلى عليهم ، وانما كان هدفه البحث عن امثل الطرق للتوصل الى الحقيقة . وقد اتضح له ان الادراك العقلى ــ لا الادراك الحسى هو السبيل الوحيد للمعرفة اليقينة . ورأى ان « الاستجواب » فى التحاور هو افضل السبل التى تمكنه من ان يستنبط من اجابات محاورية ــ عن طريق الاستقراء ــ ما يفترض أن يكون تعريفا جامعا مانعا لمفهوم مجرد معين يصلح لان يكون اساسا لحقيقة ثابتة ومعرفة صحيحـة .

ولم يكن سقراط يهتم بمظهره الخارجي فكان قليل العناية بملبسه ، يرتدي عباءة خلقة رثة .
ويمشي حافيا في الطرقات . وكان متقشفا في مأكله ، زاهدا في متع الحياة . وقد حبته الطبيعة قوة في البدن وقدرة كبيرة على الاحتمال ، وحرمته نعمة الوسامة ، فكان قبيح الوجه ، دميم الهيئة على نحو ملفت للانظار . لكن شتان بين منظره ومخبره اذ كان يمكن وراء هذا القبح ، عقل متوقد الذكاء وفكر ثاقب وبصيرة نافذة ، فضلا عن نفس أبية وروح قوية ، وخصال جميلة . وكان سقراط على صلابته في الحق وثباته على المبدأ وعمق شعوره بالواجب ، رجلا سمح الطبع ، رقيق الحاشية ، حسن المعشر ، محبا للدعابة ، بارعا في التهكم . وكان فوق ذلك كله مؤمنا كل الايمان بقيمة الانسان وقدرته على تحقيق ذاته عن طريق العقل .
وقد تضافرت هذه الخصال على جذب كثير من الناس الى التحلق من حوله أو الاختلاف الى مجلسه للاستماع الى أحاديثه الطلية ومناقشاته الطريفه ومحاوراته اللبقة . كان بعضهم من اقرانه الذين ينتمون مثله الى الطبقة البورجوازية الدنيا كالحرفيين والفلاحين والباعة المتجولين أو صغار التجار . وكانوا يستشيرونه أحيانا فيما يعرض لهم من مشاكل شخصية . وكان بعضهم الآخر من الشبان سليلي الاسر الاستقراطية الثرية الذين تواقدوا عليه ليأخذوا عنه طريقة في الحوار الاستجوابي ومنهجه الجدلي ومحاجاته لمن زعموا انهم أهل الرأي في المدينة وكيف كان يسوقهم الى الارتباك والتخبط فينصرفون عنه حانقين على تهكمه بهم . لقد استطاب هؤلاء الشباب الاثرياء رفقة سقراط مؤملين في ان يتزودوا منه بما قد ينفعهم في مستقبل حياتهم ، بوصفهم أكثر من غيرهم تطلعا الى الاشتغال بالسياسة وشغل مناصب الحكم المرموقة . وكان يأتي سقراط احيانا بعض المفكرين الجادين لاستطلاع رأيه فيما استبهم عليهم من مشكلات فلسفية . وكان يلقاهم جميعا بصدر رحب ولا يضن على احد منهم بالنصيحة أو الرأي . وقد داب نفر غير كثير من هؤلاء على اتباعه اينما ذهب وحضور مجلسه ، والتحاور معه . ومن هذا النفر تكونت « الحلقة السقراطية » التي كانت تضم أعضاء بعضهم كانوا مواطنين أثينيين ، وبعضهم الآخر مستوطنين اجانب أو غرباء وافدين . كانوا مختلفي الاعمار والاوضاع الاجتماعية والمواهب والمشارب . وكانت بواعث تحلقهم حوله متباينة . كان القاسم

المشترك بينهم هو حبهم لسقراط واعجابهم به . وقد تمكن سقراط بفضل شخصيته الفذة من ان يذهب أو يطمس ما بينهم من فوارق ، ويؤلف بين قلوبهم . وبدهي أن درجة صلتهم به كانت متفاوتة ، وان اعتبرهم جميعا « أصدقاءه » .

كان من بينهم عدد قليل ن من امثال صديقه القديم كريتون ، وتلميذه النابه افلاطون وحبيبه الكيبياديس — مقربين اليه وتربطهم به صداقة حميمة ، ويشكلون — بوصفهم خلانه ورفاقه الاثيرين الى قلبه (hetairoi) / بطانته المصطفاة داخل « الحلقة السقراطية » وقد فارقه لفيف منهم بعد سنوات كثيرة أو قليلة بينما لزمه لفيف آخر حتى آخر لحظة من حياته ، وبقوا على وفائهم لذكراه بعد مماته .

ولم يؤسس سقراط مدرسة فلسفية ولا كان صاحب مذهب فلسفي منهجي محدد . ولم يكن معلما بالمعنى الدقيق للكلمة بل كان مربيا أكثر منه معلما . كان همه الاول حث مريديه على التفكير بأنفسهم ولانفسم وتنظيم حياتهم على ضوء افكارهم الخاصة لا أفكار غيرهم . لقد اقتصرت مهمته على مساعدتهم على استيلاد الافكار الكامنة فى عقولهم وبعثها من رقادها واخراجها الى الحياة والنور . وقد شبه سقراط نفسه بالقابلة التى تقوم بالتوليد — وهذه مهنة أمه — دون ان تكون هي نفسها قادرة على الولادة . كان يؤمن بالمعرفة الجوانية النابعة من البصيرة لا بالمعرفة البرانية المنقولة عن الآخرين . وقد حث تلاميذه على اخضاع كل شيء للتفكير العقلاني دون التأثر بأي عوامل خارجية أو انفعالات عاطفية ، والتحقق من صحة الفروض التي يبنون عليها أحكامهم وكانت وسيلته الى ذلك هي المناقشة بطريقة الحوار أو بالاحرى بالجدل (الديالكتيك) أي تقصى صحة الآراء والمعتقدات واختبارها عن طريق السؤال والجواب ، والتصويب والتعقيب الذي لايخلو — فى حالة سقراط — من التهكم سواء من محاوره أو حتى من نفسه . وبذلك يكون قد غرس فى نفوس طلابه روح النقد والشك فيما يعرض لهم من أمور لا تستقيم مع العقل . وكان أول من اعطى دفعة قوية لتطوير الفكر الفلسفي لا فى علم الاخلاق فقط بل فى علم المنطق ايضا .

ولكي ندرك سبب رواج تعاليم سقراط بسرعة مذهلة علينا ان نأخذ بعين الاعتبار عاملين جوهريين احدهما شخصيته المدهشة

الجذابــة ، والآخـر التيارات الفكريـة السائـدة فى عصره . فقد مارس نشاطه الفكري فى عصر لا نجافي الصواب كثيرا اذا عرفناه « بعصر السوفسطائيين » . وتعني كلمة سوفسطائي (sophistês) لغويـا « الحكيـم » ، أي المـاهر أو البارع أو الخبير فى أي فن أو مهنة . لكنهم مالبثت أن اكتسبتمعنى ضيقا ، ينطبق بوجه خاص على طائفة من المعلمين المتجولين . كان هؤلاء المعلمون يتنقلون من مدينة يونانية الى أخرى لالقاء دروس — فى شكل محاضرات — على الراغبين فى التعلم والتزود بالمعرفة .

وقد استقر نفر منهم فى أثينا خلال القرنالخامس . وزعموا انهم قادرون على تزويد المرء بألوان المعرفة التى تؤهله للنجاح فى مستقبل حياته العملية ، الخاصة منها والعامة . وقـد تهافت عليهم كثير من شبان أثينا المتشوقين الى استكمال تعليمهم بمـا نسميه اليوم « التعليم العالي » وكان منهج الدراسة عندهم — أو عند الكثير منهم — يشتمل على مواد كثيرة أتى فى مقدمتها علـم البلاغة بأوسع مفهوم للكلمة ، بقصد اجادة الخطابة ، والبراعة فى القاء الخطب . وهو شيء لم يكن نافعا فقط بل ضروريا لمن يتطلع الى خوض معترك السياسة أو يتوقع وقوفه أمام احدى المحاكم أما كمدع أو مدعي عليه للدفاع عن نفسه (دون محام) فى بلـد اشتهر أهله بالانغماس فى الخصوماتالحزبية والمنازعات القضائية. وبالاجمال كان السوفسطائيون يعلمون تلاميذهم فن الاقناع ، والمجادلة لاقحام الخصم واسكاته سواء بالحجـة الصحيحة أو الزائفة المموهة بزخرف الكلام ، وذلـك بغية كسب أي دعوى بالحق أو الباطل ، « وجعل القضية الخاسرة قضية رابحة » . وقد أخذوا على عاتقهم أيضا تزويد الطالب بمعرفة « موسوعيـة » وواجباته ، مدعيـين قدرتهـم على تعليمـه « الفضيلة » aretê - وهي كلمة يونانية لاتعني بالضرورة الفضيلة الخلقية ، بل قـد تعني البراعة الفائقة أو التميز والتفوق — على الآخرين — فى اي مهنة أو فن من الفنون . وكان السوفسطائيون يتقاضون اجورا من تلاميذهم على خدماتهم التعليمية ، وهي اجور كانت تتفاوت بتفاوت مكانتهم وشهرتهم . وكان تقاضي الاجر على التعليم امرا غير مألوف فى أثينا قبل قدومهم اليها — وقـد أثـار استهجان الكثيرين ولا سيما الفقـراء الذين كانت نفقات التعليم لـدى السوفسطائيين فوق طاقتهم المالية .

بيد ان السوفسطائيين كانوا من ناحية أخرى رواد حركة التنوير فى أثينا ونشر الثقافة وانعاش الحياة الفكرية . كان للبعض منهم تعاليم تدعو الى مناقشة كل شيء واثارة الشك فى امكان ايجاد معايير ثابتة للسلوك الخلقي بل فى امكان الوصول الى المعرفة اليقينية . وقال احدهم بان الانسان هو مقياس كل شيء ، وما يراه حقا فهو حق بالنسبة اليه ، وما يراه باطلا فهو باطل بالنسبة اليه ، ومن‌ثم فان الحقيقة تكاد تكون مستحيلة ، وانها بالضرورة نسبية . هكذا أثار السوفسطائيون سواء كمعلمين للبلاغة الساخرة أو كأصحاب مذاهب متطرفة نفور قطاع كبير من المواطنين وارتياب المتزمتين الذين أوجسوا خيفة من تأثير نشاطهم التعليمي والفكري الهدام اذ كان من شأنه أن يهدد بتقويض اسس التربية التقليدية ، ويبث روح التمرد فى نفوس تلاميذهم على القيم الخلقية والدينية الموروثة والاعراف والقوانين الوضعية .

ويتضح من ذلك كله أن سقراط لم يكن من السوفسطائيين فهو لم يكن ـ كما اسلفنا ـ معلما بالمعنى الحرفي للكلمة ، ولا كان يتقاضى أي أجر من تلاميذه ، فعاش فقيرا معدما بينما اقتنى أقطاب السوفسطائيين ثروات طائلة وعاشوا فى رغد مترفين . لم يدع ـ كما أدعوا ـ تزويد مريديه بمعرفة موسوعية تؤهلهم للنجاح والتفوق فى حياتهم العملية . ولا كان سقراط مدرسا للبلاغة ووجوه حسن البيان أو الخطابة المنمقة أو فن الاقناع بالتلاعب بالالفاظ والمخاتلةأو الباس الحق بالباطل .

وقد انكر سقراط امكان تعليم « الفضيلة » وقال بامكان التحري والبحث عن الطريقة المثلى للوصول الى المعرفة الحقة التي اعتبرها صنوا للفضيلة التي تؤدي بدورها الى خير الانسان وسعادته الحقيقية . ولقد ادرك الفارق بين مجرد الرأي وبين المعرفة اليقينية التي لا سبيل الى الوصول اليها ـ فى رأيه ـ الا بالادراك العقلي ، لا بالادراك الحسى . وفى الحق أن سقراط كان نقيض السوفسطائيين وخصيمهم المبين فى مجال التفكير العقلاني .

ومع هذا كله فقد كانت هناك نقاط تشابه بين سقراط والسوفسطائيين ، وان كانت ظاهرية . فقد اهتموا ـ مثله ـ بالانسان وقضايا السلوك والمعرفة ، وعملوا على انماء نزعته

الفردية ، واطلاق عنان حريته الفكرية ، ودعوه الى مناقشة كل شيء بعقل متفتح ، وازالة الغشاوة عن عينيه توضيحا للرؤية ، ونقد كل ما لا يقبله عقله من معتقدات قديمة بالية . لكن من الصحيح — بل من المؤكد ايضا — ان وسائل سقراط لتحقيق هذه الغاية قد اختلفت عن وسائل السوفسطائيين الذين نشأت بين ظهرانيهم نظريات مشبوهة ومذاهب متطرفة كالمذهب القائل بأن « الغاية تبرر الوسيلة » وأن « القوة هى الحق » ، ومذهبهم « اللاأدرى » في وجود الآلهة .

وأما عن معتقدات سقراط الدينية فلا سبيل الى معرفتها الا من خلال ما رواه كتاب من أمثال كسينوفون ، صديقه الذي عاصره ، فى بعض مؤلفاته ولا سيما «دفاع سقراط»و«الذكريات»، وما سرده ديوجنيس اللائرتي ، فى كتابه « سير الفلاسفة ومذاهبهم » الذي صنفه فى القرن الثاني بعد الميلاد ، وما وضعه أفلاطون تلميذ سقراط الاثير الىنفسه،على لسان استاذهفىمحاوراته المسماة بالمحاورات السقراطية : يوثيفرون وكريتون وفيدون ، وبخاصة « الدفاع » التي هي فى الواقع خطبة قضائية وليست محاورة . ويتضح من ذلك كله ان سقراط كان رجلا فاضلا قويم الخلق ، تقيا ورعا ، ذا شعور ديني صادق ، حريصا على مراقبة الآلهة فى كل اعماله ، وتأدية الشعائر الدينية ، وان لوحظ ان ابوللون ، اله التنبؤ بالغيب ، وكان له منزلة خاصة فى قلبه ، بل انه ليتحدث — في خطبة الدفاع — تارة عن آلهة ، وتارة أخرى عن اله واحد ربما يكون ابوللون نفسه . وليس هناك دليل على أن سقراط كان ينتمي الى طائفة أو فرقة صابئة او مارقة من دين الدولة . لكنه لم يجد حرجا من ان يصرح للملأ بل يعترف للمحلفين — اثناء محاكمته — بتلك المعاناة أو التجربة الروحية التي كان يتعرض لها بين الحين والآخر طوال حياته ، اذ كان هناك صوت باطني او نداء خفي أو هاتف رباني (**daimonion**) يتردد فى صدره منذ نعومة أظفاره ، وينهاه عن شيء كان يهم بعمله ويقيه من السوء والخطأ والخطيئة ، ولكنه لا يحضه ابدا أو يحرضه على اتيان شيء . هذا من ناحية الصوت المنذر أو « النذير » . أو القوة المانعة . وأما عن القوة الدافعة فقد تحدث سقراط أيضا بصراحة عن أمر الاله — دون ان يعين اسمه — يلح عليه ان يمضي قدما فيما أخذه على عاتقه من بحث وتحر عن الحقيقة بالاستفهام عنها عن طريق التحاور مع الناس أينما لقيهم،

واستجوابهم دون كلل أو ملل . ومن ثم فليس بوسعه ان يخالف عن أمر الاله الذي اصطفاه لحمل الامانة أو أن يتقاعس عن تأدية هذه الرسالة من أجل ارشاد قومه وصلاحهم وهدايتهم سواء السبيل .

وقد مارس سقراط حقوقه وواجباته كمواطن أثيني عادي ينتمي الى طبقة البورجوازية الصغيرة . وأدى فى صدر شبابه واجب الخدمة العسكرية الالزامية لمدة سنة أو سنتين ، ثم لبى نداء الوطن وشارك كأحد الجنود المشاة في ثلاث معارك حيث أبدى ـ رغم تقدم سنه ـ من ضروب الشجاعة والاقدام والاحتمال ما جعل الناس يشيدون ببسالته . لكن أسهام سقراط فى تدبير شئون المدينة أي فى سياستها كان ضئيلا بالقياس الى غيره من المواطنين ، اذ لم يشارك الا بالقدر المفروض عليه .

لقد أصبح ـ كسائر المواطنين الذكور بعد بلوغهم سن الثامنة عشرة ـ عضوا فى الاكليسيا (الجمعية الشعبية الاثينية) ، وهي عضوية دائمة مدى الحياة ، وظلت غير مأجورة الى أن تقرر ـ بعد الحرب البلوبونيسية ـ اعطاء أجر ضئيل غير مجز لا يتجاوز أوبولا واحدا (= سدس دراخمة) عن كل جلسة . ولم يكن هناك ما يلزم المواطنين بحضور اجتماعات الاكليسيا التي كانت تزيد على الاربعين اجتماعا في السنة . وقد تركت لهم حرية الحضور أو الغياب حسب ظروف كل منهم ، وان كان زعيم كبريكليس قد اعتبر المشاركة فى مناقشات قضايا الساعة فى الجمعية واجبا وطنيا لا يليق التخلي عنه . ومع افتقارنا الى الدليل القاطع فمن المرجح أن سقراط الذي ضاق وقته حتى عن السعي وراء رزقه لانشغاله بأمور اخرى ، قلما كان يحضر اجتماعات « الجمعية الشعبية » .

وقد مر بنا كيف جاء دور سقراط ذات مرة ، بعد بلوغه سن الثلاثين ، واختير ـ بالقرعة ـ ضمن خمسين رجلا من قبيلته ، عضوا فى البولي (Boulê) ـ وهو مجلس الشورى الاثيني المؤلف من ٥٠٠ عضو (بواقع ٥٠ عضوا عن كل قبيلة من قبائل المواطنين العشر) . وكانت العضوية فيه لمدة سنة واحدة أو سنتين غير متتاليتين . ولم تكن مأجورة الا منذ أيام بركليس الذي قرر لها اجرا يوميا لا يزيد على ثلاثة أوبولات (أي نصف دراخمة) . وتيسيرا للعمل في مجلس الشورى على

مدار السنة فقد رؤى توزيعه على لجان القبائل العشر بالتناوب . وحل دور قبيلة سقراط في رئاسة المجلس وتولى ممثلو هـذه القبيلة شئونه وانيط بهم العمل يوميا لمدة عشر السنة ، وهي فترة كانت تتراوح ـ وفقا للتقويم الاثيني ـ بين ٣٤ ، ٣٩ يوما . فكانوا يقومون باعداد جدول الاعمال ، وصياغة مشروعات القرارات (توطئة لعرضها على المجلس بكامل هيئته ثم احالتها الى الجمعية الشعبية للتصديق عليها بصورة نهائية) ، وترتيب اجتماعات مجلس الشورى والجمعية الشعبية ، واستقبال السفراء ، وتلقي الرسائل الموجهة الى الدولة ، وانجاز المهام اليومية الروتينية . وقد بنيت لاعضاء اللجنة الرئاسية قاعة مستديرة (Tholos) بجوار دار مجلس الشورى (Bouleutêrion) حيث كانوا يتناولون وجباتهم الرئيسية يوميا على نفقة الدولة طوال فترة رئاستهم . وفي كل يوم كانت هذه اللجنة الخمسينية (الممثلة لاحدى القبائل) تختار بالقرعة واحدا من اعضائها ليتولى رئاستها يوما واحدا .

وكان هذا الرئيس الاعلى (epistatôs) يبقى في « القاعة المستديرة » لممارسة مهامه ، ومعه ثلث أعضاء اللجنة (حوالي ١٧ عضوا مختارين بالقرعة) لمدة ٢٤ ساعة فقط . وكان يعهد اليه يومئذ بخاتم الدولة ومفاتيح الخزائن ودار المحفوظات العامة . كذلك كان يرأس مجلس الشورى والجمعية الشعبية اذا تصادف دعوتهما للانعقاد معا في يوم رئاسته ، ولم يكن الدستور الاثيني يجيز لاي مواطن ان يكون رئيسا (epistatôs) الا مرة واحدة في حياته . واتفق أن أختير سقراط عضوا في اللجنة المصغرة (المؤلفة من حوالي ١٧ عضوا) ـ أو لعله اختير رئيسا لهذه اللجنة ـ حسب رواية أخرى ـ لمدة يوم واحد . وصدف في ذلك اليوم أن دعي مجلس الشورى والجمعية الشعبية للانعقاد معا كهيئة قضائية عليا للنظر ـ كما اسلفنا ـ في قضية بالغة الخطورة ، وهي قضية ستة من القواد العسكريين الذين قدموا للمحاكمة بتهمة التقصير في انتشال الغرقى من ملاحي الاسطول الاثيني الذين سقطوا في البحر اثر هبوب عاصفة هوجاء أثناء معركة أرجينوساى (قبالة جزيرة ليسبوس قرب ساحل الاناضول الغربي) عام ٤٠٦ (١٨) . وآلت رئاسة المجلسين ـ وفقا للدستور ـ الى اللجنة التي كان سقراط رئيسها أو أحد أعضائها (١٩) . كان جو الاجتماع مكفهرا ، متوترا ، مشحونا

بالاسى والغضب والتذمر لان عدد الغرقي ــ رغم انتصار أثينا في المعركة المذكورة ــ قد تجاوز الخمسة آلاف بحار . وطلبت الاغلبية من لجنة الرئاسة ان تعرض للتصويت مشروع قرار بادانة جماعية للقواد الستة . لكن سقراط وحده اعترض على ذلك الاجراء لتعارضه مع قرار شعبي سابق (Psêphisma) اكتسب قوة القانون (nomos) وينص على محاكمة القواد فردا فردا . وأصر سقراط على موقفه بينما تخاذل حتى زملاؤه في لجنة الرئاسة وتراجعوا عن رأيهم الاول . ورفض ان ينتهك القانون غير عابىء بالحاح الزعماء الديمقراطيين ــ المتطرفين منهم والمعتدلين ــ الذين توعدوه أو هددوه بالويل والثبور ، وغير مكترث بهدير أعضاء المجلسين من الدهماء الذين تعالت أصواتهم منددة به مستنكرة موقفه . وطغى التهور على التروي . ونحي سقراط عن موقعه وأجرى الاقتراع وصدر قرار الاغلبية بادانة القواد الستة ادانة جماعية . وتم تنفيذ حكم الموت فيهم دون توان ، وكان من بينهم بريكليس « الصغير » ، ابن بريكليس - الزعيم الكبير الراحل ، من خليلته اسباسيا . حدث ذلك في وقت كانت فيه مقاليد الحكم في أثينا بيد الحزب الديمقراطي .

ولم تتخذ هذه الحكومة اي اجراء ضد سقراط ، بل قيل ان شعورا بالندم قد سرى في المدينة فيما بعد على التسرع في اعدام هؤلاء القواد . ولئن دل ذلك على شيء فانما يدل على حكمة سقراط ، وشجاعته الادبية ، وصلابته في الحق . وتشبثه بالعدالة ، وايمانه بسيادة القانون .

وفيما عدا ذلك لا نسمع عن أي نشاط مارسه سقراط في ميدان السياسة . لكننا نعرف أنه استنكر جهارا بعض مبادىء الديمقراطية الاثينية كمبدأ القرعة ــ بدلا من الانتخاب في الترشيح لكل الوظائف العامة (ما عدا مناصب القواد العسكريين العشرة) ــ وهو مبدأ ينطوي على العشوائية وكثيرا ما كان يضر بمصلحة الدولة عندما يتولى الوظائف العامة غير المؤهلين او غير ذوي الخبرة والمعرفة ــ تلك المعرفة الصحيحة التي أفنى سقراط عمره باحثا عنها . ويكاد يكون من المؤكد ــ رغم افتقارنا لاي دليل سوى معرفتنا بأخلاقه ــ أنه كان يستهجن الديمقراطية المتطرفة (الفوغائية) والاوليجراكية المتطرفة سواء بسواء فقد حدث بعد هزيمة أثينا الاخيرة في الحرب البلوبونيسية واستسلامها لاسبرطة

أن أطيح بالحكومة الديمقراطية ، وتولت السلطة في أثينا — كما ذكرنا — حكومة أوليجركية متطرفة ، عرفت باسم « حكومة الثلاثين » أو « الطغاة الثلاثين » (٤٠٤/٤٠٣) . ولم تتورع هذه الحكومة عن تعطيل الدستور والتنكيل بخصومها الديمقراطيين بزجهم في السجون ومصادرة أملاكهم أو نفيهم أو قتلهم دون محاكمة أو بمحاكمة صورية . وقد تمكن كثير من الديمقراطيين من الفرار من المدينة ناجين بأنفسهم . ولم يفر سقراط معهم ، بل بقي في أثينا طوال سنة حكم الارهاب . وقد تحدى هذه الحكومة ذات مرة عندما رفض الامتثال لامر منها بالمساعدة في القبض — على أربعة آخرين — على مستوطن أثيني ثري من جزيرة سلاميس يدعى ليون — واحضاره تمهيدا لاعدامه . لقد ربأ بنفسه عن التورط في تنفيذ أمر كهذا يتجافى مع العدل والخلق ويتنافى مع القانون . ويستلفت النظر ان « حكومة الثلاثين » التي كان بوسعها ان تبطش به كفت أذاها عنه ، ولعلها لم تفعل أكثر من تحديد اقامته أي وضعه قيد الاقامة الجبرية في بيته ، تقليصا لنشاطه وتكميما لفمه . ويقول سقراط — في محاورة « الدفاع » لافلاطون (٣٢ د — هـ) — انه ربما كان قد لقي مصرعه على يد هذه الحكومة لولا ان القدر عجل بسقوطها . لكن هناك بين الباحثين من يرى ان حكومة الطغاة لم تتخذ أي اجراء صارم ضد سقراط لان زعيمها كريتياس (Critias) كان لايزال يكن قدرا من المودة لاستاذه السابق سقراط . ومع هذا فمن التجني ان يؤخذ من بقاء سقراط في أثينا بعد الانقلاب الاوليجركي وعدم خروجه من المدينة مع الديمقراطيين ، دليلا على تعاطفه مع الاوليجركية او نفوره من الديمقراطية .

لقد كان لسقراط اصدقاء في الحزبين الديمقراطي والاليجركي وبعضهم كانوا من رفاقه او اتباعه وتلاميذه ، وان لوحظ ان اغلبهم كانوا بحكم نشأتهم الارستقراطية الثرية من ذوي الميول الاوليجركية . لكن سقراط لم يزج بنفسه في معترك السياسة الشائك ، وهو معترك — كما يقول — محفوف بالمخاطر بالنسبة لرجل مثله لا يصده شيء عن الجهر برأيه وقول كلمة الحق مهما تكن العواقب . ولم يكن عضوا — على خلاف معظم مواطنيه — في اي حزب سياسي ، ولا كان له اي طموحات سياسية . وقد نعى عليه كثير من الناس — ولا سيما خصومه — عزوفه عن المساهمة في خدمة مصالح بلده . لكنه لم يجد في مسلكه ما يبرر اللوم او الانتقاد . لقد انفق

وقته كله تقريبا ـ لا فى البحث عن قوت يومه ـ بل فيما اعتقد انه اصلح له وانفع لبنى قومه من السياسية . لقد انصرف ـ كما رأينا ـ عن الشئون العامة وانكب على دراسة الانسان والغاية من وجوده ، ناذرا على نفسه التحاور مع كل من يأنس فيه الرغبة فى الحوار ، ومع مريديه وتلاميذه فى حلقته الدراسية ، بحثا عن المعرفة الصحيحة ، قادحا ذهنه للتوصل الى تعاريف جامعة مانعة للمفاهيم الخلقية ، وايجاد معايير سليمة للسلوك القويم ، تحقيقا لخير الانسان وسعادته الحقة . فمن التعسف ان يقال انه كان يشكل خطرا داهما او غير داهم على اي نظام من انظمة الحكم .

غير ان رجلا على شاكلة سقراط كان حريا بان يثير بمسلكه فى الحياة وموقفه ازاء المجتمع والدولة ، كثيرا من الحيرة والريبة فى أمره . صحيح انه لم يروج أي أفكار هدامة ولم يدع الى كراهية الحكم أو الى الخروج على القانون أو العرف ، لكنه كان ينادي بحرية الفكر ويبث فى نفوس الشباب النزعة الفردية ، والاستقلال بالرأي ، ومناقشة اي مسألة بعمق وموضوعية . وهذه مبادىء لا تنسجم دوما مع نظام الحكم ايا كان شكله ، وكثيرا ما تؤدى الى الاصطدام بالسلطة . ولم يكن من المتوقع ان يحظى رجل مثله ، متين الخلق ، قوي الارادة ، متمسك باهداب الفضيلة ، متجرد من الاهواء الشخصية ، متشبث بالحق والعدل وسيادة القانون ، ان يحظى برضا الحزب الديمقراطي او الحزب الاوليجركي . وبغض النظر عن غرابة مظهره واطواره فان طريقته الجديدة فى الحوار بحثا عن الحقيقة وكشفه القناع عن ادعياء المعرفة ، وتوريطه لهم فى الخطأ ، وتضييق الخناق عليهم فى المناقشة حتى يقعوا فى التناقض والحرج ، ويتعرضوا للتهكم والسخرية ـ كل ذلك كان من شأنه ان يثير عليه غضب ذوي المكانة منهم بوصفهم من أهل الرأي فى المدينة . كذلك اثار سقراط انزعاج فريق آخر من المواطنين المتزمتين الذين ساورتهم المخاوف من ان تؤدي تعاليمه الى التشكيك فى قيم المجتمع الموروثة ، اذ اخضع سقراط كل شيء لحكم العقل وحده ، وعرض كل مفهوم خلقي لسهام النقد ولم يقف الامر عند هذا الحد اذ زعم سقراط انه مبعوث العناية الالهيـة وانه مكلف برسالة ربانية للبحث عن الحقيقة والفضيلة من اجل هداية قومه .

٥ ـ سقراط والسوفسطائيون فى المسرح الكوميدى :

ولا يبقى بعد ذلك سوى التساؤل عما اذا كان لمسرحية « السحب » تأثير فى اتهام سقراط وتقديمه للمحاكمة عام ٣٩٩ . وهنا تجدر الاشارة الى دور الكوميديا الأثينية بوجه عام فى التعبير عن وجهة نظر جمهور المواطنين أو على الأقل قطاع كبير منهم . ذلك أن فن « الكوميديا القديمة » كان يتمتع بشعبية أوسع من شعبية فن التراجيديا . وليس ثمة ما يدعو الى الشك فى أن المسرح الكوميدى كان له دور فى اثارة الرأى العام على سقراط . لقد كان تقديمه فى صورة هزلية ماجنة فوق مسرح كان يؤمه جمهور غفير من المشاهدين معناه فى الواقع أن المؤلفين كانوا على يقين مسبق بتجاوب الجمهور مع نقدهم لسقراط وتهكمهم به ، والا لما جازفوا بعرض مسرحيات تستهدف النيل منه والاستهزاء به .

ففى مسرحيه « السحب » ـ التى نحن بصددها ـ يتهكم أريستوفانيس بسقراط بوصفه رجلا غريب المظهر والأطوار ، وفيلسوفا طبيعيا مستغرقا فى التأمل فى ظواهر الكون ، متعبدا للسحب ، ويتهجم عليه بوصفه ـ فى زعمه ـ معلما للبلاغة لقاء أجر معلوم أي كسوفسطائي ، يلقن الشباب فن الاقناع والجدل والباس الحق بالباطل . وقد عرضت هذه الكوميدية ـ كما أسلفنا ـ على مسرح ديونيسوس فى أثينا عام ٤٢٣ أى قبل تقديم سقراط للمحاكمة بحوالي ربع قرن (٣٩٩) . وكان أريستوفانيس ينتمي ـ كما ذكرنا ـ الى أسرة ميسورة الحال . وكان مع براعته فى الهزل والسخرية والهجاء الفاحش الذى قد يبلغ حد القذف والتشهير ، رجلا محافظا ان لم يكن سلفيا الى حد ما ، فى أفكاره التربوية وآرائه الاجتماعية . وقد وصفه بعض النقاد بأنه مسبح بأمجاد الماضى « مداح لأيام زمنان » (Laudator temporis acti) وليس معنى ذلك أن أريستوفانيس كان رجلا رجعيا غير مستنير . لقد كان هو نفسه شاعرا مجددا فى الكوميديا السياسية . لكنه كان يرتاب فى البدع التى تهدد بتقويض القيم المتوارثة . وكان من الطبيعي أن ينفر أريستوفانيس من السوفسطائيين دعاة حركة التجديد المشبوهه فى التربية والتعليم . فهل اختلط عليه الأمر ـ مثلما اختلط على الكثيرين من معاصريه ، فحسب سقراط واحدا من السوفسطائيين ؟

اننا لا نعرف شيئا موثوقا عن طبيعة العلاقة الشخصية بين هذا الشاعر وسقراط ، وهل كانت حسنة أم سيئة ، ومن ثم لا نستطيع أن نقطع برأى فيما اذا كان نقده اللاذع نابعا من نيه طيبة أو قصد خبيث . ذلك أن الصورة التى يعرضها الشاعر لسقراط فى المسرحية هى صورة درامية « لا تعبر بالضرورة عن رأيه الشخصي أو مشاعره الشخصية نحو سقراط . وليس لرأى الكاتب الشخصي — ان أمكن استخلاصه من ثنايا المسرحية — سوى قيمة ضئيلة فى تقويم انتاجه الأدبى . وفى أغلب الظن أن أريستوفانيس لم يحمل فى قلبه أى كراهية أو عداوة للفيلسوف ولم يقصد مهاجمة سقراط شخصيا على نحو ما ألفناه يفعل بالزعماء الفوغائيين فى مسرحياته السياسية . ولا كان — على ما يبدو — يقصد مهاجمة أفراد بعينهم من السوفسطائيين . كان هدفه الحقيقي شن حملة شعواء على نمط من التربية والتعليم بدأ ينتشر على يد السوفسطائيين — وهو نمط غريب غير مسبوق بل غير مألوف تتبادر صورته الى أذهان الناس — أى المتفرجين — بمجرد ذكر اسم هذه الطائفة من المعلمين . ويلوح أن الشاعر ليس معنيا بسقراط ذاته ، فهو يغفل بعض خصائص لهذا الفيلسوف كانت تصلح لأن تكون « مادة خاما » للامعآن فى السخريه منه والزراية به . ولم يعد أحد الآن يأخذ بالرأى القديم القائل « بأن الصورة التي يرسمها أريستوفانيس لسقراط تقرب جدا من الحقيقة » . انها لا تخلو بداهة من بعض ملامح صادقة لكنها لا تخلو أيضا من كثير من التجني والتحامل ورميه زورا بما هو براء منه . فى الحق أن الصورة الهزلية التي يرسمها الشاعر لسقراط فى مسرحية « السحب » لا تكشف الا القليل عن حقيقة الفيلسوف . ان هم أريستوفانيس منصب على محاربة « التعليم الجديد » ، على نحو ما يتمثل — ويصوره الشاعر نفسه ببراعة — فى الحوار الجدلى بين منطق الحق ومنطق الباطل . لقد اعتقد أن السوفسطائيين عامل من عوامل افساد عقول الشباب — وهذه تهمة من المرجح جدا أن بعض الناس قد الصقوها أيضا بسقراط فى وقت مبكر سابق على عرض مسرحيه « السحب » . وقد مر بنا كيف جذب سقراط بشخصيته الساحرة الأخاذة عددا من شبان الأسر الأرستقراطية الثرية ، فتحلقوا حوله واختلفوا الى مجلسه ، وأخذوا عنه ، وتأثروا به ، وطفقوا يحاكون طريقته فى الحوار ، ويلتقون مثله بالمتشدقين بالمعرفة ، وما يزالون بهم حتى يرتبكوا فى الاجابة ويتخبطوا ويرتج عليهم الكلام فينصرفوا حانقين — لا على أنفسهم —

بل على معلم هؤلاء الشبان ، وجدير بالذكر أن العامة فى أثينا لم يكونوا على درجة من الثقافة تؤهلهم للتمييز بين منهج سقراط ومنهج السوفسطائيين . وكدأب الناس فى التعميم وسرعة التصديق ، فقد اعتبروا طائفة السوفسطائيين . ومن بينهم ، معلمى نهج جديد فى الجدل قوامه البيان والبديع ، ولحمته التمويه وسداه المخاتلة ، وازهاق الحق بالباطل ، وجعل القضية الخاسرة هى القضية الرابحة . وكانوا يفعلون ذلك لقاء أجور عالية تحقيقا لمكاسب مادية ، واشباعا لرغبة تلاميذهم فى الظهور والتباهى وميلهم الى التفوق والغلبة . هكذا بدا السوفسطائيون أو البعض منهم — فى نظر العامة — كأنهم مروجو أساليب تربوية مشبوهة ، وأفكار « تقدميه » غير مألوفة ، تدعو الى تنمية النزعة الفردية ، وتحرير الفرد من ربقة الأسرة ، والشك فى قيم المجتمع ، وايثار المصلحة الشخصية على المصلحه العامة .

ولم ير أريستوفانيس فى سقراط واحدا من السوفسطائيين وحسب بل اعتبره اماما لهم واختاره ليكون ممثلا لطائفتهم ، ويكون بالتالى هدفا لسهام نقده وسخريته . ولعل الشاعر لم يفعل ذلك الا لأن سقراط — على ما يظهر — كان قد أصبح أكثر رجالات الفكر شهرة فى أثينا وقتذاك . فلقد تفرد الفيلسون بسمات كثيرة أبرزها — فى نظر الشاعر — أطواره الغريبة ، وثيابه الرثة ، وفقره المدقع ، ومشيه حافيا فى الطرقات ، واستغراقه فى التأمل فى كل ما حوله من كائنات ، ثم ارتياده مختلف الأماكن تصيدا لكل من يأنس فيه ميلاً للحوار . ويجدر التنبيه على أن أريستوفانيس عندما كتب مسرحية « السحب » كان ما يزال شابا يتراوح عمره بين الثالثة والعشرين والسادسة والعشرين . وقد حدا ذلك بعض الباحثين على القول بأن الشاعر لم يكن وقتئذ على دراية كافية بالفيلسوف وأنه اندفع — فى حماس الشباب — وحشره فى زمرة السوفسطائيين . لكن هذا القول مردود عليه بأن مواهب الشاعر الدرامية قد تفتحت منذ وقت مبكر واكتمل نضج انتاجه الأدبى بدليل انه كان قد فاز فى السنتين السابقتين بالجائزة الأولى فى المسابقات المسرحية ، مرة عن مسرحية « الأخانيون » عام ٤٢٥ ، ومرة أخرى عن مسرحية « الفرسان » عام ٤٢٤ . ولا يخامرنا سوى شك ضئيل فى أنه كان ملما بجوانب كثيرة من سيرة الفيلسوف وافكاره . ومع هذا فلا ينبغي أن يغرب عن البال أن مسرحية « السحب » لم تظفر عند عرضها — كما

أسلفنا ـ الا بالجائزة الثالثة أى الأخيرة فى المسابقات المسرحية الكوميديا فى مارس عام ٤٢٣ .

وقد حز ذلك فى نفس أريستوفانيس فعكف على اعادة صياغتها (ربما بين سنتى ٤١٨ ـ ٤١٦) . ولم يصل الينا النص الأصلى الذى عرض فعلا على المسرح الأثيني عام ٤٢٣ ، بل وصل الينا فقط النص المعدل أو المنقح الذى يقول أحد الشارحين القدامى (تعليقا على بيت ٥٥٢) أن الشاعر لم يستكمل تعديله ، ومن ثم لم يقدمه للعرض على المسرح اطلاقا . ولا ندري عن يقين سبب قصور المسرحية عن احراز المركز الأول فى المسابقة الأدبية . والرأى الراجح هو أنها ربما كانت فوق المستوى الذهنى لجمهرة العامه ، اذ يحدثنا الشاعر نفسه علي لسان الجوقة فى احدى فقرات المسرحية (وهى فقرة أعيدت كتابتها فى النص المعدل) انه بذل فى اعداد مسرحية « السحب » أقصى الجهد ، ويعتبرها « أبلغ كوميدياته حكمة » أى أعمقها فكرا أو « أبرعها تصويرا » ، وأنها كانت ـ فى نظره ـ أجود ما كتب (أبيات ٥٥٢ ـ ٥٢٥) . ولا يساورنا شك فى أن مسرحية « السحب » ـ رغم قصورها عن بلوغ مرتبة الصدارة ـ قد حظيت باستحسان ، وربما باعجاب جمع غفير من المشاهدين ، سواء أكانوا من أهل المدينة المثقفين أم أهل الريف الفلاحين ، ومن المؤكد أنه كان لها وقع شديد فى نفوس أنصار سقراط وخصومه .

وجدير بالملاحظة أيضا أن المسرحية التي فازت بالجائزة الثانية فى المسابقة عينها هى مسرحيه ـ لم يصلنا منها سوى مقتطفات ـ كانت تحمل عنوان « كونوس » Konnos معلم الموسيقى وصديق سقراط . ومن المرجح أن هذه المسرحية ـ وهى لشاعر كوميدى يدعى أميبسياس ـ كانت مشابهة لمسرحية « السحب » فى الطابع العام والهدف ، اذ يظهر سقراط كواحد من شخوصها ، وتتألف الجوقة فيها من المتفكرين المتأملين (Phrontistai) وهو لقب آخر كان يطلق أحيانا على الفلاسفة والسوفسطائيين ـ ويذكرنا بالأسم الذى يطلقه أريستوفانيس فى **السحب** على مدرسة سقراط (Phrontistêrion) ـ أى « دكان التأمل والتفكير » . ومن ذلك يتضح أن تقديم سقراط والسوفسطائيين على المسرح الكوميدى الأثينى لم يكن أمرا انفرد به أريستوفانيس بل شاركه فيه شعراء كوميديا آخرون ، وأن

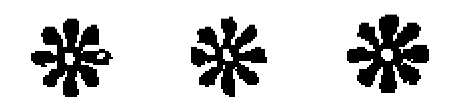
لم يتبق من مسرحياتهم سوى فقرات . ولم يتوقف هؤلاء الشعراء عن التهجم على سقراط أو غمزه ولمزه كلما سنحت لهم الفرصة .

ونلتقي باشارات الى سقراط فى مسرحيتين لأريستوفانيس لاحقتين ، احداهما مسرحية « الطيور » (عام ٤١٤) ، والاخرى مسرحيه « الضفادع » (عام ٤٠٥) ـ وكان لذلك كله تأثير قوى فى الرأى العام الأثيني وموقفه من سقراط . ولا غرابة أن يظل هذا التأثير ـ ولا سيما تأثير مسرحية السحب ـ منطبعا فى أذهان المواطنين حتى وقت محاكمة سقراط عام ٣٩٩ . ويضع أفلاطون ـ على لسان سقراط ـ فى محاورة أو بالاحرى خطبة الدفاع (١٩ ـ ج) ـ والتى يرجح أنها كتبت حوالى عام ٣٨٢/٣٨٣ ـ ما معناه أن من بين أهم أسباب توجيه الاتهام لسقراط تصديق من أقاموا عليه الدعوى لشائعات روجها مبغضوه ومفادها « انه رجل آثم ينهك نفسه ويبدد جهده فيما لا طائل من ورائه ، باحثا فيما هو تحت الأرض وما فى السماء ، جاعلا الحجة الأضعف هى الحجة الأقوى ، ويعلم الآخرين نفس هذه الأشياء ـ على المسرح ـ وهو يتأرجح متدليا من سلة فى الفضاء ، زاعما أنه يمشى فى الهواء ، ويهذى بكلام كثير آخر غث هراء » .

فى ربيع عام ٣٩٩ اقام ثلاثة رجال ، أحدهم قطب من اقطاب الحزب الديمقراطي الحاكم ، والآخران شخصان مغموران من أذنابه ، أقاموا دعوى قضائية على سقراط ، تضمنت اتهاما ذا شقين : الأول هو افساد الشباب ، والثاني هو الكفر أو بالأحرى عدم ايمانه بالآلهة التي تؤمن بها المدينه ، وايمانه بقوى أو كائنات روحية جديدة أخرى (hetera daimonia kaina) (الدفاع : ٢٤ ج) . ويستلفت النظر أن هذين الركنين للاتهام متوافران أيضا فى الصورة التي رسمها أريستوفانيس للفيلسوف فى مسرحية « السحب » قبل حوالي ربع قرن من الزمان .

ولا يتسع المقام لتفصيل الحديث عن بواعث الاتهام أو دفاع سقراط عن نفسه كما رواه أفلاطون . حسبنا الاشارة الى أن محاكمة سقراط انتهت بادانته رغم تفنيده للتهم الموجهة اليه ، وأنه كان بوسعه أن يتفادى حكم الموت ويقترح ـ كما يخوله القانون ـ عقوبة أخرى أخف كالخروج من المدينة الى المنفى . لكنه لم يشأ أن يعيش طريدا ، بعيدا عن أثينا التى تعلق بها فؤاده ،

أو هائما على وجهه فى مدن أخرى سوف تضيق به ذرعا لأنه لن يكف عن التحاور مع الناس أينما ذهب ، أو يمضي بقية عمره ملجم اللسان عاجزا عن التعبير عما يراه حقا وعدلا ، أو متقاعسا عما كلفته به السماء من رسالة للبحث عن الحقيقة والفضيلة من أجل صلاح قومه وهدايتهم . وكان بوسع سقراط أن يهرب من سجنه بمساعدة تلاميذه . لكنه رفض فى حزم أن ينتهك قانون المدينة . لأن انتهاكه معناه انتهاك لمبادئه الخلقية . هكذا آثر سقراط البقاء فى السجن لملاقاة حتفه تحقيقا لذاته . وقد جىء له بكأس السم فجرعها وهو ثابت الجنان رابط الجأش ، وقضى نحبه وهو مؤمن بأن الموت ليس بالضرورة شرا ، وأن الآخرة قد تكون خيرا من الأولى وأبقى .



الحواشـــى

(١) التواريخ كلها قبل الميلاد .

(٢) النطق الصحيح أصلا هو بالسين لا بالزاى : جيمناسيون (فى اليونانية) وجيمناسيوم (فى اللاتينية) .

(٣) أحدهما هو « جيمنازيوم أكاديموس » الذى سمى كذلك لوقوعه على مقربة من معبد بطل أتيكى أسطورى قديم يدعى أكاديموس (أوهيكاديموس) ، على ضفاف نهر كيفيسوس بالشمال الغربى خارج أسوار المدينة . وقد اتخذه أفلاطون حوالى عام ٣٨٥ (أي بعد عودته من رحلته الاولى الى صقلية) مركزا لمدرسته الفلسفية التى اشتهرت باسم «الاكاديمية» . والثاني هو «جيمنازيوم اللوقيون» Lukeion (= Lyceum) الذي سمى كذلك لوقوعه بجوار معبد صغير للآله أبوللون اللوكى Lukeios (بوصفه الها حاميا لرعاة الغنم من الذئب) أو لانه وافد أصلا من اقليم « لوكيا » بالاناضول أو بوصفه الاله المضيء . ويقع على ضفاف نهر ايليسوس على مسافة غير بعيدة من تل لوكابيتوس فى شرقى المدينة . وقد اتخذه أرسططاليس (ارسطو) ، منذ عام ٣٥٥ — مركزا لمدرسته الفلسفية المعروفة باسم « اللوقيون » واشتهرت أيضا باسم « مدرسة المشائين (Psripatetics) حيث درج أرسطو على التحدث الى تلاميذه أثناء مشيه فى حديقة الجيمنازيوم . وأما الجيمنازيوم الثالث فهو المسمى كينوسارجيس (Kynosarges) نسبة الى محراب للاله هيراكليس (هرقل) يحمل هذا الاسم الذى ربما يعنى « الكلب الابيض » وكان يقع وسط منتزه جميل على ضفاف نهر ايليسوس لا يبعد كثيرا عن اللوقيون . وفى هذا الجيمنازيوم الذى يبدو أنه قد خصص للأثينيين من ذوى النسب المختلط ، كان أنتيستنيس السقراطى (حوالى ٤٥٥ — ٣٦٠) ، الرائد الاول لمدرسة الكلبيين (Cynics) يلقى دروسه ، وان كان اسم هذه المدرسة (لو صح انها

كانت مدرسة فلسفية بالمعنى المألوف للكلمة) ، ليس مشتقا — كما يظن البعض — من اسم هذا المكان ، بل هو مشتق من لقب « الكلب » (kuôn) الذى أطلقه الناس ساخرين على ديوجنيس السينوبى (٤٠٠/٣٩٠ — ٣٢٨/٣٢٣) مؤسس هذه المدرسة الحقيقي ، نظرا لامتهانه للأعراف السائدة ، وازدرائه للتقاليد المرعية ، وطرحه جانبا كل متع الحياة ومتاعها ، وايثاره شظف العيش ، والتجول فى الطرقات وهو فى ثياب رثة بالية ، وهيئة زرية ، واهم من ذلك بسبب صفاقته وقحته حيث أن الكلب كان عند اليونان مضرب المثل على قلة الحياء .

(٤) كانت القبائل العشر (Phylai) هى أكبر وحدات سياسية فى الدولة الاثينية ، وتتوقف العضوية فيها على محل الاقامة فى وقت اجراء الاصلاحات الديمقراطية على يد المشرع كليسثنيس ، المؤسس الفعلي للديمقراطية الأثينية (٥٠٨ — ٥٠٦) . ولم تكن العضوية فيها تسقط عن المواطن بتغييره محل اقامته بل أصبحت وراثية عن الأب ، أينما استقر . وعلى هذه القبائل كان يقوم التنظيم الادارى الجديد للدولة الأثينية . كانت القبائل اذن هيئات جماعية شبه نقابية متضامنة المسئولية وتعتبر بمثابة أقسام ادارية وعسكرية . وكانت كل قبيلة (Phylê) تنقسم بدورها الى ثلاثة أثلاث (trittyes) ، وهى أقسام اقليمية طبيعية ، وتشكل حلقة وصل بين القبائل والأحياء . ويضم ثلاث منها مجموعة من المواطنين تقطن فى المدينة ذاتها (astu) وأرباضها وميناءى بايريوس (بيريه) وفاليرون وجزء من سهل أثينا ، ويضم الثانى مجموعة تقطن فى المناطق الساحلية (Paralia) ويضم الثالث مجموعة من المواطنين تقطن بالمناطق الجبلية فى الريف الأتيكي . وكان كل ثلث (trittus) — وعددها الاجمالى ٣٠ — يضم عددا من المواطنين (الذكور البالغين ما بين سن ١٨ ، ٥٩) يبلغ حوالي ١٠٠٠ نسمة . وليس لدينا احصاءات ديموجرافيه دقيقة عن سكان الدولة الأثينية خلال فترة حياة الشاعر أي فى الشطر الأخير من القرن الخامس وأوائل القرن الرابع . ويقدر بعض الباحثين عدد المواطنين الذكور

البالغين عند نشوب الحرب البلوبونيسية (فى مايو عام ٤٣١) بحوالى ٤٣٫٠٠٠ ، وعدد المواطنين (بما فيهم النساء والصغار والشيوخ) بحوالى ١٧٢٫٠٠٠ ، بالاضافة الى ٢٨٫٥٠٠ مستوطن أجنبى (metoikoi) و ١١٠٫٠٠٠ عبد (douloi) ، فيكون تعداد السكان الاجمالى ٣١٠٫٠٠٠ نسمة . وبعد مضى ست سنوات من بداية الحرب أي فى عام ٤٢٥ هبط عدد المواطنين من الذكور البالغين الى ٢٩٫٠٠٠ ، وعدد المواطنين الكلى الى ١١٦٫٠٠٠ ، بالاضافة الى ٢٩٫٠٠٠ مستوطن أجنبى و ٨٠٫٠٠٠ عبد ، فصار التعداد الكلى لسكان الدولة الأثينية ٢١٧٫٠٠٠ نسمة . وفى عام ٤٠٠ أى بعد انتهاء الحرب بأربع سنوات لوحظ أن عدد المواطنين من الذكور البالغين قد هبط الى ٢٢٫٠٠٠ ، وان العدد الكلي للمواطنين لم يزد عن ٩٠٫٠٠٠ نسمة (بالاضافة الى أعداد المستوطنين الأجانب وأعداد العبيد غير المعروفة فى ذلك العام) .

وكان كل ثلث من أثلاث القبيلة ينقسم بدوره الى عدد من الأحياء (dêmoi) . وتؤدى كلمة lêmos فى اليونانية القديمة معنيين ، معنى « شعب » (كما فى قولنا الديمقراطية أي حكم الشعب) ، ومعنى « حى » . وكانت الأحياء هى أصغر وحدات سياسيه فى الدولة الأثينية ، وتقابل على وجه التقريب القرى (kômai) وهى أصغر وحدات سكنية فى الدولة . ويمكن تشبيه الأحياء بالدوائر الانتخابيه فى العصر الحديث ، وكانت تتمتع ببعض سلطات فى الادارة المحلية كحفظ الأمن . وبديهي انها كانت تتفاوت من حيث الكثافة السكانية . وقد بلغ العدد الاجمالي لاحياء القبائل العشر فى الدولة الاثينية حوالى ١٥٠ حيا فى القرن الخامس ، وزاد هذا العدد فصار حوالى ١٧٤ حيا فى القرن الرابع . وكان حى كوداثينايون — حيث ينتمى أريستوفانيس — هو أحد الأحياء السبعة أو الثمانية التى كانت تقع داخل أسوار أثينا المدينة (بأضيق مفهوم للكلمة) . وكان يعتبر من الاحياء الكثيفة السكان (ما بين ٦٠٠ ، ٤٠٠ نسمة) وترسيم حدود هذه الأحياء أمر بالغ التعقيد . وربما كان حى كوداثينايون يقع

الى الشمال من الأكروبول ويمتد الى ضفاف نهر اريدانوس. ومن الطريف أن كليون (Cleôn) ، الزعيم السياسى الغوغائى الذى خلف بريكليس فى أثينا (٤٢٩ – ٤٢٢) ، والذى سخر منه الشاعر وهزىء – فى بعض مسرحياته كان هو الآخر من أبناء حى كوداثينايون حيث كان أبوه الثرى يملك مدبغة للجلود على ضفاف النهر المذكور . ومن ثم لقب هذا الزعيم – تشهيرا به – كليون الدباغ .

(٥) التالنت (= talanton فى اليونانية و talentum فى اللاتينية) هو وزن (= حوالى ٥٨ رطلا من الفضة) أو وحدة نقدية (= ٦٠ مينة) . والمينة mna (= mina) وزنها ٤/١ ١ رطل فضة (= ١٠٠ دراخمة) . ومعنى هذا أن التالنت الأتيكى = ١٠٠٠ دراخمة يونانية قديمة ، وكانت الدراخمة الواحدة = ٦ أوبولات (oboloi) .

(٦) ولعل بعض المواطنين من غير الفقراء كانوا أحيانا يتهافتون على العمل كمحلفين بدافع اكتساب شعور بالأهمية كقضاة يستمعون الى المتخاصمين وهم يتوسلون اليهم ويناشدونهم العدالة أو بدافع الفضول أحيانا أخرى الى معرفة خبايا أمور المتنازعين أمام المحاكم .

(٧) I. G. ed. min. II / III² 1740 ويقرن اسم الشاعر بلقب prytanis أى رئيس فى هذا النقش الذى دون على ما يرجح فى وقت رئاسة لجنة الخمسين التي كانت تمثل قبيلته وتضطلع بمهام المجلس لمدة ٣٧ يوما أثناء سنة غير محددة ، وخلالها كان كل أعضائها الخمسين يلقبون بالرؤساء (prytaneis) . وكان بريكليس أثناء فترة زعامته (٤٦٠ – ٤٣٠) هو الذى قرر لأول مرة منح أجر يومى لأعضاء مجلس الشورى ، ربما فى حدود ٣ أوبولات .

(٨) كان عدد أيام السنه العادية ٣٥٤ ، وعدد أيام السنة الكبيسة ٣٨٤ يوما . لكن المشرع كليسثنيس (٥٠٨ – ٥٠٦) جعل السنة الرسمية ٣٦٠ يوما ، على أن يضاف كل خمس سنوات شهر من ٣٠ يوما (سنة كبيسة) ، وذلك للتوفيق بين السنة الرسمية والسنة المدنية .

(٩) الأراخنة archontes (مفردها أرخون archôn كلمه يونانية معناها « حكام » . وكان يوجد بدولة مدينة أثينا فى أوائل القرن الخامس تسعة حكام مدنيين مختارين بالانتخاب الشعبى (من بين الطبقات ذات النصاب المالى العالى) لمدة سنة واحدة لتمثيل تسع من القبائل العشرة ، بالاضافة الى مسجل او أمين grammateus منتخب لتمثيل القبيلة العاشرة . وكان الأخير يقرن بالأراخنة التسعه وكأنه عاشرهم . وقد فقد هؤلاء الأراخنة أهميتهم السياسية منذ عام ٤٨٧ عندما تقرر أن يكون اختيارهم بالقرعة بدلا من الانتخاب . وقد آلت السلطة العسكريه العليا الى القواد العشرة (stratêgoi) الذين أنشىء منصبهم منذ عام (٥٠١/٥٠٠ ق٠م) ، وصاروا فى الواقع منذ ٤٨٧ أهم حكام عسكريين وسياسيين فى أثينا وكان اختيارهم يتم بالانتخاب فى الاكليسيا (حيث تختار كل قبيلة قائد يمثلها) لمدة عا مواحد أيضا ، مع جواز اعادة الانتخاب لعدة سنوات متتالية . وكان من بين هؤلاء الزعيم الشعبى ورئيس الحزب الديمقراطى (منذ ٤٦٠) بريكليس الذى انتخب كأحد القواد العشرة عدة مرات بين ٤٦٠ ، ٤٤٥ ، وتكرر انتخابه سنويا دون انقطاع تقريبا من ٤٤٣ الى ٤٢٩ (أى حتى وفاته) ، وكان بريكليس أبرز القواد العشرة وبمثابة رئيس لهم وبالتالى رئيس الدولة نظرا لقوة شخصيته ، ونزاهته ، وبلاغته الخطابية ، وسياسته الرشيدة ، وقيادته العسكرية الحكيمة ، ورعايته وصداقته للفلاسفة – (أناكساجوراس) والشعراء (سوفوكليس) والفنانين (فيدياس) . وقد بلغت أثينا فى أيامه (٤٦٠ – ٤٣٠) ذروة التوسع والثراء والحضارة حتى لتوصف أحيانا بالامبراطورية الأثينية .

(١٠) فى اليونانية stadion

(١١) فى اليونانية theatron . وفى اللاتينية theatrum .

(١٢) فى اليونانية ôdeion .

(١٣) بنتليكى نسبة الى جبل بنتليكوس Pentelicus فى اقليم أتيكا (غير بعيد عن أثينا) واشتهر بالرخام الأبيض .

(١٤) اقترح هيبوداموس شكلا لدستور دولة المدينة ، انتقده وجرحه أرسطو فى كتاب « السياسة » (ك ٢ ــ ف ٥١) .

(١٥) عنوان مسرحية السحب فى اليونانية Nephelai ، وفى اللاتينية Nubae . وعن هذه المسابقة انظر ص ٤٠ ــ ٤١ فيما يلى .

(١٦) الأوليجركية (oligarchia وتنطق أصلا أوليجرخيا) معناها نظام حكم الأقلية (غالبا الارستقراطية أو الثرية) . وهو نقيض الديمقراطية (dêmokratia) أى حكم الشعب أى الأكثرية . وفى الأوليجركيه تقتصر ممارسة الحقوق السياسية على المواطنين الذين يملكون نصابا ماليا معينا بينما يحرم ما لا يملكونه من ممارسة هذه الحقوق .

(١٧) التواريخ كلها قبل الميلاد .

(١٨) كانوا فى الأصل عشرة قواد لم يشهد المعركة منهم سوى ثمانية . وفر اثنان بعد المعركة ولم يعودا الى أثينا تفاديا للمساءلة والمحاكمة . وعن هذه الواقعة ، راجع ص ٢٤ فيما تقدم .

(١٩) الرواية الأرجح أنه كان أحد أعضائها .

* * *

السحب

المقدمة الأدبية

بقلم : د. احمد عتمان

١ ـ خصائص الكوميديا الأتيكية القديمة

لم يحدد التقسيم السكندرى الى كوميديا أتيكيه « قديمة » وكوميديا « متوسطة » و « حديثة » سنة معينة تفصل بين كل فترة وأخرى فهو تقسيم يقوم على أساس التطور الذى طرأ على شكل ومضمون الكوميديات . الا ان بعض النحاة المتأخرين قالوا أن الكوميديا المتوسطة تقع فى الفترة بين عامى ٤٠٤ و ٣٣٨(أو ٣٣٦ أو ٣٢١) ق. م. ومن المستحسن أن نحدد فترة الكوميديا القديمة بالفترة الواقعة بين بداية القرن الخامس وأوائل الرابع ق. م. وهكذا نلاحظ تداخل تواريخ الفترتين وهو حال التاريخ الأدبى بصفة عامة اذ لا يعترف بالفواصل القاطعة المانعة . بدأت الكوميديا القديمة اذن قبل منتصف القرن الخامس ق.م. بالشاعرين كراتينوس (حوالى ٥٢٠ ـ حوالى ٤٢٣ ق.م) وكراتيس الذى حاز على أول جائزة فى المباريات المسرحية عام (٤٥٠ ق.م) وتتميز الكوميديا المتوسطة بانحسار دور الجوقة واختفاء البراباسيس (أنظر فيما يلى) وبدلا من أن تساهم أغانى الجوقة فى تطوير الحدث الدرامى كما كان يحدث فى الكوميديا القديمة التى سنتحدث عنها بالتفصيل وشيكا أصبحت هذه الأغانى فى الكوميديا متوسطة والحديثة بمثابه فواصل embolima بين المناظر . وبلغ الامر الى حد أن المتأخرين اكتفوا بوضع كلمة الجوقة chorou مكان هذه الاغانى تاركين للقائمين على عرض كلّ مسرحية مهمة وضع الاغانى التى تروق لهم . ويضاف الى هذه التغييرات الشكلية تغييرات أخرى فى المضمون اذ أن التلميح hyponoia حل محل النقد الصريح والهجوم بالاسم وتخلت الموضوعات

السياسية عن مكان الصدارة للموضوعات الادبية والفلسفة والاسطورية . وتعد الكوميديا المتوسطة مرحلة تحول وانتقال الى الكوميديا الحديثة التى تنتمى الى الربع الآخير من القرن الرابع ق.م. وهى تصور حياة المجتمع الهيللينستى المختلف تماما عن مجتمع « البوليس » **polis** أى « المدينة ـ الدولة » ابان العصور الكلاسيكية . اذ فقد فيه جزء كبير من استقلال الفرد الذى افتقد نفسه وذاب فى خضم الحياة الجديدة بأخطارها الجسيمة ومخاوفها الكثيرة . واستغرقت مشاكل الحياة اليومية الشاقة جل اهتمام الناس وأصبحت الكوميديا الحديثة تأخذ موضوعاتها من الحياة الخاصة للافراد وهى بذلك لا تختلف كثيرا عن مسرحيات شاعر محدث مثل موليير (١٦٢٢ ـ ١٦٧٣) ولا يقوم بدور البطولة فيها اشخاص وانما أنماط مثل الاب شديد الصرامة فى مواجهة العم المفرط فى اللين والتدليل ومثل العبد الساذج فى مقابل زميله الماكر والعاهرة النزيهة وتلك الجشعة وهلم جرا . واشهر شعراء الكوميديا الحديثة مناندروس (٣٤٢ أو ٣٤١ ـ ٢٩٣ أو ٢٨٩ ق.م) وفيليمون (٣٦٨ أو ٣٦٠ ـ ٣٦٧ أو ٢٦٣ ق.م) وديفيلوس (ولد عام ٣٦٠ أو ٣٥٠ ومات فى أوائل القرن الثالث ق.م) .

ولنعد الان الى الكوميديا القديمة محاولين أن نركز الانتباه على أهم خصائص الفترة التى ظهرت فيها . فمع بداية الكوميديا القديمة مات ايسخولوس (٤٥٦ أو ٤٥٥ ق.م) خالق التراجيديا . وكان سوفوكليس قد فاز فى بعض المباريات المسرحية بالجائزة الاولى ولكن روائعه لم تكن قد خرجت للوجود بعد . وفى عام ٤٥٥ ق.م كان يوريبيديس قد عرض أول أعماله التراجيدية . ولقد مال كل من يوريبيديس وسوفوكليس حوالي عام ٤٠٦ ق.م ولم يعش الفن التراجيدى بعدهما الا فى صورة هزيلة ، وبعد عام ٤٥٠ ق.م وصل كل من بروتاجوراس (٤٨٥ ـ ٤١٥ ق.م) وأناكساجوراس (٥٠٠ ـ ٤٢٨ ق.م تقريبا) الى اثينا وبوصولهما دخلت الفلسفة الى المدينة . وفي ذلك الوقت أيضا تكونت دائرة بريكليس الادبية وشق السوفسطائيون طريقا فكريا وعقائديا ولغويا جديدا . خلاصة القول أن أثينا كانت تعيش تجربة فكرية جديدة هى بمثابة « عصر التنوير » وبلغت ذروتها بظهور سقراط (٤٦٩ ـ ٤٩٩ ق.م) وكان هيرودوتوس (٤٨٠ ـ ٤٢٥ ق.م

تقريبا) الذي انشغل حوالى عام ٤٥٠ ق.م فى بعض الرحلات وكتابة بعض التواريخ الاسطورية Logoi قد تأثر بالروح الجديدة اما ثوكيديديس (ولد فيما بين ٤٦٠ و ٤٥٥ ق . م) المؤرخ الذي تشربت كتاباته بهذه الروح فقد مات حوالى عام ٣٩٩ ق . م وهو العام الذي أعدم فيه سقراط صاحب الحركة الفكرية التي تعتبر فى حد ذاتها نقطة تحول فى تطور الحضارة البشرية ككل . وهكذا ففي عشرات السنين التي كانت فيها اثينا تصارع من اجل حماية امبراطوريتها وبالتالي من اجل وجودها ذاته امام الاخطار الخارجية كانت أيضا تمر بمرحلة تدهور التراجيديا الاتيكية ولكنها فى نفس الوقت كانت تشهد مولد الفلسفة الاثينية وعملية بناء البارثيون والاريختيون . نعم فالكوميديا القديمة تبدأ بنهاية الحروب الفارسية المجيدة ونقل خزانة حلف ديلوس من هذه الجزيرة الى اثينا حين استتب السلم وتعاظمت قوة وسطوة اثينا ابان الحكم بريكليس (عاش ما بين ٤٩٥ و ٤٢٩ ق.م تقريبا وحكم منذ ٤٦٠) وعصره الذهبي . وبعد ذلك جاءت الحروب البلوبونيسية (٤٣١ — ٤٠٤ ق.م) بنتيجتها المؤلمة وهي افول نجم اثينا السياسي أثر هزيمتها العسكرية . ثم يأتي الصراع المميز للقرن الرابع ق.م ونعني ذلك الصراع بين الدويلات الاغريقية حول الزعامة السياسية الذي أدى الى تزايد التدخل الاجنبي فى الساحة الاغريقية .

تلك هي الخطوط العريضة لصورة الحياة الاثينية ايام ظهور الكوميديا القديمة وتطورها . اما اذا اردنا أن ندلل على مدى صحة القول بأن هذه الكوميديا كانت مرآة عصرها فاننا نورد ما يحكى من ان طاغية سيراكيوز ديونيسيوس (٤٣٠ — ٣٦٧ ق.م تقريبا) أراد ذات مرة ان يعرف كل شيء عن النظام الاثيني شعبا وحكومة فطلب من افلاطون أن يمده بالمعلومات الضرورية فما كان من الاخير الا ان ارسل اليه بمسرحيات اريستوفانيس . حقا فالكوميديا القديمة رغم نكاتها التقليدية واسلوبها الكاريكاتيري السافر تصور ظروف العصر والمجتمع الذي نشأت فيه ، فهي مستوحاة من مشاكل اثينا ابان الحروب البلوبونيسية وما بعدها . وخلف الشخصيات الماجنة والاقنعة الكوميدية والمواقف المضحكة والمصطلح التقليدي المألوف وتفنن الشاعر الفذ تكمن صورة حية مرسومة بالالوان الطبيعية لحقائق الوضع الاثيني . وهي صورة فريدة لم تتكرر فى اي زمان

أو مكان آخر . وجدير بالذكر ان الكوميديا القديمة لا تستمد موضوعاتها من الاساطير ومن ثم تتميز على التراجيديا باتساع الفرصة امامها لمعالجة الاحداث المعاصرة معالجة مباشرة متأنية بدلا من الاشارة المتعجلة او التنويه الرمزي . نعم فلقد حاول الشعراء الكوميديون علاجبعض الامراض الاجتماعية كحب الاثينيين الجنوني لاقامة الدعاوى القضائية والدفاع فى المحاكم . بل لقد اصبح المسرح الكوميدي نفسه منصة يقف عليها السياسيون وتمثل القضايا السياسية والمواقف الفكرية من باب السخرية والتندر فحسب بل من اجل المناقشة والتحاور الذي شارك فيه الشاعر والمثلون والمتحكمون والجمهور . ولقد كان الجمهور متقلب المزاج يتموج بين التصفيق الحاد والصفير المستهجن والضحك الباسم والمقاطعة الفجة المثيرة للشغب والضجيج .

على اننا فى الكوميديا القديمة نجد الناس والاحداث غير حقيقيين او فوق الحقيقة اي بعبارة اخرى لا يمكن تصور وجودهما الواقعي ولكن الاساس الذي تقوم عليه الامور او الذي نشأت منه المواقف الكوميدية ما هو الا « الحقيقة » نفسها . حقيقة الحياة السياسية والاجتماعية فى اثينا . ولعل هذا التناقض العجيب داخل مضمون الكوميديا القديمة من اكثر الاشياء التي تدهشنا وتشدنا اليها بقوة . ونعني المزج بين اقصى الحقيقة واللاحقيقي والجمع بين الحياة الواقعية الملموسة وخيال الحكايات الخرافية . وعلى ما بينهذين العنصرين من تناقض الا انهما عند اريستوفانيس يمثلان التقاء رومانتيكيا بين سمتين جوهريتين فى فن الشاعر الكوميدى . فتريجايوس فى مسرحية **السلام** (٤٢١ ق.م) يمتطي صهوة خنفساء عملاقة متجها بها الى الفضاء لكي يحضر الهة السلام من السماء . ولكنه فى اطار هذه الصورة المفرطة فى الخيال لا ينتمي الى عالم الاساطير وانما هو في المسرحية اولا واخيرا رب أسرة pater familias بسيط وصاحب مزرعة كروم اي انه جزء حي من الواقع الاثيني المعاصر للشاعر . ويقال نفس الشيء عن ظهور الكورس المفاجىء فى السماء بمسرحية « الطيور » (٤١٤ ق.م) حيث لا يعرف الشاعر نفسه ولا جمهوره كيف انتقلت الى هناك وبأي معجزة ! وفى الحقيقة فان « مدينة الطيور » تعد تجسيدا ملموسا لعالم أريستوفانيس المفرط فى الخيال ولكن البشر الذين تصادفهم هناك هم انفسهم الاثينيون بكل مشاكلهم

وانماط سلوكهم وملامح شخصياتهم . وهكذا نجد فى كل مسرحيات الشاعر مزجا فريدا بين الواقعية المحسوسة واللاواقعية المسرفة فى المبالغة وتزاوجا بين الحقيقة وضدها وذلك فى صورة واحدة متجانسة الاشكال ومنسجمة الالوان والظلال .

وهذا يعني ان الكوميديا الاثينية القديمة تعطي لنا صورتين لحياة المجتمع الاثيني احداهما خيالية مصطنعة تهدف الى خلق الجو الكوميدي وتصور الامور فى حال اسوأ مما هي فى الواقع in deteriorem والاخرى هي الصورة البسيطة التلقائية التي لم يعمد المؤلف الى رسم خطوطها ولذا فهي اقرب ما تكون الى الحقيقة الواقعية لانها ليست الا انعكاسا للظروف الاجتماعية والسياسية السائدة . ولكن الشاعر بعبقريته الكوميدية الفذة استطاع ان يربط بين خطوط الصورتين ويوحد بين الواقعي وغير الواقعي فيهما بحيث ان المحصلة النهائية هي صورة واحدة للمجتمع الاثيني ، ولكنها صورة فريدة لا يصح ان نطلق عليها اسما سوى « الصورة الاريستوفانية للحياة الاثينية » .

ولعله من الواضح ان ما سلف ان ذكرنا توا يضيف اعباء جديدة على عاتق نقاد ودارسي اريستوفانيس عندما يشرعون في قراءة او تفسير اية فقرة منه اذ يصعب فى الغالب تحديد أين تنتهي الحقيقة وأين يبدأ الخيال وتنطلق سهام السخرية . واذا كان سر فن اريستوفانيس يكمن فى مزجه لعنصرين متناقضين فى اطار صورة واحدة متجانسة فان ذلك قد ادى بدوره الى انه اصبح من المقبول عند اريستوفانيس فقط ان نرى اناسا لا قيمة واقعية لهم الا انهم يقلبون النظام الكوني راسا على عقب فها هو بيثيتايروس فى مسرحية « الطيور » وها هي براكساجورا فى « برلمان النساء » يزعمان انهما مصلحا الكون ويهدفان عن طريق جنونهما العبقري الى تغيير النظم السياسية والاجتماعية التقليدية الموروثة ويعتنقان افكارا طوباوية متطرفة . لقد كان على الشاعر الكوميدي ان يقف على اساس مألوف وملموس لدى جمهوره قبل ان ينطلق به الى ما هو غير مألوف او واقعي . وبذا بلغت الكوميديا القديمة على يد اريستوفانيس شأوا لم يكن ليدركه اي فن آخر من فنون الادب الاغريقي .

وغني عن القول ان حديثنا عن الكوميديا القديمة هو حديث عن فن اريستوفانيس والعكس صحيح ايضا لانه فيما عدا الاحدى عشرة مسرحية التي وصلت الى ايدينا كاملة من اعمال هذا الشاعر لم يصلنا من الكوميديا القديمة شيء يذكر سوى شذرات متناثرة. وهكذا يمكن القول بأن معلوماتنا عن الكوميديا القديمة ليست كاملة فهي تقوم على ما يرد هنا أو هناك لدى الكتاب القدامى المعاصرين او اللاحقين لها . فمنهم نعـــرف على سبيل المثال ان بعض الكوميديات لم تكن كما هو الحال فى مسرحيات اريستوفانيس ذات طابع سياسى . ويبدو ان الشاعر كراتيس ـ سالف الذكر ـ هو خالق الكوميديا القائمة على موضوعات شخصية خاصة او قصص خيالية بحتة ونهج نهجه الشاعر فيريكراتيس (كسب اول جائزة فيما بين عامي ٤٤٠ و ٤٣٠ ق.م) وآخرون . الا ان معظم سادة الكوميديا القديمة وروادها كانوا شعراء ١/٤ سياسيين بالدرجـة الاولى . ونعني بصفة خاصة الثالوث الكوميدي الخالد كراتينوس ـ الذي سبق ان أشرنا اليه ـ ويوبوليس (حوالي ٤٤٦ ـ ٤١١ ق.م) وارسيتوفانيس .

كان على الشاعر الكوميدي ـ السياسي ـ ان يكون متجاوبا مع الاحداث المعاصرة مما حتم عليه ان يضيف الى النص المسرحي او يحذف منه ويعدل فيه حتى اللحظـــات الاخيرة قبل العرض مباشرة اذا اقتضت الظروف . ذلك ان موضوعات الكوميديـــا القديمة مستمدة من الحياة الاجتماعية وآثار الحرب والهزيمـة وحركات التغيير الاجتماعي والفكري ومشكلة الزعامة السياسية. ولقد واجه الشاعر السياسى القديم بعض المخاطر وهو يتعـرض بالنقد للحكام والقادة وهي مخاطر واجهت اريستوفانيس الشاعر الشاب عندما قدم « البابليين » (عام ٤٢٦ ق.م) فوجهت اليـه التهمة امام « مجلس الشعب » على يـد كليون الزعيم السياسى (انظر فيما يلي) الذي ادعى أن الشاعر قـد أساء الى الدولة فى حضرة الاجانب من الحلفاء المدعوين لحضور هذا العرض المسرحي. ولكن الشاعر عاود الهجوم على كليـون بعنف أشد بعـد ذلك فى مسرحية « الفرسان » (٤٢٤ ق.م) التي لا بد وان كليون نفسه قد شاهدها متخذا مقعده فى الصف الاول من المسرح والذي كان يخصص لعلية القوم والمكرمين من ابناء المدينة وضيوفها . وفـي هذه المسرحية يصور الشاعر الشعب الاثيني تحت زعامة كليون كرجل عجوز أبله وخرف . ونحـن نعرف أن الاثينيين لم يكونوا

ليسمحوا لشعراء الكوميديا بالسخرية من الشعب ولا بالاساءة اليه بأي شكل من الاشكال لانهم حبذوا ان تكون السخرية موجهة الى الافراد . ومن الملاحظ ان حرية شعراء الكوميديا فى النقد السياسى لم تكن مطلقة بغير حدود . ومن المدهش أن بريكليس العظيم رمز الديموقراطية الاثينية كان اول من فرض نوعا من « الرقابة » عام ٤٤٠ ق.م . وذلك بعد احداث ثورة اهالي جزيرة ساموس الخطيرة (١) . وفى عام ٤١٥ ق.م حاول شخص آخر يدعى سيراكوسيوس ان يعيد الكرة (٢) . ومن جهة اخرى فان سلوك كليون سالف الذكر يوضح انه كان بوسع احد المواطنين او أي عضو من أعضاء « مجلس الشعب » أن يوجه الاتهام الى أي شاعر كوميدي بحجة الاضرار بالمصلحة العامة وكان بمقدوره ان يستدعيه أمام القضاء . هذا وقد جرت محاولات عدة للحد من الهجوم على الاشخاص بالاسم onomasti komodein كما يحدث على سبيل المثال فى مسرحية « السحب » عندما هاجم اريستوفانيس الفيلسوف سقراط وفى « النساء فى أعياد الثيسموفوريا » التي فيها يهاجم شاعر التراجيديا يوريبيديس .

ومع ذلك فان مثل هذه الحالات الاستثنائية تؤكد القاعدة العامة اي الحرية الكبيرة التي تمتع بها الشعراء الكوميديون . فلم يحدث فى أي مكان غير أثينا ولا فى أي عصر سوى عصرها الذهبي أن هاجم الشعراء الكوميديون وسخروا علانية من بعض القادة السياسيين مباشرة وبالاسم . ولا يرجع السبب فى ذلك الى اتساع أفق الاثينيين وتمتع المجتمع الاثيني بروح السخرية والمداعبة فحسب وانما لان الكوميديا ايضا كانت تشكل جزءا لا يتجزأ من حياة وتكوين الشعب الاثيني نفسه . ولذلك فان شكوى كليون ضد اريستوفانيس كانت تقوم على أساس وجود أجانب من الحلفاء بين المتفرجين على العرض المسرحي الذي سخر فيه الشاعر من النظام السياسي الاثيني . لقد كان جمهور المتفرجين من الشعب الاثيني يتكون من نفس الافراد الذين يشكلون « مجلس الشعب ». نعم لقد حضر المباريات المسرحية احيانا — على الاقل مهرجانات ديونيسوس (٣) — الاجانب من الحلفاء ووفود السفراء ولكنهم كانوا قلة تذوب وسط الآلاف العديدة من الاثينيين اهل المدينة الاصليين .

يرجع اصل الكوميديا كما هو واضح من اسمها (المشتق من

كلمة « كوموس » Komos بمعنى « احتفال ريفي معربد » و adein بمعنى « يغني ») الى الاغاني والرقصات التي كانت تقام فى انحاء الريف الاغريقي ابان موسم قطف الاعناب المرتبط بعبادة ديونيسوس اله الخمر . وهكذا فقد نشأ هذا الفن المسرحي من احتفالات دينية شعبية تشترك فيها جميع الطبقات والفئات فهو اذن جزء لا يتجزأ من الحياة فى المدينة ــ الدولة .
ولقد لعب هذا العنصر ــ اي شعبية هذا الفن ــ دورا اساسيا فى تشكيل الكوميديا وتطورها . فغالبا ما يشير الحوار فى احدى الكوميديات او اغنية الجوقة فى اخرى الى المتفرجين كطرف يشارك فى الاحداث وبعبارة اخرى كان الجمهور النظارة دور هام فى رسم خطوط الحدث الدرامي في الكوميديا لانه من اجل هذا الجمهور كان الشاعر يحاول جاهدا شرح وتفسير بعض الامور الغامضة لتقريبها من عقل الآفراد العاديين . وكان جمهور المتفرجين يظهر فى الكوميديا الاغريقية احيانا على انه الطرف الاكثر ذكاء من الممثلين فيأتي رأيهم ليحسم الخلافات اذ يعرفون امور الدنيا على نحو افضل من افراد الكورس الذين يقفون احيانا فى ذهول كالبلهاء . واذا كان اللوم قد وجه احيانا الى يوريبيديس لتقديمه مناظر من الحياة الشعبية فان مثل هذا النقد لا يمكن توجيهه الى الشاعر الكوميدي لان فنه ليس الا قطعة من الحياة الشعبية نفسها . واذا اردنا ان نضرب امثلة على اشتراك جمهور النظارة فى الحدث الكوميدي فلدينا الكثير ، هاك عجوز شمطاء تشكو مر الشكوى من انهم يسخرون منها امام هذا الحشد الغفير ــ اي الجمهور (راجع « الفرسان » ١٣١٦ وما يليه و « بلوتوس » ١٠٦١ وما يليه) . وتسأل الجوقة بائع السجق « اترى هذا الجمهور فوق المقاعد ؟ ستصبح سيد هؤلاء جميعا » («الفرسان» ١٦٣ وما يليه) ويتبارى منطق الحق مع منطق الباطل امام جمهور المتفرجين («السحب» ٨٨٩ وما يليه) .

ونتيجة للتنافس المحتدم بين شعراء الكوميديا الذين يقدمون اعمالهم للعرض فى مباريات مسرحية نجد عادة مدح النفس شائعة فى المسرحيات الكوميدية التي وصلت ايدينا . وللسبب نفسه نجد ايضا عادة التهجم على الشعراء المنافسين والتملق الى المحكمين .
ولم تظهر هذه العناصر كلها الا لانها كانت محببة الى قلوب جماهير المتفرجين الذين اصروا على وجود مثل هذه الاشارات الشخصية

والادبية فى الكوميديا . وان دل ذلك على شيء فانما يدل على مدى اهتمام الجمهور بالشاعر والمباريات المسرحية والممثلين وعلى مدى تورطه فى الفن المسرحي ككل . لقد كان الشاعر واحدا من الشعب وكان الفن المسرحي من شأن كل فرد من افراد المجتمع الاثيني كله لانه جزء من حياة المدينة .

كان الشاعر يطلق نكاته « وقفشاتـه » على بعض المتفرجين وربما ينتقي بعض شخصيات الجمهور قبيحي الشكل او المشوهين ليكون موضوع السخرية ومثار الضحك . فهذه « عجوز شمطاء كانت العوبة الثلاثة عشر الف متفرج » (« بلوتوس » ١٠٨٢ وما يليه) وكثيرا ما يوجه الشاعر نقـده للجمهور نفسه كأن يقـول « اني اعرف بعض الاصدقاء الذين يصوتون فى سرعة بلهاء وهـم يجهلون أثر ما يتخذون من قرارات » (« برلمان النساء » ٧٩٧ وما يليه) . وكان التملق من نصيب افراد الجمهور فى بعض الاحيان . وهناك فقرات لا نعرف ان كانت تعني مدحا او قدحا كتلك الشذرة (رقم ٣٢٣) التي يقول فيها كراتينوس « هلم أيها الجمهور يـا من لا تضحكون على الفكاهات توا وانما تنتظرون لليوم التالي ! يا أفضل المحكمين على فني ! لقد ولدتكم امهاتكم للهرج والمرج الذي تحدثونه فوق مقاعدكم » . وفى شذرة اخرى مجهولة المؤلف يعتبر ناظمها ترك الحكم على جمال مسرحيتـه لتصفيق السوقة أمـرا شائنا (شذرة ٥١٨) . وقد يتحول الجمهور الساذج غير الواعي بقدرة قادر الى جمهور ذكي حصيف الرأي ان هو بالطبع صفق للشاعر وحكم فى صفه ليفوز بالجائزة (« السحب » ٥١٨ ومـا يليه ، « الفرسان » ٢٢٨ و ٢٣٣) .
ويصل الامر ببعض الشعراء الى أن يصوروا الجمهور « مشاهدا مثاليا » فى الذكاء والالمعية التي تلتقط أدق الفكاهات وتستوعب الجد العبارات !

وبصفة عامة ـ كما سبق القول ـ يشبه تكويـن جمهـور الكوميديا الاتيكية القديمة تكوين « مجلس الشعب » الاثيني . ولذا نجد الشاعر الكوميدي يخاطب المتفرجين بنفس أساليـب خطباء المجلس . ويبلغ التفاعـل بـين الشاعر والجمهور الـى حد ان الخطاب يتجه مباشرة من جانب الشاعر الى جمهوره امـا على لسـان الشخصيات أثنـاء الحوار أو فى أغاني الجوقـة أو فى

البراباسيس . يطلب الى الجمهور فى كثير من الاحيان ان يصيخ السمع ويركز الانتباه . ويؤخذ رأيه فى الشخصيات التي تمثل على المسرح وهل تروق له أم لا ، وعما اذا كان يرغب في مشاركة « الطيور » — على سبيل المثال — حياة المتعة والانطلاق . ويسأل كذلك ان يزود الخادم الذي يرعى خنفساء الروث بأنف مسدود (« الفرسان » ٢٦ وما يليه « الطيور » ٧٥٣ وما يليه « السلام » ٢٠ و ٥٠ وما يليه) . وتحث الجوقة المتفرجين على تأييد الشاعر الذي يقدم الجديد قولا وفكرا (« الزنابير » ١٠٥١ وما يليه) وتأتي الدعوة التقليدية فى نهاية المسرحيات بأن يشارك الجمهور فى الوليمة العامة الصاخبة وبالطبع فان هذه الدعوة التي ترد فى كل المسرحيات — (راجع على سبيل المثال « السلام » ١١١٥ و ١٣٥٨ وما يليه « برلمان النساء » ١١٤٠ وما يليه) — ينبغي الا تؤخذ مأخذ الجد ! على أية حال فلقد نجح شعراء الكوميديا القديمة فى خلق جو تفاعل وانسجام متبادل بين الجمهور والممثلين والجوقة .

وتتكون المسرحية الاريستوفانية من ستة أجزاء هى :

١ — البرولوج **prologos** وهو الجزء الذي يسبق دخول الجوقة ويعرض فكرة وموضوع المسرحية .

٢ — البارودوس **parados** أي اغنية الجوقة اثناء دخولها الاوركسترا .

٣ — الاجون **agon** أي « مناقشة جدلية » أو « مباراة كلامية » أو « مناظرة » بين فردين حول نقطة شائكة هي الموضوع الرئيسى أو محور المسرحية ككل .

٤ — البراباسيس **parabasic** وهو الجزء الذي فيه « يتقدم الكورس الى الامام » أو « يأخذ جانبا » ليخاطب الجمهور مباشرة باسم الشاعر . ولقد تطور هذا الجزء من الكوموس الاصلي حتى أصبح مركز الكوميديا وهو يقدم أوضح صورة للعلاقة الوطيدة بين الشاعر والفن الكوميدي من جهة والجمهور من جهة اخرى . وجدير بالذكر ان البراباسيس قد قل دوره فى الكوميديا رويدا رويدا حتى اختفى تماما فى الكوميديا المتوسطة والحديثة كما سبق أن ألمحنا .

٥ ـ عدد من ما يمكن ان نسميه « الفصول » epeisodia التي تفصل كل منها عن الآخر أغاني الجوقة .

٦ ـ المنظر النهائي exodos .

ومن الملاحظ ان الحدث الدرامي فى الكوميديا القديمة يتضمن احداثا خيالية كما يلاحظ ان الشاعر لا يكترث بقيود الزمان أو وحدة المكان كما يحدث في التراجيديا فنجد المنظر يتغير بسهولة كبيرة دون ان يقع انكسار حاد فى سير الحدث الدرامي . وتكثر الاشارات الى الجمهور والمسرح ومناسبة العرض . ونحن فى العادة أمام موقف خارق للطبيعة كما يحدث مثلا فى « السلام » حيث يطير تريجايوس الى دار الالهة فوق ظهر خنفساء عملاقة من أجل تحرير ربة السلام من سجنها واحضارها الى الارض . وهكذا تأتي الاحداث في الكوميديا القديمة وكأنها ترجمة اللغة المجازية أو الرمزية الى عمل درامي أو كأنها تشخيص للخيالات الشائعة فى أحداث مرئية . وتتضمن هذه الاحداث مخلوقات غير طبيعية من كل لون وصنف وفيها تتحادث الحيوانات والطيور والسحب كما يحدث فى الحواديث الشعبية . وتأتي نهاية الاحداث الكوميدية دائما مرحة اذ تقام الولائم والاحتفالات الصاخبة وذلك فيما عدا مسرحية « السحب » التي تنتهي بحرق مدرسة سقراط . وقد لاتكون النهاية الكوميدية عضوية التكوين بمعنى انها قد لا تنبع بالضرورة من الاحداث السابقة وعندئذ تأتي هذه الاحتفالات الصاخبة كوسيلة يلجأ اليها الشاعر ليغرق السؤال « وماذا بعد ؟ » فى ضوضاء الموسيقى والرقصات . أو ربما يهدف الشاعر الى تنبيه المتفرجين الى أن الهدف الاول والاخير من هذه العروض ليس الا التسلية والتمتع في أعياد ديونيوس آله الخمر وواهب الملذات !

٢ ـ الشخصية الاثينية فى أعمال أريستوفانيس

لا شيء على الاطلاق أكثر دلالة واوضح برهانا على نقاء الجو الاجتماعي وصفاء الحياة السياسية وازدهار اثينا فى منتصف القرن الخامس ... من الحرية شبه المطلقة التي تمتع بها شعراء الكوميديا القديمة .. سخروا من كل شيء على الارض .. أو فى السماء .. هاجموا القوانين .. انتقدوا سياسة الدولة .. وحملوا

على زعمائها .. لم ينج من لسانهم شيء .. حتى الالهة .. ولا يسمح الناس ـ في العادة لشعرائهم بمثل هذه الحريـة .. الا اذا كانت الثقة تملأ قلوبهم .. الثقة بفضائلهم .. واستقامـة اخلاقهم .. وسلامـة قوانينهم وعظمـة دولتهم .. عندئـذ يستطيعون ـ فى اطمئنان ان يسخروا من بعضهم . ويتهكموا من أنفسهم أو ان يجلسوا اياما يشاهدون أنفسهم موضع سخريـة واستهزاء على المسرح . ومن هنا كانت الكوميديا القديمة هـي الدليل الساطع والبرهان القاطع على عظمة أثينا .

وان سأل سائل عمن الذي استطاع ان يعبر عن الشخصية الاثينية تعبيرا دقيقا بحيث يقال ان هذه الشخصية وجـدت نفسها بصورة كاملة فى اعماله المسرحيـة أهـو سوفوكليس أم اريستوفانيس ؟ لا يسعنا الا ان نجيب انهما هما الاثنان معـا فكلاهما مكمل للآخر فمسرحيات الشاعر الاول هي التعبـير التراجيدي الجـاد عن أثينا القرن الخامس فى قمة ازدهارهـا أما الثاني فهو لسانها الكوميدي الساخر أبان فترة بداية تآكلها .

ولد اريستوفانيس عام ٤٤٥ ق م أبان عصر بريكليس الذهبي حيث استتب الامن والسلام . وفي عام ٤٢٧ ق م بدأ يعرض أولى مسرحياته . وأما عن العلاقة الوطيدة بين الشاعر والحياة الادبية والسياسية فتنطلق بها كل مسرحية من مسرحياته . وينبغـي ان ننوه هنا بأنه من الخطأ ان نضع اريستوفانيس فى حزب مـن الاحزاب دون غيره . فالكوميديا السياسية ـ كالمعارضة ـ تقف دائما فى مواجهة الحكومة وواجبها ان تظهر نقاط ضعفهـا اللهم الا اذا كانت الكوميديا مجندة لخدمة أغراض النظام الحاكـم فعندئذ تهبط الى مستوى الدعاية . وتقع أغلب كوميديـات اريستوفانيس تاريخيا فى الفترة التي أصبح فيها البناء الديمقراطي الاثيني هشا بسبب الحروب الخارجية وظهور نقـاط الضعف الداخلية الكامنة في بنية هذه الديمقراطية نفسها . وهنا استل اريستوفانيس من جعبته سهام السخرية الناقدة وصوبها الـى أهدافه . ولا يمكن لعاقل ان يعتبر اريستوفانيس عدوا للديمقراطية ولكنه من عشاق القيم القديمة التي لا تقل أهميتها بالنسبـة لتطور الشعوب عن أهمية القيم الجديدة التقدمية . ولم تفلت من لسان اريستوفانيس اللاذع اية طبقة من طبقات المجتمـع أو اية فئة من أصحاب المهن أو اية مجموعة من المجموعات . وتأتي

هزيمة كليون فى « الفرسان » لا على يد رجل قوي ذي بأس ووقار وانما على يد أحد الاميين المتشككين الذي يهاجم كليون ويتغلب عليه فيما يعتز به الاخير . ولم يسقط ضحية لتعاليم سقراط السوفسطائية (هكذا يرى اريستوفانيس !) فى « السحب » سوى رجل غبي أبعد ما يكون عن الامانة ويريد التملص من ديونه. وفى المباراة التي تجري في نفس المسرحية بين منطق الحق ومنطق الباطل ينتصر الاخير . وفى « النساء فى أعياد الثيسموفوريا » ينتصر يوريبيديس في النهاية ولكن بعد ان يسخر منه الشاعر طوال المسرحية ويدور الصراع فى « الضفادع » بين ايسخولوس ويوريبيديس مما يضع الآله ديونيسوس نفسه فى موقف لا يحسد عليه ، وقد يعجب المحدثون بامرأة جريئة مثل ليسيستراتي فى المسرحية المسماة باسمها ولكن اريستوفانيس وجمهوره قد وجدا فيها بالقطع ما ينافي الطبيعة والعقل .

ويذكر السكندريون اربعا واربعين مسرحية لاريستوفانيس. ولو ان بعضهم يرى ان أربعة منها ليست من يراع اريستوفانيس نفسه وانما هي منتحلة ونسبت اليه ، ووصلنا اثنان وثلاثون عنوانا من هذه المسرحيات التي لم يصلنا منها كاملا سوى احدى عشرة مسرحية يرجع الفضل فى بقائها الى أنصار اللهجة الاتيكية القديمة الذين اعتبروا أسلوب اريستوفانيس أرقى صورة لها . ولكي نتمكن من الربط بين تطور فن اريستوفانيس والحياة في المجتمع الاثيني سنلقي نظرة سريعة على بعض اعماله ولا سيما التي وصلت لنا نصوصها كاملة .

ومسرحية « المشتركون فى الوليمة » هي باكورة انتاج اريستوفانيس وقدمت عام ٤٢٧ قم . وفيها نرى أبا وقد ربى ولديه بطريقتين مختلفتين اذ ذهب بالاول الى مدرسة جيدة تربي الناشئة بالطرق التربوية القديمة وارسل الآخر ليتدرب على فنون الكلام فى مدرسة عصرية من تلك المدارس التي بدأت تنتشر في أثينا مؤخرا . وها هو الاب يراقب نتائج كل من المنهجين التربويين على ولديه وهما يتحاوران فى مباراة قامت بينهما تحت ناظريه . ومن هذه المناظر نعرف الى اي مدى هبطت الطرق التعليمية الحديثة بمستوى الشباب الذي راح ضحيتها . وجدير بالذكر ان اريستوفانيس سيعود الى معالجة هذا الموضوع في مسرحية « السحب » و « الزنابير » .

وعرضت مسرحية الشاعر الثانية « البابليون » عام ٤٢٦ق.م وفيها يهاجم اريستوفانيس الزعيم السياسى كليون ، ولقد تم عرض هذه المسرحية فى أعياد ديونيسوس الكبرى التي تحضرها وفود تمثل جميع الدويلات حليفات أثينا . ولما كان أفراد الكورس فى هذه المسرحية يمثلون الحلفاء الذين كان عليهم حسب مقتضيات الاحداث أن يلبسوا أقنعة العبيد والاسرى فان ذلك قد أثار حفيظة الحاضرين من الحلفاء وزادهم احساسا بمرارة السيطرة الاثينية المتسلطة . ونعلم من تواريخ ثوكيديديس (٣٠ ، ٣٦) أن كليون كان قد طلب اصدار قرار بقتل أو استبعاد أهالي مدينة موتيليني بعد ان كان قد تم اخماد ثورتهم عام ٤٢٧ ق.م . ولم يحل دون صدور هذا القرار الطائش سوى تصميم بعض أعضاء « مجلس الشعب » الاكثر اتزانا وحكمة . وما كان من كليون ردا على هذا الهجوم الكوميدي في « البابليون » الا أن وجه الاتهام الى اريستوفانيس كما سبق القول . وهو اتهام لم يستهن الشاعر نفسه بخطورته (الاخارنيون ٣٧٧) .

وللاسف لم تصل الى أيدينا نصوص المسرحيتين السابقتين . أما أقدم مسرحية وصلتنا كاملة فهي « الاخارنيون » التي عرضت عام ٤٢٥ ق.م فى أعياد الليناايا ونالت الجائزة الاولى . كان الاثينيون قد عانوا طيلة ست سنوات من ويلات الحروب البلوبونيسية التي خربت الاراضى الزراعية فاختفى الغذاء وتفشى الوباء وحلت روح اليأس والقنوط بالاثينيين . والاخارنيون هم سكان « أخارناى » احد أحياء أتيكا الواقع على سفوح جبل بارنيس الى الشمال الغربي من أثينا . وكان أهل هذا الحي من أشد الاتيكيين معاناة بسبب الحروب اذ اكتسحت جيوش الاعداء اراضيهم عدة مرات . وبطل هذه المسرحية هو داعية السلام ديكايوبوليس الذي يحمل اسمه معنى « العدالة » . وهو فلاح أثيني جلس ينتظر اجتماع « مجلس الشعب » متحسرا على « أيام زمان » التي ساد فيها السلام والامان . وهنا يظهر أحد انصاف الالهة كمبعوث من قبل العناية الالهية لكي يتفاوض من أجل اقامة السلام مع اسبرطة ولكنه لسوء الحظ لا يملك أجرة السفر الى هناك . ويعرض ديكايوبوليس ان يمده بالنقود اللازمة شريطة ان تقتصر معاهدة السلام عليه وحده . وينجح نصف الاله فى عقد المعاهدة بالفعل ويتمكن من الافلات باعجوبة من قبضة الاخارنيين الذين غضبوا أشد الغضب لان السلام لم يشملهم جميعا بظله الظليل .

اما ديكايوبوليس فيحتفي بمعاهدة السلام اذ يقيم موكبا يضم ابنته وخدمه ! ويدور نقاش حاد بين ديكايوبوليس واعضاء الجوقة اي الاخارنيين حول قضية الحرب والسلام هو نقاش يشترك فيه لاماخوس (٤) القائد العسكري. يتعرض ديكايوبوليس للمحاكمة فيسمح له بالقاء كلمة قبل صدور الحكم عليه ولكنه يستعير من مسرحيات يوريبيديس ما يجعل خطبته أكثر تأثيرا واقناعا وينجح فعلا في اكتساب تأييد الجوقة . وبعد البراباسيس ترد مناظر مختلفة تهدف الى تصوير فوائد السلام الجمة .

وفي عام ٤٢٤ ق.م يقدم اريستوفانيس مسرحية « الفرسان » التي فازت بالجائزة الاولى في اللينايا . ويهاجم الشاعر بهذه المسرحية كليون سالف الذكر وهو قائد ديماجوجي برز أيام الحروب البلوبونيسية ويعد من اكبر أنصار سياسة أثينا « الامبريالية » وبالتالي فهو داعية الحرب الذي كان يقف تحت شعار « الحرب أرضا وبحرا حتى تحقيق النصر في النهاية » . وكان كليون في قمة نفوذه وقوته بعد انتصاره السريع في موقعة سفاكتيريا (٤٢٥ ق.م) . وفي المسرحية نجد ديموسثنيس ونيكياس صورة كاريكاتيرية للقواد الاثينيين ، يقومان بدور سدنة ديموس (تشخيص « للشعب » الاثيني) . وهما يسخران من كليون (ابن دباغ جلود غني) ومحبوب ديموس (= الشعب) الجديد ومدللة لانه يتزلف اليه بكل الوسائل . وتعلن النبوءات أن كليون سيفقد هذه الحظوة لدى ديوس يوما ما لان أحد باعة السجق سيحتل مكانته هذه . وبالفعل يصل بائع السجق المنتظر ويعلم بما ينتظره من حظوة لدى ديموس وبتأييد الفرسان له ضد كليون . ويدخل الاخير مهددا ولكن جوقة الفرسان تصده وتضربه وتحث بائع السجق على الوقوف في وجهه وتبدأ معركة حامية بينهما . وتدور بقية المسرحية حول المنافسة بين الرجلين الديماجوجيين لكسب رضى ديموس عن طريق التملق والرشاوى تارة وتفسير النبوءات والسخرية من بعضهما البعض تارة أخرى. تنتهي المنافسة بفوز بائع السجق الذي يتضح في النهاية انه اسمه الحقيقي هو اجوراكريتوس (= المرموق في السوق العامة) وظن كثير من النقاد المحدثين ان عددا من الفرسان النبلاء هم الذين كانوا يلعبون دور افراد الجوقة وانهم كانوا يمتطون صهوة الجياد المطهمة ويقومون بمناورات فخمة وحركات رشيقة حتى جاء اناء من الاواني ذات الرسوم السوداء وقدم لنا صورة حية لمنظر الجوقة

في هذه المسرحية وفيه نرى رجالا يلبسون اقنعة تمثـل رؤوس الخيل ويحملون فوق ظهورهم رجالا آخرين هم الفرسان . وهكذا خيب اريستوفانيس ظن كل النقاد باستخدامه تكنيك التنكـــر والرمز بدلا من تقديم خيول حقيقية على المسرح !

وفى عام ٤٢٣ قم قدم اريستوفانيس « السحب » في اعياد ديونيسوس المدنية فلم تفز الا بالجائزة الثالثة والاخيرة أي انها بصريح العبارة فشلت فشلا ذريعا . وأعاد الشاعر نظمها وصقلها فيما بين عامي ٤١٨ و ٤١٦ قم ولكنها تعرض مرة أخرى عـــلى المسرح . ولكننا على أية حال سنتناول هذه المسرحية بالتفصيل بعـــد قليـــل.

وفى مسرحيـــة **الزنابـير** التى عرضت عـــام ٤٢٢ قم وفاز بالجائزة الثانية فى أعياد اللينايا يعود اريستوفانيس مرة أخـــرى الى معالجة موضوع التناقض الفكري والتربوي بين الاب والابـــن أو بين القديم والجديد وهو الموضوع الذي سبق ان تناولهفـــي **المشـــتركون فى الوليمـــة** و **الســـحب** . ولـــكن الصـــورة هنـــا معكوسة بالابن هو الذي يضيق ذرعا بأبيه الذي ضل الطريـــق وانحرف . ونجد التناقض بين الطرفين ظاهرا فى اسم كل منهما كما هي العادة فى كل مسرحيات اريستوفانيس . فالاب يسمـــى « فيلو كليون » أي « المحب لكليون » أما ابنه فيسمى «بديليكليون» بمعنى « الكارهلكليون » ويعتبر الاب تجسيدا حيا لشعب الاغريق المجنون شغفا باجراءات التقاضي التي يمقتها الابن . فالمسرحيـــة ككل تعتبر نقدا ساخرا لنظام المحاكم القضائية حيث كانت بضعة أبولات (عملة يونانية) تدفع ثمنا لحضور أي جلسة من جلسات هذه المحاكم مما يسمح لقطاع كبير من المواطنين الاثينيين العاطلين بالاعتماد على هذا الاجر كمصدر رزقهم الاوحد . لقد حاول الابن علاج ابيه من عشق الاجراءات القضائية بكل وسيلة . ويلجـــأ فى النهاية الى سجنه بالمنزل لكن كبار السن من المحلفين ــ اعضـــاء الجوقة ــ يأتون اليه في المنزل متنكرين فى هيئة الزنابير ويصحبونه الى المحكمة فجرا ليمارس هواه . وتدور مناقشة ساخنة بـــين فيلوكليون وبديليكليون حول مزايا وعيوب النظام القضائي . حيث يدافع فيلوكليون عنه بدافع المنافع التي حصل عليها هو شخصيا منه بينما يدلل بديليكليون على ان القضاة ليسوا الا سدنة الحكام الذين يستغلون الدخل العام لمصالحهم الشخصية بدلا من اطعام

الشعب الجائع ، ويتحول افراد الجوقـــة عـن موقفهم ويجبر فيلوكليون على ان يمارس هوايته برفع الدعاوى والدفاع فيهــا بالمنزل (بادئا بقضية لابيس ـ كلب المنزل ـ الذي كان قد سرق قطعة من الجبن ! ويتعهد بديليكليون الان بتربية والده أجتماعيا فيهذب من سلوكه ويهندم من ملابسه ويصحبه معه الى الولائم والمـآدب . ولكن النتائج لم تك قط حميدة لان فيلوكليون صار مدمنا للخمور . يهين ضيوفه ورفاقه ويسلك سلوكا شـــاذا بصفـــة عامـــة .

ولقد قلد راسين هذه المسرحية في كوميديته الوحيـــدة بعنوان « المتناقضون » (عام ١٦٦٨) التي تسخر من التقاليـــد القضائية السائدة في القرن السابع عشر اذ يقدم الشاعر صورة كاريكاتيرية للمتقاضين شيكانو والكونتيسة دي بيميسن ويتهكـم من جنون بعض القضاة مثل بيران واندان .

وعندما قدم اريستوفانيس « السلام » عام ٤٢١ ق م في أعياد ديونيسوس المدنية كان واثقا من فوزها بالجائزة الاولى حيث ان الزعيمين كليون الاثيني وبراسيداس الاسبرطي (٦) كانـا قـد انتقلا الى العالم الاخر وساد الاتجاه المحب للسلام في السياسـة الاثينية . الا ان هذه المسرحية التي تدعو للسلام لـــم تفز الا بالجائزة الثانية . وبطل هذه المسرحية هو تريجايوس المواطـن الاثيني صاحب مزارع الكروم الذي يعاني هو واسرته من نقص الاطعمة لانتشار المجاعة بسبب الحروب فيقرر أن يقلد بيلليروفون بحصانه المجنح بيجاسوس (٧) أي انه يركب خنفساء عملاقـة من فوق جبل اثينا متجها الى السماء طلبا للسلام وبحثا عن شيء يقتات به . وتنجح الرحلة ويقابل تريجايوس الاله هرميس عـلى بوابة السماء كما يقابل آله الحرب بوليموس الذي يتولى ادارة شئون السماء الآن بدلا من زيوس رب الارباب الذي كان قد تنحى هو وبقية الهة الاليمبوس احتجاجا على سلوك الاغريق الشائن . وكان آله الحرب قد دفن آلهة السلام في الجب وهو الآن يستعد لسحق كل الدويلات الاغريقية في الهاون ! وبينما هو يبحث عن يد الهاون كان تريجايوس وكل الاغريق الذين استدعاهم ولا سيما المزارعين قد رشوا هرميس وسحبوا آلهة السلام من الجب وعادوا بها الى بلاد الاغريق . وتتعالى تهليلات النصر الصاخبة من كـل جانب بالمواطنون جميعا فيما عدا صناع السلاح يقيمون افـــراح السلام ويعدون العدة لحفل زواج تريجايوس وآلهة السلام .

وعرضت مسرحية « الطيور » عام ٤١٤ قم وفازت بالجائـزة الثانية فى اعياد ديونيسوس المدنية . وكان الاسطول الاثينى قـد ابحر فى طريقه لشن « الحملة الصقلية » عام ٤١٣ قم . وكانـت أثينـا عشية قيام هذه الحملة قد عانت بعض الاضطرابات النفسية لان احد معابد الهيرماى قد تهدم فى ظروف غامضة . وهذا المعبد عبارة عن مبنى رباعى يقوم على اعمدة يعلوها تمثال نصفى لهيرميس واسفلها عضوالتذكير فاللوس(phallos)ويقام هذا المعبد فى العادة عند مفترق الطرق وامام المنازل . ولقد اخذ تهدم مثل هذا المعبد فى الليلة السابقة على رحيل الاسطول الاثيني على انه فـال سيء الطالع ، وكان اريستوفانيس قد ضاق ذرعا بموضوع الحرب وسئم التحدث عن ويلاتها ولا سيما بعد تدمير جزيرة ميلوس عام ٤١٦/٤١٥ قم بقسوة بلغت حد الهمجية . فتحول الشاعر عن الموضوعات السياسية الى بناء « مدينة فاضلة » طوباوية . فقد يئس كـل من بيثيتايروس(«الرفيـق المخلـص») وايو ألبيديس « ذو الامـال الطيبة » من الحياة فى اثينا ومتاعبها وآلامها فخرجا للبحث عـن تيريوس ملك طراقيا الاسطورى الذى كان قد تحول الى هدهد (٨) ليستشيراه عن افضل الاماكن للعيش بعيداً عن أثينـا . واقـترح عليهما تيريوس بعض المناطق ولكنها لم ترق لهما . واخيرا وثبت الى ذهن بيثيتايروس فكرة ذكية وهى دعوة كل الطيور للتكاتف من اجل بناء مدينة كبيرة ذات أسوار عاليه فى الفضاء فمن هذا الموقـع الاستراتيجي يستطيعون التحكم فى الآلهة والبشر فى آن واحد لانهم سوف يسيطرون على طريـق الامدادات لكل مـن السلالتـين . اذ يستطيعون اقتلاع البذور من الارض من جهة واستباق الآلهة الى التهـام البخار المنبعث من طهي أو شيء من الذبائح المقدمـة اليهـم من جهـة اخرى . ويتردد أفراد الجوقـة مـن الطيـور بعض الوقت فى قبـول مثـل هـذا الاقتراح الجريء ولكنهم سريعـا مـا ينقلبون متحمسين له ويهرعون الى وضـع اللبنات الاولى لمدينتهم التى يتم بناؤها تحت اشراف بيثيتايروس وايوالبيديس بعد أن ارتديا الاجنحة المناسبة للحياة الجديدة فـى الفضاء . وعندئذ يطرق ابواب مدينة الطيور زوار غير مرغوب فيهم أولهم شاعر معوز جاء يترنم بقصيدة يثني فيها على المدينة الجديدة واهلها . ثم ميتون « تاجر النبوءات » المنجم المشهور الذى جـاء ليضع خطة مفصلة لشوارع وطرقات المدينة . ويأتى حارس المدينة الجديدة بشخص اخترق الحدود انها اريس رسول زيوس وابنتـه التى جاءت تستطلع اسباب عدم وصول الضحايا المقدمة على الارض الى اهل السماء . ويطلب من اريس ـ ولاول مرة ـ ابراز «تصريح

دخولها »المدينة وهو سلوك ضايق الربة ففيه مساس بكرامتها مما اضطرها للعودة فى حسرة والدموع تملأ مآقيها وهي تشكو الى والدها سوء المعاملة ! وفى تلك الاثناء تفشى بين بنى البشر عشق عالم الطيور وصار الجميع يسعون للحصول على اجنحة لكى يتيسر لهم الانضمام الى « مدينة الطيور » المسماة « نيفيلوكوكجيا » أي ما يمكن ان نطلق عليها « بلاد السحب والوقواق » وبالفعل يصل الى المدينة كل من الشاعر الغنائى كينيسياس (٩) والبطل العملاق الاسطورى بروميثيوس وبطل الابطال هيراكليس (هرقل) وبوسيدون اله البحر . ويتمكن بثيتايروس من الاستيلاء على صولجان الحكم والحصول على باسيليا (= الملكة أو الحكم) زوجة ويجلس على عرش كبير الالهة وتجرى الاستعدادات لحفل الزواج على قدم وساق .

عرضت مسرحية « ليسيستراتى » عام ٤١١ ق م وكانت الحملة الصقلية المشئومة قد انتهت بالفشل الذريع وبكارثة قومية زلزلت الكيان الاثينى كله . فبعد هذه الهزيمة عقدت اسبرطة ـ غريمة اثينا ـ معاهدة تحالف مع المرزبان (أي الحاكم) الفارسى تيسافيرنيس . وبهذه المسرحية يوجه اربستوفانيس الدعوة الاخيرة من اجل السلام وهى دعوة نصفها هزل ونصفها الآخر جاد نابع من اعماق قلب الشاعر المحب للسلام . فبعد ان فشل الرجال فى انهاء الحروب خطر على بال ليسيستراتى (= طاردة الجيوش) فكرة ان تتولى النساء دفة الامور لكي يوطدن اركان السلام . وتقوم خطتها على خطوتين اساسيتين . فالخطوة الاولى هى أن ترغم النساء رجالهن على كبح جماح شهوتهم الجنسية ما دامت الحرب مستمرة أي ان تقوم النساء باضراب جنسي . ومن الحوار الذى يدور بينهن ندرك مدى ضخامة هذه التضحية من جانب الجنس الناعم الذى لا يقوى على تقديمها الا من اجل السلام ! اما خطوة النساء الثانية فهى الاستيلاء على الاكروبوليس وخزانة البارثنون . ودعت ليسيستراتى النساء لاجتماع عام ضم لامبيتو الاسبرطية ونساء اخريات من مختلف الدويلات الاغريقية . وبعد شيء من التردد وافقت جميع النساء على خطتها واقسمن على تنفيذها وتم الاستيلاء على الاكروبوليس وتحاول جوقة مكونة من رجال مسنين اعادة السيطرة على الاكروبوليس الا أن جوقة اخرى من النساء تصدهم بعد أن تغرقهم بوابل من ماء يسكبونه فوق رؤوسهم ، ويأتى كينيسياس لكى يسترد زوجته التى تقترب منه ثم تبتعد عنه لكى يشتد شوقه ويزداد عذابه ويرغم على التصويت لصالح

السلام الا انه فى النهاية يترك يائسا خارج الاكروبوليس . ويصل رسول من اسبرطة وينعقد مؤتمر السلام حيث تؤنب ليسيستراتي الجانبين ـ الاثينى والاسبرطي ـ وتحثهما على الصلح وتبرم معاهدة السلام وتنتهى المسرحية بوليمة عامة حيث يسير موكب الاثينيين والاسبرطيين كل رجل الى جوار زوجته بعد استتب السلام وعادت المياه الى مجاريها !

وتمتاز مسرحية « ليسيستراتي » عن « الاخارنيون » و « السلام » باتساع افق الشاعر الذى يتخطى حدود النظرة المحلية ويتمتع برؤية اغريقية قوميةBamhellenicفيخص بني وطنه الاثينيين على ان يمدوا يد السلام لعدوهم ـ أي اسبرطة ـ الذى ربما يكون الحق فى جانبه . ولا تصيب هذه الافكار الجادة التي يضمنها الشاعر حواره حدث المسرحية الكوميدى بأي جفاف او ثقل وذلك ما يميز عبقرية اريستوفانيس الفذة . وتجدر بنا الاشارة الى أن هذه المسرحية تعد من اشهر اعمال اريستوفانيس واقربها الى قلوب الناس واقلام الكتاب عبر جميع العصور . حاول مؤلفون كثيرون تقليدها ولا سيما فى الاوقات التى تغير فيها سحب الحرب الغاشمة على جو السلام الصافى . الا انه من الملاحظ ان هذه المعارضات الحديثة جميعا سواء اكانت مسرحيات او روايات ام آفلاما سينمائية لا ترقى الى مستوى الصراحة والمباشرة التي يعالج بها اريستوفانيس موضوع الحرب والجنس فى « ليسيستراتى » .

وعرضت مسرحية « النساء فى اعيا الثيسموفوريا » عام ٤١١ق‌م أو ٤١٠ق‌م . اما اعياد الثيسموفوريا فهي مهرجانات دينية تقام تكريما للالهة ديمتر راعية المحاصيل الزراعية وخصوبة التربة وتعقد فى شهر اكتوبر ولا يحضرها الا النساء . علم الشاعر التراجيدى يوريبيديس ان النساء يخططن في هذه الاحتفالات لموته لانه كان قد اظهرهن فى مسرحياته فى صورة غير لائقة . ويحاول يوريبيديس ان يقنع زميله شاعر التراجيديا المخنث اجاثون بأن يتنكر في زي النساء ويحضر هذه الاعياد النسوية لكى يدافع عنه أمام الحاضرات ولكن أجاثون يرفض . وهنا يتقدم الشاعر الكوميدى قريب يوريبيديس منيسيلوخوس يعرض القيام بهذه المهمة . ويندس بالفعل فى المهرجانات وعندما تلقى بعض النساء خطبا ضد يوريبيديس يتولى منيسيلوخوس مهمة الدفاع عنه ولكنه لا يفلح الا فى زيادة السخط عليه ويثير الاشمئزاز والنفور بين المحتفلات . ويزيد الطين بلة أن الانباء تصل أسماع النساء عن دخول احد الرجال

خلسة الى اعيادهن هذه . فيدور البحث عن الرجل المتخفى وهكذا يكتشف امر منيسيلوخوس ويوضع تحت حراسة مشددة . ويصل يوريبيديس وبعد بعض المناظر الساخرة تنتهى المسرحية بعقد اتفاق بين هذا الشاعر التراجيدي والنساء . اذ يعد يوريبيديس أن لا يتعرض للنساء بالنقد والسخرية في مسرحياته مرة ثانية في مقابل اطلاق سراح قريبه منيسيلوخوس . وتقبل النساء هذه الشروط .

وفازت مسرحية « الضفادع » عام ٤٠٥ق م بالجائزة الاولى . ومع أن موضوعها يتصل بالنقد الادبى الا اننا نلفت النظر الى انه يدخل فى مجال السياسة ايضا لان السياسة بمعناها الواسع تشمل كل اوجه النشاط البشرى داخل مجتمع المدينة ــ الدولة الاغريقيية . على اية حال فان المسرحية تدور حول التراجيديا وكيف انه بعد موت كل من ايسخولوس وسوفوكليس ويوبيديس لم يعد فى أثينا أي شاعر تراجيدى ذو قيمة . فينزل ديونيسوس اله الخمر وراعية المسرح الى هاديس لاستعادة احد الشعراء التراجيديين البارزين ممن رحلوا عن الدنيا . وعندما يصل ديونيسوس الى العالم الاخر يفاجأ بوجود مباراة ساخنة بين ايسخولوس ويوريبيديس على عرش التراجيديا وهى المباراة التى يطلب بلوتو اله العالم السفلى من ديونيسوس التحكيم فيها . وينقد كل الشاعرين احدهما الاخر نقدا ساخرا ومريرا فى حوار اشبه بدراسة نقدية لاعمال الشاعرين يقدمها لنا اريستوفانيس فى قالب تمثيلى رائع . وينتهى الامر بأن يختار ديونيسوس الشاعر ايسخولوس لكي يعود به الى أثينا وهذا لا يعني ان اريستوفانيس يقلل من شأن يوريبيديس فنحن نعرف على العكس من ذلك انه كان احد المعجبين به ولكن ربما كان يرى فى ايسخولوس الشاعر الآنسب لأثينا ابان اواخر القرن الخامس ق.م.

يمثل المنظر المسرحي عند اريستوفانيس بصفة عامة شارعا أثينا تظهر فى خلفيته منزلان او ثلاثة منازل وكالكثير من مسرحيات الشاعر تبدأ احداث **برلمان النساء** Ekklesiasusai فجرا أي حوالى الساعة الثالثة صباحا حيث لا تزال نجوم الليل متألقة فى صفحة السماء . تقف على قارعة الطريق امرأة رقيقة متنكرة فى ثياب رجل وممسكة بشعلة وهاجة . انها براكساجورا (ربما يعنى اسمها « النشطة في السوق العامة ») زوجة بليبيروس الذى تركته نائما واتت مرتدية ثيابه وممسكة بعصاه التي يتكيء عليها فى سيره منتعلة حذاءه اللاكونى . وتبدو عليها علامات القلق والانشغال اذ تنتظر فى

هذا المكان منذ وقت طويـل . وما الشعلة التي تحملها الا لدعـوة بنات جنسها الاثينيات للتجمع الان وفي هذا المكان . كما سبق ان اتفقن فيما بينهن . ها هي براكساجورا وقد طال انتظارها دون ان تظهر في الافق اية واحدة من حليفاتها . فوقفت تناجي الشعلـة المتوهجة باسلوب فضفاض كما يفعل ابطال التراجيديا في مناجاتهم لضوء القمر او لقرص الشمس او ايـة شخصية ربانية اخـرى . فهي تقول « انك ــ اي الشعلة ــ تقفين في حجراتنا وتشاهدين اسرار حبنا الطاهر وتقع عيناك الثاقبتان على العابنا الجنسية ... ومع انك تعرفين كل ذلك الا انك لا تفشين اسرارنا » .

لقد ضاق النساء ذرعا بتولي الرجال ادارة دفة الامور فـي أثينـا وقررن ان يذهبن متنكرات في ثياب الرجال الى « مجلـس الشعب » Ekklesia @ خلسة لكي يتخذن من القرارات ما يمكنهن من الاستيلاء على السلطة . وابتداء من البيت رقم ٣٠ حتى ٤٥ تبدأ النساء في الدخول واحدة بعد الاخرى أو في مجموعات صغيرة وهن جميعا يمثلن افراد الكورس اللائي يتخذن طريقهن الى الاوركسترا . ومـن المحتمل ان عددهن الاجمالي هو اثنتـا عشرة ويشكلن نصف الكورس صديقات براكساجورا اللائي يقطعن داخـل المدينـة أما النصف الآخـر القادم من الريف فيبدأ في الدخول بعـد بيت ٣٠٠ وعندئذ يلتئم شمل الكورس ويصبح عدده كاملا .

ونعرف من الحوار الذي يدور بين براكساجورا وبقية النساء انها خطـة مبيتة سبق الاتفاق عليها في احـدى الاعياد النسائية القاصرة علـى بنات جنسهن . وبلغ من اصرارهن على الخطـة أن احداهن تركت الشعيرات تنمـو تحت ابطها بغزارة حتى صـارت كالايكة . وتستغل اخرى فترات خروج زوجها الى السوق لتدلك جسمها بزيت الزيتون ثـم تجلس تحت اشعة الشمس الحارقـة طلبا لسمرة البشرة ذلك ان الاسمرار اقرب الى الرجولة ! ولقـد وضعن جميعا ذقونا مستعارة الا ان احداهن ظهرت اكثر اناقـة من ابيكراتيس الملقب بـ « حامل الدرع » (ساكيسفوروس sakesphoros لان ذقنه بلغت خصره وغطت صدره ومعظم جسمه فصارت كالدرع الواقـي . (٦٠ وما يليـه) .

وفي بداية التجمع النسائي تلقي فيهن براكساجورا ــ زعيمة حركتهن ــ خطبة عصماء عن برنامج الاصلاح المزمع تنفيذه . وتتناول النساء ــ وهن اعضاء الجوقة ــ في حديثهن الغنائي اثناء سيرهن

نحو « مجلس الشعب » صورة المستقبل . ثم يخلو المسرح بعد اغنية البارودوس مما يهيىء لظهـور بليبيروس زوج براكساجورا الذى بدأت الشكوك تساوره فى زوجتـه التى سرقت ملابسه وخرجت بليل . ويخبره خريميس ـ القادم من اجتماع مجلس الشعب ـ بالانقلاب الذى وقع فى أمور الدولة ونظمها حيث اتخذت القرارات باغلبية ساحقة واختيرت براكساجورا زعيمة للحكومة . وفى بيت ٥٠٤ يعود افراد الكورس ومن خلفهن مباشرة تأتى براكساجورا التى لا تزال ترتدى ملابس زوجها . وتأمر النساء بان ينزعن عن انفسهن ملابس الرجال بعد ان نجحت خطتهن فهى نفسها ستذهب خلسة الى بيتها لتعيد ما سبق ان سرقته من ملابس قبل ان يدرك زوجها ما وقـع . وفى تلك الاثناء يغـير اعضـاء الكورس ملابسهن فـى الاوركسترا بالفعل وتعود براكساجورا ويصبح الجميع بملابسهن النسائية العاديـة .

وتتلخص اسس النظام الجديد ـ كمـا تشرحها براكساجورا لزوجها ـ ببساطة متناهية فى ان كل الالام والمتاعب ستختفى لان كل شيء من الان فصاعدا سيصبح ملكا مشاعا للجميع . وتتوالـى بعد ذلك عدة مناظر مسرحية الهدف منها مزيد من الشرح والتوضيح لأسس الوضع الجديد الا ان التركيز يقع على نقطة عويصة وهـى المسألة الجنسية حيث ان النظام الجديد يريد ان ينصف العجائز فيعطيهن اولوية مطلقة فى المتعة الجنسية على الفتيات . ومن ثـم فعلى من يريد من فتيان الشباب ان يذهب الـى عشيقته الصغيرة ان يقدم بعض التضحيات اشباعا لشهوات العجائز وارضاء للعدالة الاشـتراكية !

وتخرج براكساجورا الى السوق لكى تشرف على الترتيبات اللازمة لاستقبال كل الممتلكات الخاصة واقامة الوليمة العامـة . وها هم البسطاء السذج يسرعون بتسليم كل ما ملكت ايديهم امـا المتشككون فينتظرون ريثما تتضح الامور قبل ان يقدموا على ايـة خطوة . ويدخل شاب صغير جاء ليلتقى مع محبوبته الفتاة الجميلة التي تنتظره فى لهفة . ووفقا للنظم الاشتراكية الجديدة تتنازع ثلاث عجائز على اولوية كل منهن فى التمتع بصحبة هذا الشاب قبل ان يسلمنه الى فتاته . وهكذا تسير الامور على غير ما خططت لهـا براكساجورا اذ اختفت بعض المشاكل لتظهر مشاكل اخرى جديدة . وهـذا ما تختلف فيـه المسرحية عن « ليسيستراتى » وتتفق مـع « بلوتوس » . ومن الملاحظ ان براكساجورا لا تظهر كثيرا فى الاجزاء

الاخيرة من المسرحية . وفى نهاية المسرحية تجرى الاستعدادات لاقامة الوليمة العامة التى يستغرق اسم احد اصناف الاطعمة فيها سبعة ابيات شعرية ! (١١٦٩ — ١١٧٥) .

ولقد عرضت مسرحية « برلمان النساء » عام ٣٩٣ قم . وبعد انتهاء الحروب البلوبونيسية بتسع سنوات (٤٠٤ — ٣٩٥ قم) كانت اثينا لا تزال تشرب العلقم من كأس الهزيمة وتعيش حالة خنوع وخضوع لاسبرطة المنتصرة . الا انه ينبغى التنويه الى ان تصرف الاسبراطيين تجاه أهل أثينا أتسم بالاتزان والتحضر اذ امتنعوا عن تدمير المدينة تدميرا كاملا فى وقت كان بوسعهم ان يفعلوا ذلك . ولقد اغضب هذا الموقف اهل طيبة وكورنثة فسحبوا تأييدهم للحلف الاسبرطى . ومن ثم فعندما طلب اهل فوكيس عام ٣٩٥ قم . المساعدة ضد طيبة نادت اسبرطة بغزو بويوتيا كلها فلبى جميع الحلفاء — فيما عدا كورنثة — النداء وذهب اهل بويوتيا الى اثينا يطلبون اقامة حلف بينهما ضد اسبرطة مما وضع الاثينيين فى موقف حرج ، وعجز زعماء المدينة واصحاب الراى وفى مقدمتهم ثراسيبولوس (١٠) عن اتخاذ اى قرار اذ تحيروا فى الاختيار بين القبول الذى سيثير غضب اسبرطة والرفض الذى ربما سيضيع عليهم فرصة ذهبية لوقف المد الاسبرطى . وتلك هى المناسبة التى يشير اليها اريستوفانيس فى مسرحية « برلمان النساء » (بيت ٣٥٦) عندما يقول احد الرجال « كما وعد ثراسيبولوس الاسبرطيين » ويقصد انه كان قد وعدهم بالقاء خطبة فى المجلس مؤيدة لهم ولكنه بعد ذلك تراجع ولم يلق الخطبة متعللا بوعكة صحية مفاجئة اصابته لانه اكثر من اكل الكمثرى . وسواء القى ثراسيبولوس خطبته المعارضة للحلف ام لا فقد تم تشكيله وتحركت قوات اثينية على الفور الى هاليارتوس لتحارب الاسبرطيين ولكنها وصلت بعد فوات الاوان اى بعد انتهاء المعركة وموت ليساندروس القائد الاسبرطى الذى كان يحاصر هذه المدينة التابعة لطيبة . ولاشك ان براكساجورا تشير الى هذا الحلف عندما تقول « يبدو ان هذا الحلف الذى سبق ان تناقشنا فى امره هو الشىء الوحيد الذى يمكن ان ينقذ المدينة » (١٩٣ — ١٩٤) . وبالفعل انعش هذا الحلف روح اثينا بعض الوقت الا انه هزم فى معركة كورنثة الكبرى عام ٣٩٤ قم . ومنى الحلف بهزيمة اخرى فى كورنيا فى نفس العام على يد القائد الاسبرطى اجيسلاوس بعد عودته من اسيا الصغرى . وفى تلك المرحلة الحاسمة

والحال المتدهور تخرج علينا براكساجورا لتدين سياسة الرجال المذبذبة وتعرض أن يتولى النساء دفة الامور بصفتهن أكثر ثباتا من جنس الرجال واكثر حرصا على شئون الدولة .

وقبل ان نصل الى تناولنا المفصل لمسرحية « السحب » دعنا نلقى نظرة سريعة على « بلوتوس » (= الثورية) التى عرضت عام ٣٨٨ ق.م . وهى اخر ما وصلنا من انتاج رائد الكوميديا الاغريقية العظيم . وفيما يعرض الشاعر على جمهوره بسخرية لطيفة نتائج تطبيق مبدأ اعادة توزيع الثروة بالعدل والقسطاس وتذويب الفوارق الاقتصادية بين الطبقات . لقد اشمأز خريميلوس من رؤية الاوغاد وهم يزدادون ثراء فى كل انحاء الدنيا بينما هو العادل الامين يظل على فقره المدقع . ويذهب ليستشير الاله ابوللو عما اذا كان من الافضل له والحال هكذا ان يربى ابنه على المنهج الذى يخلق منه وغدا ثريا ! وجاءت انبوءة ابوللو تأمره بان يصحب اول من يصادفه بعد خروجه من المعبد مباشرة الى منزله . وكان اول من رآه خريميلوس امام باب المعبد وقاده الى منزله رجلا اعمى لم يكتشف حقيقة هويته الا تحت الضغط والتهديد واتضح انه بلوتس اله الثروة نفسه . وكان زيوس قد اصابه بالعمى لحقد فى نفس رب الارباب على ابناء البشر . ويصر خريميلوس على ان يعيد نعمة الابصار الى اله الثروة الاعمى لكى يتمكن من التمييز مستقبلا بين الناس فيتحاشى الاوغاد ويلزم معاشرة الاخيار بدلا من التخبط هكذا عشوائيا بين هؤلاء واولئك . ويتردد بلوتس الاعمى كثيرا خوفا من انتقام زيوتس ولكنه فى النهاية وتحت ضغط خريميلوس يوافق على الذهاب الى معبد اسكلبيوس اله الطب لتجرى عملية ارجاع البصر وهنا تتدخل الهة الفقر فتنذر خريميلوس بمغبة تنفيذ خطته الجريئة واثارها المدمرة فالفقر دائما — فى رأيها — منبع الفضيلة والحافز على الاجتهاد بل انه هو الذى حقق لبلاد الاغريق هذا التقدم والازدهار ! ولا يأخذ خريميلوس بكلام الهة الفقر ويضرب به عرض الحائط . وتتم عملية ارجاع البصر لبلوتس بنجاح فيعود مبصرا طريقه بنفسه الى بيت خريميلوس فيصير الاخير ثريا . ويتوافد الناس من كل صوب على هذا البيت الذى يقيم فيه اله الثراء البصير يأتى رجل عاش فقيرا امينا طول عمره حتى صار غنيا الان بفضل عودة البصر والبصيرة لاله الثروة وهو اليوم يريد ان يهدى هذا الاله عرفانا بالجميل — عباءته الممزقة وحذاءه المهلهل(وتأتي امرأة عجوز خسرت عشيقها الذى كان يتردد عليها طمعا فى اموالها فلما صارت فقيرة بسبب عودة البصر لبلوتس فقدت كل شيء ! ويأتى هيرميس

اله التجارة والحظ والمكاسب بعد ان ضاقت به السبل فى السماء واصبح لا يجد هناك ما يقتات به وهو يبحث الان عن عمل على الارض يكسب منه ما يسد الرمق ! واخيرا يأتى كاهن زيوس وهو يتضور جوعا ! خلاصة القول ان تطبيق مبدأ اعادة توزيع الثروة فى مسرحية اريستوفانيس وان انصف بعض الفقراء قد خلق شيئا من الاضطرابات فى بنية المجتمع . وجدير بالذكر ان « الاشتراكية » هى احد الموضوعات الرئيسية فى « برلمان النساء » التى سلف ان تحدثنا عنها .

وهكذا فان كل مسرحية من مسرحيات اريستوفانيس تعتبر مرآة صغيرة تعكس زاوية من زوايا الحياة الاجتماعية السياسية ومن ثم فان أعمال هذا الشاعر الكوميدي فى مجموعها تعد مرآة سحرية كبيرة تعكس كل ثراء الحياة الاتيكية من جميع زواياها ابان فترة تألق اثينا حضاريا وفكريا وبداية ذبول نفوذها السياسي وانكماش توسعها العسكرى الامبريالى . انها مرآة تعكس افاق واعماق مطامع اثينا التوسعية وشراء اسواقها الاقتصادية وتفرد شخصية مواطنيها الاخيار والاشرار على السواء وتعدد حركاتها الفكرية والفنية . ويمسك بهذه المرآة شاعر ساحر استطاع برغم الاضواء الساطعة التى تتضمنها اشعاره ان يحتفظ لمشاهديه وقرائه بوضوح الرؤية وحيوية المتابعة التي تمكنهم من ان يستشفوا مدى الجدية التى تكمن وراء كل كلمة ساخرة ومدى العمق فى ثنايا اى مداعبة عابرة .

ويعكس اسلوب اريستوفانيس طبيعة الموضوعات التى يعالجها فى كوميدياته فهو يستخدم لغة متعددة الالوان . ولكنه يهيمن على مادته وادواته التعبيرية ويستخدمها بيسر وسلامة . فهو يتمتع بتدفق فى الحوار ودفء فى المقطوعات الغنائية ، له عين نفاذة واذن حساسة تمكنه من التقاط كل ما هو عجيب وفخيم ، يميل للمبالغة الساخرة والخيال المنطلق الى افاق لم يسبقه اليها شاعر من قبل . ولم يقع هدفا لسهام نقده اللاذع ولسانه الساخر سوى الساسة البارزين والشعراء المعاصرين واهل الفن والعلماء والفلاسفة ورواد حركات التحول الفكرى بصفة عامة . لا يتعاطف الا مع البسطاء الذين يميلون الى العيش فى هدوء والتمتع بملذات الحياة البسيطة واتباع النظم والتقاليد الموروثة والحفاظ على القيم القديمة .

ومن خلال النظرة السريعة التى القيناها على اعمال اريستوفانيس نلاحظ انه اتبع فى البلدية شكلا ثابتا فى بناء مسرحياته ولا سيما فيما يتعلق بالبارودوس والبراباسيس وعلاقتهما العضوية ببقية اجزاء المسرحية . اما فى « الطيور » وما بعدها من مسرحيات فقد طرأت تغييرات عميقة على الشكل الدرامى بلغت ذروتها فى « برلمان النساء» و « بلوتوس » فهما مسرحيتان تنتميان الى الكوميديا المتوسطة . وتتمثل هذه التغييرات بصفة خاصة فى ادخال اغانى جوقة لا تمت بصلة عضوية الى حدث المسرحية مما ادى الى الاستغناء عن هذه الاغانى عند اعادة نسخ هذه المسرحية فيما بعد اذ اكتفى الناسخون بذكر كلمة « الجوقة » مكانها بمعنى انه يمكن وضع اية اغانى واية كلمات . كذلك نلاحظ فى هاتين المسرحيتين ندرة ـ لا اختفاء ـ الاشارات الشخصية . وتشير كل الدلائل الى ان اريستوفانيس كان رائدا لم يسبقه احد الى هذه التجديدات التى ادخلها على الفن الكوميدى فى بداية القرن الرابع ق.م .

٣ ـ الخلفية السياسية والفكرية لمسرحية « السحب »

وفى هذه المسرحية نشاهد رجلا عجوزا يدعى ستربسياديس وهو اسم يعنى « المراوغ » اثقلته الديون بسبب زواجه . من امرأة ارستقراطية من نسل » ميجاكليس « وبسبب ابنه الذى يعشق الخيول ولا يفكر الا فى اللهو والفروسية ويرسل شعره طويلا مسترسلا على كتفيه ! ولا يجد العجوز مخرجا من مأزقه سوى ان يعلم ابنه فن الجدول ومنطق الباطل لدى سقراط ولكن الابن يرفض الذهاب لمدرسة سقراط ـ او « دكانة » الافكار بلغة أريستوفانيس ـ فيذهب بنفسه ولكنه يفشل فى الاختبارات الاولية التى يجريها عليه سقراط لكبر سنه ووهن عقله . فيلجأ الى ابنه مرة ثانية .. ويقنعه بالذهاب ، ويتخرج الابن من مدرسة سقراط سوفسطائيا كاملا . ويسر الاب ايما سرور ويطرد دائنيه ولا يدفع لهم شيئا من ديونهم .. فلقد تعلم ابنه فن الجدل ومنطق الباطل ويستطيع ان يدافع عنه امام المحاكم ويدفع عنه افظع التهم ! .. ولكن هيهات ان ينعم الاب بذلك فلقد كان من نتيجة تشرب الابن لتعاليم السوفسطائيين وسقراط انه بدأ يضرب اباه .. بل ويثبت بالمنطق انه على حق فى ذلك .. وان ما يفعله هو عين الصواب والواجب فيندم ستربسياديس على ما فعل ويثوب الى رشده

ويصمم على حرق مدرسة سقراط وبهذا الحريق تنتهى المسرحية وهى كلها هجوم على السوفسطائيين وعلى رأسهم — كما رأى الشاعر سقراط فهو يقدمه لنا دارسا ومعلما للعلوم الطبيعية والفلك ويتقاضى اجورا باهظة من تلاميذه ويكفر بالالهة .

تهمنا هذه المسرحية من نواح عدة .. فهى دراسة مستفيضة للفلسفة الطبيعية .. وللسوفسطائيين .. ولسقراط .. تعرض الاراء وتناقشها وان كانت فى الغالب تسخر منها .. ثم هى الى جانب ذلك تتعرض لبعض الساسة .. وفى الواقع ان كل كلمة فى هذه المسرحية ذات معنى مقصود ولها هدف مرسوم وهى قطعة من الفن الاصيل الانسانى والعمالى .. فهى تحكى قصة الصراع بين القديم والجديد .. القصة التى لم تنته بعد .. وفى كل يوم من الايام نعيش فصلا من فصولها .

ولكي نمسك الخيط من أوله — بقدر الامكان — علينا ان نعود للوراء قليلا لان انتصار الاثينيين علـى الفرس الغزاة فى ماراثون خريف ٤٩٠ ق‌م يكاد يكون هو البداية .. بداية الطريق الى قمة العظمة الاثينية .. حيث تدحر المدينة الناشئة قوة الملك العظيم الذى لا يقهر .. تذبح من رجاله حوالى ٦٤٠٠ ولا تخسر من ابطالها سوى ١٩٢ بطلا فكرمتهم أحسن التكريم .. وتتخلص المدينة من هيبياس طاغيتها المنفى الذى عاد غازيا مع الفرس .. لقد اكسبها هذا الانتصار الثقة والطموح الثقة فى قوانينها ونظمها والطموح فى سيادة المدن الاغريقية .. ان الاثينيين انفسهم ينظرون الى معركة ماراثون على انها بداية عصر جديد كما لو ان الالهة قالت لهم فى ذلك اليوم المشهود هلموا .. تقدموا سيروا فى طريق العلا .. وهل يسكت الفرس على هذه الهزيمة المنكرة ؟ .. لا هاهو اكسركسيس يهبط من الشمال على بلاد الاغريق بجحافله الجرارة التى — فيما يقال — زادت على المليون مقاتل .. تعاونه سفن اساطيله ١٢٠٠ سفينة ويعبرون مضيق ثرموبيلاى (فى اغسطس سنة ٤٨٠ ق‌م) على جثث واشلاء ٣٠٠ جندى اسبرطى كتبوا لانفسهم — ولمدينتهم الخلود مدى الدهر لاستشهادهم فى سبيل الواجب والحرية !! واصبحت اتيكا الان مفتوحة الابواب للغزاة المنتصرين .. واثينا الان على بعد اميال قليلة من هذه الجيوش المكتسحة . فماذا يفعل سكانها ؟ هل يستسلمون لليأس ؟ . هل يطلبون الصلح — ويرتضون الهزيمة ؟ .. كلا .. وحاشا ان يفعل الاثينيون ذلك ؟ . لقد اضطر

ثيميستوكليس القائد الحربى المحنك ان يخلى اثينا .. هذا صحيح وهاجر الاهالي الى جزيرة سلاميس ، واحتل بالفعل الجيش الفارسى اثينا ، وحرقها عن اخرها .. فهل نقول ان الاثينيين قد هزموا ؟ .. لا .. والف لا .. فليست الهزيمة هى هزيمة جيش امام جيش .. ولا هى احتلال مدينة او مدن .. وانما الهزيمة هى هزيمة النفوس هزيمة القلوب .. هى اليأس او القنوط .. فقد جهز ثيميستوكلبس اسطولا يتكون من ٣٥٠ سفينة .. واصبح الاسطول الفارسى الضخم وجها لوجه فى خليج سلاميس مع هذا الاسطول قليل العدد والعدة ولكن الاخير استطاع ان يدمر الاسطول الفارسى ويدمره فيما يعرف بانتصار سلاميس ٤٨٠ قم الشهير . وانتهت الحرب الفارسية ــ اخيرا ــ بانتصار الاثينيين الساحق على الغزاة بفضل شجاعتهم وحرصهم على الحرية .

الضغط الاجنبى على امة من الامم يولد روح التضامن والوحدة داخل هذه الامة .. وبقدر ما تكون جسامة الخطر وبقدر ما يطول مداه .. بقدر ما تكون قوة الاتحاد والتضامن .. والخطر ــ اعنى الغزو ــ الفارسى خلق بين الاغريق روح الاتحاد والتضامن فتعاونت المدن الاغريقية ــ بزعامة اسبرطة ــ مع اثينا فى صد هذا الغزو .. الا ان الخطر الفارسى لم يستطع ان يخلق لهم دولة اغريقية واحدة او حتى .. ولايات اغريقية متحدة .. ذلك لان الاغريق يعشقون بطبعهم نظام المدينة الدولة ليشترك كل منهم فى تسيير دفتها .

اعترفت المدن الاغريقية البحرية كلها بزعامة اثينا ، واتحدت فى حلف بحري تحت قيادتها هدفه الرئيسى صد الغزو الفارسي ودرأ خطره . وتدمير العدو . ووضعت خزينة الحلف فى جزيرة ديلوس التى كان فيها ايضا مقر قيادة الحلف .. ولكن لما كانت قيادات هذا الحلف من الاثينيين فقد استطاعوا ان يحولوا هــذا الحلف بمرور الزمن الى « امبراطورية بحرية اثينية » فما كاد كيمون يتولى مقاليد الامور فى اثينا حتى بدأ يفرض سلطانها على بقية المدن قسوة وعنفا « كل مدينة تدمر وتسحق » وكأن الانضمام للحلف والاستمرار فيه اصبح اجباريا وبعبارة اخرى اصبح رمزا للخضوع لاثينا وفى عام ٤٦١ ق.م . نقلت خزينة الحلف ومقر مجلس قيادته الى اثينا بدلا من ديلوس وكأنه لم يعد الا « حلف امبراطورية اثينا البحرية » .

والضغط والارهاب تجاه الثورات لا يزيدها الا اشتعالا وضراوة .. فثارت معظم مدن الحلف على اثينا .. ولجأت كل منها الى الدولة الكبرى الاخرى البديلة اسبرطة للتحالف معها واشعلتها حربا شعواء على اثينا الامبراطورية وكان طبيعيا ان تعاون اسبرطة اعداء اثينا .. فالتنافس قديم بين الديمقراطية بزعامة اثينا وبين الارستقراطية الدورية بزعامة اسبرطة .. زد على ذلك ان الغيرة تغلغلت فى نفوس الاسبرطيين بسبب توسع اثينا الاستعمارى ومطامعها فى السيطرة على كل بلاد الاغريق وها قد حانت الفرصة لضرب اثينا وتدمير امبراطوريتها .

تلك هي أسباب الحروب البلوبونيسية بين اسبرطة واثينا التى وصلتنا اخبارها على لسان جندى أثينى اشترك فى معاركها ونقل لنا تفاصيلها ، انه ثوكيدفيديس الذي سبق أن أشرنا اليه وهو أول وأعظم المؤرخين المدققين .. فعندما فشل فى الدفاع عن مدينة امفيبوليس نفى من اثينا « لحسن حظنا » لانه فى منفاه استطاع ان يخالط اعداء اثينا والمدن المحايدة اى انه تعرف على رأى وخطط جميع الاطراف واطلع على خطط الفريقين المتعاديين . فنقل لنا صورة اعمق واشمل مما كان سوف ينقلها لنا لو نجح فى الدفاع عن امفيبوليس وظل مواطنا اثينيا ، ويهمنا هنا ان نشير الى اهم احداث تلك الحرب وهى « حملة سيراكيوز » (او سراقوصة) التى جندتها اثينا بقيادة نيكياس ولاماخوس والكبياديس . وكم كلفت تلك الحملة اثينا ، لقد كلفتها امبراطوريتها ومجدها السياسى وكما كان مجرد ارسال الحملة تصرفا طائشا فلقد زاد الطين بلة ان خصوم الكبياديس رفعوا عليه دعوى تتهمه بالسخرية من اسرار البوسيس والافشاء بها للناس علانية واستصدروا ضده حكما واستدعوه من قيادة الحملة .. وعاد بالفعل وترك الحملة ولكنه لم يعد الى وطنه اثينا التى حكم عليه فيها بالاعدام غيابيا .. وصادروا ممتلكاته ولكنه عاد الى اسبرطة .. غريمة اثينا ولقد كانت هذه الحملة مثلها كمثل الطفل المحكوم عليه بالاعدام قبل ولادته . كان نيكياس احد قواد الحملة من معارضى فكرتها اصلا .. والكبياديس اكبر قواد الحملة واول المشجعين على شنها ابتداء .. حرم شرف مواصلة قيادتها فهرب الى اسبرطة ـ كما سبق القول .. واخذ يعمل ما وسعه العمل على احباط الحملة فحمل اسبرطة على مساعدة اهل سيراكيوز ضد اثينا فاضحا نواياها الاخيرة الاستعمارية وكاشفا اسرار الحملة كلها وناهيك بما يفعله قائد عسكرى كبير ينضم لصفوف الاعداء

ويعمل على تدمير جيش كن يقوده (!) كل ما جنته اثينا من هذه الحملة غير الفشل والخسـائر العسكرية تأليب الرأى العام الاغريقى عليهـا .

ولقد ضاق الشعب الاثيني نفسه بتلك الحروب البلوبونيسة التى استغرقت سنين طويلة وأكلت الحرث والنسل وفى عـام ٤١١ ق م نـرى شاعرنـا يقـدم للاثينيـين مسرحيـة تصور تلك المحنة وهي كوميدية « ليسيستراتي » فهـذه المرأة ـ بطلة المسرحية ـ تجمع نساء كل المدن المشتركة فى الحرب فى « اتحاد » هدفه الضغط على الرجال لكي يسرعوا بانهاء الحرب وعقد السلام . ومن وراء سطور هذه المسرحية نرى اصـوات الاستنكار وخلف نكاتها نسمع همسات اليأس والقنوط وهي أشياء لم يسبق لنا رؤيتها فى مسرحيات الشاعر الاولى « أهل اخارناي » و « السلام » وكل سبب هـذا الضيق والتبرم فى رأي بطلـة المسرحية ان الحرب ليست وقت الزواج والحب « انه لايعنينا فى شيء نحن المتزوجات ما يجرى الان .. لكن قلبي مليء بالحزن والقلق والخوف على اولئـك العذاري ... » هـذا مانقولـه « ليسيتراتي » فيرد عليها بروبولوس وهو يحاورها « لمـاذا كل هذا الانزعاج ؟ » ومن أجل الفتيات فقط .. والشبان أليست الشيخوخة مصيرهم ؟ « فترد عليه قائلة » لكن الامر يختلـف فالرجل مهما بلغت به السن يستطيع ان يلتقط فتاته « أما المرأة فهي كالزهرة .. واذا فاتها قطار الزواج فلن تلحق به ثانية » .

وانتهت الحروب البلوبونيسية بهزيمة أثينا فى موقعـة ايجوس يوتامي الشهيرة (٤٠٤ ق.م) والتي كانت بمثابة اسدال الستار على فصل من فصول مسرحية التاريخ الاغريقي وانهـاء صفحة من صفحاته .. واندثار مجد اثينا السياسي واضمحلال امبراطوريتها للابد .. رغم انها ما زالت سيدة الفكر وامبراطورة الفلسفة والفن .

وفرضت اسبرطة على اثينا ـ فيما فرضت ـ حكم الطغاة الثلاثين وهو حكم أوليجاركي قـام على سياسة الحديد والنار « التشريد والمصادرة » .. النفي والاعدام .. قتل الآلاف ونفى الآلاف ـ ولكنه احتضن سقراط .. ذلك ان كريتياس ـ تلميذه ـ كان على رأس هذا الحكم ! ومنذ ذلك التاريخ بدأ استياء الناس من سقراط يبلغ الذروة .

ان نصف القرن الذي تلا معركة سلاميس يشكل أروع فترة فى تاريخ أثينا والتاريخ الاغريقي « بل والتاريخ العالمي كله » ففي عام ٤٧٠ ق.م بدأ يلمع فى الافق نجم رجل أصبح هـذا العصر يعرف باسمه .. انه بريكليس الذي كان يسميه مواطنوه « زيوس البشر » شاب قوي البنية ثاقب النظر .. رخيم الصوت رزين الطباع .. نبيل السلوك .. هادىء النفس .. فصيح اللسان .. رصين الاسلوب مؤثر هو ومقنع .. وجه السياسة الاثينية طوال ثلاثين عاما (٤٦١ – ٤٢٩) بتأثيره ونفوذه النابع من شخصيته القوية وسمعته الطيبة التى اشتهر بها بين مواطنية كرجل نبيل كل النبل ... حريص كل الحرص على سعادة بني جلدته .. يفضل كل من حوله علمـا معرفة ... وعبقرية والهاما .

حقق هذا الزعيم لوطنه وللبشرية الكثير ، فى عصره أصبح دخول المسرح بالمجان .. وصرفت رواتب واجـور للمحلفين فى المحاكم والجنود فى الجيش .. اهتم بتقوية الاسطول الاثيني .. اليه يرجع الفضل فى التقدم الذي حققه فـن النحت الاغريقي وفن العمارة .. تشهد بذلك الآثار الباقية الخالدة التى ما زالت تثير اعجاب الدنيا لقد اضحى بريكليس سياسي أثينا وقائدهـا العسكري « رجل الفكر .. وراعية الفن .. كان صديق فيدياس أعظم فناني النحت عبقرية والهاما (ودليل ذلـك تمثالاه لاثينا وزيوس) وفى عصره قدمت مسرحيات سوفوكليس نموذج الفـن التراجيدي الكامل .. وفى عصره أصبح مجلس الشعب يناقش كل المسائل . يجلس المواطن العادي يناقش ويحاور فى كل ما يعن لـه من الامور .. اضبح الشعب كله عباقرة كل شيء يعود اليهم ولا يسير تنظيم أو تشريع الا بامرهم .. بهم يبدأ واليهم ينتهي .. كلهم مثقفون واعون .. وليسوا بحاجة الى مدرسة ذات اسوار .. حياتهم كلها هي المدرسة .. فكلهم فى السلام مشرعون وفى الحرب جنود مدافعون كل ما فى حياتهم مفيد وممتـع الرواق والمدرسة .. والحمامات لم يكن الاثينيون كما كان الاسبرطيون تروسا فى آلة الدولة ، ولكنهم كانوا هم الدولة نفسها .. لقد صنع ليكورجوس آلات .. بينما صنع سولون رجالا .

لقد أدى الانتصار على الفرس الى تدعيم الحرية الاغريقية واذكاء الروح القومية وانطلاق كل القوى .. قوى المجتمع المادىه والفكرية .. انطلاقها الى آفاق جديدة .. ترعرعت المدن الكبيرة

وازدهرت وقامت مدن جديدة وليدة ... زاد عدد سكان أثينا من ٢٠ الفا الى ١٠٠ الف نسمة وانتشر الثراء ... والثراء الفاحش احيانا .. نتيجة لنشاط حركة التبادل التجاري بين المدن وتوطيد علاقات الود فيما بينها .. واصبح القانون الاثيني الان يعمل حسابا للاجانب المقيمين فى أثينا .. يكفل لهم جميع وسائل العيش السعيد .. لقد ملأت الحماسة القومية كل النفوس .. وملكت عليهم الثقة أفئدتهم وقلوبهم الثقة فى انفسهم وديموقراطيتهم .

وفى ذلك العصر — عصر بريكليس .. عصر الكمال .. كان طبيعيا ان تصاحب تلك النهضة الحضارية ثورة ثقافية .. ففي هذا العصر أخضع كل شيء لقواعد العلم والبحث حتى الخطابة وصنعوا لها الاسس والقواعد .. وكذلك النظم السياسية والعاددات والتقاليد كل ذلك سلطوا عليه مجهر البحث والفحص وتغيرت نظرتهم للدنيا فبدأوا ينظرون لما وراء حدود مدنهم .. لشعوب الامم الاخرى يدرسون عاداتها وتقاليدها .. وافكارها .. حتى هيرودوت المؤرخ الذي لم يكن فيلسوفا ولا شكاكا يعرض علينا قصة طريفة لا تخلو من معنى مقصود .. فلقد طلب الملك داريوس من بعض الاغريق ان يأكلوا جثث آبائهم .. ولهم ما شاءوا من الاموال .. فصاحوا استنكارا وتأكيدا بانهم ما فعلوا ذلك قط ولن يفعلوه مهما يكن من الامر .. فما كان من داريوس الا ان دعى احد قبائل الهنود الذين يأكلون جثث آبائهم ولا يدفنونها فطلب منهم حرق الجثث ولهم ما يشاءون .. فصاحوا فزعين . وأكدوا انهم ما فعلوا ذلك من قبل .. ولن يفعلوا مهما كانت الظروف .. فهيرودوت بهذه القصة البسيطة يسلط أضواء البحث والدرس على اعتى عادات الاغريق واقدسها عادة حرق الموتى وكأني به يقول لقرائه « انظروا ماذا يفعل الاخرون .. لاتقدسوا أية عادة مهما كانت » .. وهيرودوت فى هذا يعكس ما قاله ميداروس (٥١٨ — ٤٣٨ ق.م) من ان « العادة هي التى تحكم العالم » ولكن هاهم الاغريق قد بدأوا يحسون ان عاداتهم وتقاليدهم ليست أحكاما قدسية غير قابلة للنقض أو الابرام . لا انها بحاجة حتى الى تبريرها وتفسيرها .. وخلاصة القول ان الناس بدأوا يعتبرون المجتمع « قطعة » من الطبيعة صالحة للفحص والبحث .. قابلة للتغيير والتعديل .

وعمت هـــذاه الروح . روح التساؤل . كـل النفوس وتغلغت فى جميــع العقــول .. فلم يعــد النــاس يتقبلون أي شيء على انه قاعدة مسلم بها بل اخذوا يسألون ... ويتساءلون عن كل ما تقع عليه ابصارهم .. ولقد تطلب هذا الجوبروحــه العلميه المتوثبة .. وحياته الديموقراطية التى جعلت مــن فن الخطابة « سلاح العصر » الذي لابد من حمله . .به يذود الفرد عن نفسه .. وبه يشق طريقه الى قلوب مواطنيه .. والى المجد السياسى . تطلب هــذا الجــو « المدرس الموسوعي » الــذي يستطيع ان يحاضر فى فن الكلام والمنطق .. والعلوم الطبيعية وأي موضوع آخر يخطر بالبال .. لقد شغــف الاغريق منــذ الازل بالفضيلة والحكمة .. لكن كيف السبيل اليهما ؟ يستطيع النخاس ان يبيعك عبدا ويستطيع « النجار » أن يصنع لك « منضــدة » فهل من معلم حكيم فاضل .. يعلمك الحكمة والفضيلــة ؟ .. يجيبنا على هذا السؤال جماعة من المفكرين اعتقدوا ان الحكمــة والفضـــيلة .. صفتان تكتسبان بالتعلـم والمران .. انهــم السوفسطائيون .

كان فى السوفسطائيون ما يتطلبه هــذا العصر « المدرس الموسوعي » ومعلـــم الحكمــة والفضيلة والكلمـــة اليونانيــة Sophisfes تعني اصلا الماهر فى حرفته ثم اصبحت تطلق على الشخص المحنك فى أمور الدنيا أي « الحكيم » .. ثم اطلقت على هؤلاء المدرسين الموسوعيين الذين يعلمون الخطابة والرياضيات والمنطق والمعلم واكتسبت الكلمة شيئا من « التحقير » لعـــدة أسباب منها ان الجماهير كانت لاتثق فى هؤلاء المدرسين الذين يدعون العلم بكل شيء ومنها شعور الاغريق عامة بالاحتقار تجاه من يقدم خدماته نظير اجر ومنها أيضــا شعور الفقراء بالكراهية تجاههم وحسدهم .. لشعورهم بالحرمان من التعلم على يد هؤلاء القوم لارتفاع ثمن دروسهم .. ونحن نطلق الآن كلمة «سوفسطائي» على مدعي العلم ونحمل الكلمة اكثر مما تحتمل من معاني الكذب والخداع والاتجار بالعلم الى غير ذلك مما لم يكن للكلمة اية صلة به عندما ظهرت للوجود ولكننــا اخذنا هذه المعانــي عن افلاطون واريستوفانيس ممن حملوا على هــؤلاء الاساتذة دون رحمة أو هــوادة .

ولم يقصر هؤلاء الاساتذة جهودهم على التعليم لانهم كتبوا الكثير .. فناقشوا موضوعات الساعة .. وكتبوا فى السياسة ونشروا افكارهم لقد قاموا فى الواقع بما تقوم به الآن « صحفنا اليومية » و « مجلاتنا الدورية » فلهم السهم الاوفر فى بناء الحضارة الانسانية .. اثروا الحياة بأفكارهم الذكية الثورية .. وخدموا الادب ببحوثهم فى الاسلوب واللغة .. ورفعوا من شأن الخطابة لاهتمامهم بفن الجدل والاقناع وخدموا الفلسفة لانهم كانوا منطقيين متنورين .. ومفكرين موسوعيين .. حقا كانت رسالتهم الاساسية التعليم وتطهير العقول ووضع حد لزيف الاساطير ونظريات خلق الكون التي لم يبرهن على صحتها بعد وتوجيه الفكر للطريق السليم المثمر .. لقد برز الكثيرون منهم مفكرين ذوي اصالة .. فنقد جورجياس الفلسفة الايلية وكان بروتاجوراس ثورة فكرية بنظريته الجديدة عن « نسبية المعرفة ». وعلوم اللغة كلها قامت على الاسس التي وضعها بروديكوس وبروتاجوراس فأصر الاول على ضرورة التمييز بين المترادفات والثاني ابرز ان اللغة ليست شيئا الهيا منزلا .. لا خطأ فيها .. ولكنها وسيلة تخاطب بشرية .. تنمو بمرور الزمن فهي كائن حي .. لها مصطلحاتها وقواعدها وتقاليدها التي يمكن ان تتغير وتتبدل فى أي وقت .

واما عن اخلاقيات السوفسطائيين عموما فكان معظمهم وعاظا ومبشرين فالحركة السوفسطائية كلها حركة اخلاقية بجانب انها فكرية ولم يصحبها فساد وانحلال وخروج على القوانين كذلك الذي صاحب النهضة الايطالية مثلا لقد كان هدفهم الاول هو التعليم .. تعليم الاغريق وكانت رسالتهم التنوير .. تنوير العقول .. ولقد حققوا الهدف وأدوا الرسالة .. ولعل المواطن الاغريقي فى القرن الرابع .. الرجل الانسان المحب للعدالة والشجاع .. ذا الخيال الخلاق .. كان اثرا من آثار تعاليم هذه المدرسة .. ان السوفسطائيين يمثلون روح عصر بريكليس .

لكن للاسف لم تصلنا اخبار هؤلاء المفكرين الا عن طريق معاصريهم المعارضين لهم .. وفى مقدمتهم افلاطون واريستوفانيس .. وعن طريق كتاب القرن الرابع الذين يختلفون فى اسلوب تفكيرهم وروحهم عن روح القرن الخامس وافلاطون مثلا لا يؤرخ لهؤلاء المفكرين ولكنه وهو أديب الفلسفة ــ أو فيلسوف الادب ــ

يرسم لنا صورة درامية يقدم لنا بطله ويرسم من حوله شخوصا آخرين كل وظيفتهم تعميق صورة هـــذا البطل .. وكان بطـل المسرحيـة الافلاطونيـــة هو سقراط اما الذيـن حوله فهـــم السوفسطائيون .

انظر لصورة ثراسيماخوس الخالقدوني (وكان معـــاصرا لجورجياس) فى الكتاب الاول من جمهورية افلاطون تجده يدافع عن الظلم المطلق .. معتقدا ان القانـــون والاخلاقيات ليست الا وسائل الضعيف لشل حركة القـــوى .. وليس من المعقول ان يكون هذا رأي ثراسيماخوس « الاستـــاذ » الديموقراطي نصير الطبقة الوسطى وحليف الفضيلة الذي كثيرا ما دعي للاعتـــدال وحارب أرخيلاوس المقدوني لظلمه .. لكن ـ وهذا جدير بالذكر ـ نقرأ شذرة باقية له تقول « ان نجاح الشر فى الحياة البشرية يجعل الناس يشكون فى وجود عناية الهية » ولعل هذا الاعتقاد من جانبه هو الجريمة الكبرى التي لصقت به وجعلته نموذج «السوفسطائي المنحل .. المفسد المرذول » اضف الى ذلك انه كأستاذ ومحاضر محترف رفض ان يحاضر سقراط وزملاءه من الشبان علانيـــة وبالمجان مع ان سقراط وتلاميذه كان فى المرتبة الاولى دحض آرائه وتعاليمه .. فزادهم رفضه هذا حقدا ، وكان على راس الحاقدين افلاطون تلميذ سقراط النابغة .

وكان « بروتاجوراس » (٤٨٥ ـ ٤١٥ ق.م) اعظـم هؤلاء المفكرين ميز بين اجزاء الكلام واسس علم النحو لاول مرة فى اوروبا .. مارس مهنة التدريس بنشاط بالغ كان مقربا من بريكليس .. الذي يقال انـــه قضى معه يوما بأكملـــه .. فى مناقشة نظريـــة « العقاب » المسألة التي ما زالت تشغل اذهاننا للان .. وكتـــب بروتاجوراس كتابا عن الدين نشره فى أثينا بقراءته فى منزل صديقه يوريبيديس على جمهور خاص واول جملة في هذا الكتاب تدلنـــا على مكنونـــه « اما عن الآلهـــة فانني لا استطيـــع ان اعرف انهم موجودون أم لا .. اشياء كثيره تحجب عني هذه المعرفة .. فالامر غامض وحياة البشر قصيرة » وقد يكون بروتاجوراس نفسه مؤمنا كل ما تؤكده لنا عبارته ان الامر ليس أمر معرفة على كل فقد ثار عليه الاثينيون واتهموه بالالحاد ومنع بيع كتابه وصودرت جميع نسخه وأحرقت .. فهرب الى صقلية .. لكنه مات فى البحـــر وانضم بروتاجوراس الى اناكساجوراس وسينضـــم وشيكا اليهم سقراط .. فى عداد شهداء الفكر والانسانيـــة .

و « جورجياس » (٤٨٠ ـ ٣٧٦ ق.م) المفكـر الفيلسوف السياسى ذاع صيته كخطيب ذى اسلـوب بارع .. علم الاغريق كتابة نوع جديد من النثر فى الفـاظ منتقاة وجمـــل مقفاة .. فضفاضـة .. ملأى بالتشبيهات .. اسلــوب يخاطب الذوق والخيال لا ذلك الاسلوب القديم الجامد الذي يخاطب العقل .. ولقد قوبل جورجياس بالترحاب أنى رحل .. كما حدث حين زار اثينا لاول مرة كسفير لبلاده .

اما يوريبيدس (٤٨٥ ـ ٤٠٦ ق.م) فقد قيضه القدر لكي ينشر هذه التعاليم الجديدة من اعلى منبر يجله ويحترمـــه .. ويقدسه كل الاغريق ذلك هو المسرح التراجيدي الذي تربع على عرشه .. فأخذ يدعو للمنطقية ويقوض دعائـم الديانة الاغريقية .. حاول ان يبرز حماقات الاسطورة لم ترقه العلاقة بين الالهـة والبشر ولم يتقبل كل شيء تقبلا أعمى رفض ان ينحني احترامـا وتبجيلا لاراء مواطنيه عن « الرق » ومكانــة المـرأة فى المجتمع وضايقه كل الضيق اعتقاد الاثينيين بنبل المولد ولا اروع وأجمل من موقف هذا الشاعر الصريح الواضح تجـاه مواطنيه الذيـن يحتقرون شعوب الامم الاخرى Barbaroi « البربريين »
اقرأ مسرحية « ميديا » تجده يهزأ ويسخر من ياسون الاغريقي الذي اساء معاملة ميديا (الاجنبية ـ البربرية) ويخونها بعد أن باعت وطنها وأهلها فى سبيله قائلا لها « يكفي انني احضرتك من العالم البربري لكي تنعمي بالعيش فى العالم الاغريقي » .

٤ ـ صورة سقراط فى « السحب »

ونأتي الآن لسقراط الذي يعتبره أريستوفانيدس زعيم هذه الطائفة من المفكرين ويركز عليه سهام نقده .. وسياط سخريته .. ولا ادل على ذلك من انه بطل المسرحية التي نقدم لها .. لكن لماذا يهاجم الشاعر السوفسطائيـــين ؟.. ولماذا يعتبر سقراط زعيمهم ؟.. وبصورة اوضح لماذا يهاجم الشاعر هذا الفيلسوف الكبير ؟

ان سقراط فيلســوف اصبحت مبادؤه وأفكـاره وتعاليمه جزءا لا يتجزأ من حياة الناس منذ القدم وحتى ايامنا هذه .. فهو اول من نادى وأصر فى ندائه .. ولم تلن قناته .. ولم يهن عزمه

فى التأكيد على ان الانسان ينبغي ان ينظم حياته على ضوء تفكيره هو وتفكيره فقط دون الاهتمـام بأي عوامـل خارجية او حتى مؤثرات عاطفية .. ما لم تخضع جميعا لتفكيره . لقد كان سقراط ثورة على التقاليد ولم يبال بالنتائج فنادى بأن الشيخ العجوز مثلا لا يلزمنا احترامه لمجرد كبر سنه وشيخوخته ما لم يكن الى جانب ذلك حكيما .. والاب الجاهل لا تنبغي طاعته فى كل شيء لمجرد انه اب ، كانت المعرفة الحقيقية هي هدفه الذي يسعى اليه ونموذجه الذي يحتذيه .. دون الاكتراث بالتقاليد او الصداقة او القرابة .. او اية عاطفة اخرى .

ومثل هذا الرجل الذي يرفض سيطرة التقاليد ايا كانـت لم يكن ليستثني الآلهة من انتقاداته .. وكانت الديانة الشائعـة آنذاك لا تسمح بمجرد الفحص والاختبار للامور السماويـة .. واذا لم يكن سقراط ورعا مثله فى ذلك مثل أناكساجوراس وغيره من الفلاسفة « غير المتدينين » فانه لم يخرج على الدين الاغريقي الخروج الكامل .. كان دون شك يؤمن بوجود الاله اما طبيعـة الاله فقد كان يجهلها .. ويقول انه لا يستطيع ان يعرف عنها شيئا .. فقد عزف بعض الشيء عن الامور السماوية .. زاعما انها لا تعنيه فهي لا تمت لموضوع بحثه بصلة .. ولا يمكن الوصول الـى مكنونها .. الا انه لم يحجب سقراط اي شعور بالورع او الخوف او التحيز عن بحثه ونقده وتعليقه على كل صغيرة وكبيرة .. ولم يكتب سقراط أي شيء .. ولكنه جادل فقط .. جادل وعلم من صاروا فيما بعد معه فى سجل الخالدين .. افلاطون وكسينوفون .. وغيرهما .. وأخذ تلاميذه عنه فيما اخذوا الشجاعة الادبية والحرية الفكرية والطريقة السقراطية الجديدة . وكم من مرة قال سقراط انه لا يستطيع ان يعلم شيئا .. لانه لا يعرف شيئا .. الا شيئا واحدا هو « انه لا يعرف شيئا » وتلك كانت السخريـة السقراطيـة !.

خرج سقـراط على الاثينيين يثبـت لهم ان معتقداتهـم وتقاليدهم بالية لا تحتمل مجرد الفحص والاختبار .. ولم تنـج الديمقراطية الاثينية رمز الحرية الاغريقية من انتقادات سقراط فهاجم اكثر من مرة طريقة انتخاب القواد عن طريق « القرعـة » عماد هذه الديموقراطية ولم يكن سقراط محبوبا بين افراد الشعب

.. لكم من مرة هاجم خداعهم وزيفهم .. جهلهم وخوفهم .. واثار الضحك على كبار السن منهم بأسئلته المحرجة ؟.. كل من احب الديمقراطية وهم غالبية الشعب الاثيني كان يمقت سقراط .. وكأني بهم يقولون « انظروا الى نتائج التعاليم السقراطية ... انظروا الى الكبياديس صديقه الحميم لم يدخر وسعا فى تحطيم وطنه وكريتياس تخرج من مدرسة سقراط فألف كتابا ضد الديموقراطية زار تساليا فحرض العبيد على السادة .. وعاد الى أثينا فأسس حكم الطغاة الثلاثين تحت رعاية اسبرطة لقد الحق بوطنه أكبر الضرر والعار .. وانظروا الى افلاطون شاب يافع .. قدير موهوب سحرته تعاليم سقراط العقيمة فعكف يفكر وعزف عن خدمة وطنه وانظروا الى كسينوفون الذي راح يخدم فى جيش الفرس الاعداء تحت قيادة قورش بدلا من ان يهب نفسه وجهوده لوطنه .. ما أكثر الاضرار التي لحقت بنا والمصائب التي ألمت بوطننا من تعاليم سقراط المسمومة » .

ما من أحد خدم الأنسانية مثل سقراط .. ولكنه حوكم واعدم .. عدلا واي عدل وتلك قمة المأساة .. ضاق به مواطنوه ذرعا .. لتعاليمه الجديدة .. وانتقاداته لآلهة الاوليمبوس وللديموقراطية الاثينية .. وتقدم انتينوس وتعهد برفع الدعوى ضده .. وكان الدافع الاول له فى ذلك ـ بجانب حبه للديمقراطية الاثينية ـ انه كان ذا جرح لا يندمل اصابته به تعاليم سقراط .. فلما كان انتينوس « دباغا للجلود » وأحد التجار الاغنياء فقد عقد العزم على ان يعد ابنه الوحيد « لتشرب المهنة » ومواصلة السير فى هذا الطريق لكن الابن لم يطع أباه ... وهيهات ان يفعل ذلك وقد سحرته اقوال سقراط وفتنته تعاليمه .. وشجع سقراط الابن على هذا العقوق .. من هنا بدأ الصدام بين سقراط وانتينوس يصل للذروة .. الى حيث لا رجعة .. وازداد الامر سوءا .. فى عصر حكم « الطغاة الثلاثين » حين اضطر انتينوس للخروج من وطنه اثينا والعيش فى المنفى شريدا طريدا فى نفس الوقت الذي كان فيه ابنه يهيم في شوارع اثينا عربيدا يترنح فى أزقتها وحارب انتينوس ضد الطغاة الثلاثين وشق طريقه الى اثينا بيد مضرجة بالدماء دفاعا عن الوطن والحرية والديمقراطية فى نفس الوقت الذي كان فيه سقراط ينعم بالعيش فى اثينا وما زال يناقش ويجادل .. ويحاور تلاميذه الشبان ويبحث فى اموره العجيبة وينشر سمومه الرهيبة .

لذلك كله كان سقراط بشخصيته الغريبة وتصرفاته الشاذة المريبة ووجهه القبيح وتعاليمه الجديدة الجريئة وانتقاداته الساخرة اللاذعة .. كان سقراط بذلك كله وغيره موضوعا ملحا على عقلية اريستوفانيس الشاعر الفذ .. وعبقريته الكوميدية الساخرة وشجعه على ذلك روح التبرم والضيق بسقراط التي عمت كل انحاء اثينا .. واذا كانت مسرحية « الضفادع » لاريستوفانيس تقدم لنا أروع دراسة وأكمل نقد للشاعرين التراجيديين « يوريبيديس وايسخولوس » فان مسرحية « السحب » تقدم لنا ايضا ابرع نقد وأدق دراسة للسوفسطائيين ولسقراط ولو انها من جانب شاعر محافظ يحب القديم .. والمسرحيه فى الواقع حافلة بالاشارات للحياة الفكرية والسياسية والادبية فى اثينا .. فأنت بين الحين والآخر تسمع من خلف السطور صوت شاعر او موسيقى .. وانت مشاهد ايضا من بين الكلمات رساما فنانا أو نحاتا بارعا .. وسوف تضحك مرة على سياسي كبير مثل بريكليس .. ولن تتوقف عن الضحك بصوت عال على السوفسطائيين ولكنك لن تلبث ان تشفق على سقراط المسكين الذي زج به وسط هذه الشرذمة من المفكرين .. وسوف تعيش لحظات مع ابطال ماراثون ابناء التعليم القديم .. ثم تعود لتعيش مع ابناء الحرب البلوبونيسية الاثينيين المهزومين ولتعيش مع ابناء « الموضة » مع « خنافس » اثينا يركبون الخيل ويطلقون شعورهم مسترسلة على ظهورهم وجباههم .. كل ذلك انت واجده ومستمتع به فى مسرحية « السحب » .

على انه ينبغي ونحن نقرأ مسرحية « السحب » او نشهدها ان لا يشغلنا الضحك عما وراء السطور .. لان كل كلمة فى هذه الكوميدية ذات معنى مقصود ولها هدف مرسوم .. انظر مثلا الى قول الشاعر فى سطر ١٣٧ وما يليه : « اقسم بحق زيوس على انك جاهل يا من رفست الباب بقدمك وبمثل هذا العنف وهكذا بلا وعي اجهضت فكرة لم يمض على اكتشافها سوى هنيهة » . هذا كلام بسيط فى مظهره يأتي على لسان احد تلاميذ سقراط .. وقد يكون هذا الكلام بلا معنى ولا طعم اذا لم نتذكر ان أم سقراط كانت تعمل « قابلة » . وكان سقراط نفسه يفخر بذلك فى جميع المحافل .. وكان يزعم بأنه انما يقوم هو نفسه بنفس العمل .. فهو يعلم الشبان « ويولد » لهم ومن عقولهم قوى جديدة للتفكير .. فالشاعر يسخر هنا من سقراط ومن امه ..!

ومثل ثان فى سطر ٨٥٩ وما يليه يسأل الابن أباه عن نعليه وقد فقدهما فيرد عليه الاخير قائلا : « انفقتها فيما ينبغي ان تنفق فيه » فالشاعر هنا بهذه الجملة البسيطة التافهة فى مظهرها يسخر من السياسى الكبير والزعيم العظيم بريكليس لانه فى ٤٤٥ ق م أغرى احد القواد الاسبرطيين برشوة مقدارها عشرة تالنتات اثينية وهو مبلغ ضخم .. واقنعه بالانسحاب من أتيكا وعندما سئل عن هذا المبلغ فى مجلس الشعب أجاب « أنفقتها فى مهمة ضرورية » .

ومن الملاحظ ان هناك تناقضا حادا بين التراث الادبى المعروف عن سقراط فى تاريخ الفكر الفلسفى من جهة والصورة الكوميدية التى يرسمها اريستوفانيس له من جهة اخرى وقدم الدارسون حلين لهذا التناقض اولهما يقول بانه كانت لدى سقراط فى أيام شبابه المبكر وحتى الاربعينات من عمره ــ عندما عرضت المسرحية ن اهتماما بالعلوم والخطابة ولكنه هجرها فيما بعد . اما الحل الثانى فيقوم على القول بان اريستوفانيس جهل او تجاهل الفروق الجوهرية بين سقراط والسوفسطائيين . وهذا الحل هو الاسهل والاوقع . ولقد كان سقراط صديق بعض الشبان الاغنياء ولا سيما الكيبياديس سالف الذكر والذى كثيرا ما استضاف سقراط واكرمه كرما بالغا وهو امر ــ من وجهة نظر اريستوفانيس ــ يقربه كثيرا من بروتاجوراس الذى فرض اجورا باهظة على تلاميذه . فكلاهما بالنسبة للشاعر الكوميدى متطفل على طبقة السادة الاثرياء . ومن جهة اخرى فانه اذا كان سقراط نفسه لم يعول كثيرا على الخطابة وفنونها الخادعة فان الكيبياديس تلميذه وصديقه ــ وكغيره من اتباع سقراط ــ أقام مجده السياسى على مهارته الخطابية وفصاحته فى الحديث .

وجدير بالتنويه ان بعض ما يعيب رسم الشخصيات فى التراجيديا قد لا يكون كذلك فى أطار الكوميديا . فشخصية سقراط فى « السحب » تمثل ما تميزت به الكوميديا من عدم التوافق فى رسم الشخصية . كان هدف اريستوفانيس هو ان يجمع فى مسرحتيه كل ما ينسب فى عصره والعصر السابق عليه الى العلماء والفلاسفة والخطباء . وحيث ان المثقفين يجلسون طول الوقت فى داخل منازلهم فهم فى مسرحية « السحب » صفر الوجوه شاحبو اللون هزيلو الصحة . هكذا كان سقراط وكل

الشـبان الذين التفوا حولـه ونهجوا نهجـه . وهؤلاء المثقفـون السقراطيون في مسرحية السحب لا يعملون شيئا مفيدا من وجهة نظر المواطن العادي وهم كذلك ارفع من ان يتمتعوا بالمتع العاديـة في الحياة اليومية . وهم فقراء يعيشون على الاختلاس والسرقة والنصب والاحتيال وهـم كالحشرات لا يعيشون الا في اعمـاق القذارة . وهـم في نفس الوقت يتقاضون مرتبات عالية في مقابل ما يلقنون من دروس . وعندمـا ينخرط ستريسياديس فـي صفوف تلاميذ المدرسة السقراطية يطلب منه الاستعداد لتدريب شاق على شظف العيش (بيت ٤١٥ ــ ٤١٩) فيرد سترسياديس انه بوصفه فلاحا اتيكيا صميما معد بالفطرة لهذا التقشف المضني . ولكن الذي يحدث فيما بعد ان منطق الباطل وهو يحاول اقنـاع فيديبيديس بن ستريسياديس باتباع منهجه والتتلمذ على يديـه يرسم صورة جذابة للحياة في مدرسته التي من المفترض انهـا تمثل اتجاه سقراط واتباعه . وفي هذه الصورة لا نرى أي ملمح للصرامة او التقشف (بيت ١٠٧١ وما يليه ، بيت ١٠٧٧ وما يليه) . فهنا نرى صورة السوفسطائي المحتـال الذي جمـع المال واصبح غنيا يتمرغ في الملذات الحسية . وهكذا يجمع سقراط ــ كمـا رسمه ناريستوفانيس في « السحب » ــ بين عنصرين متضاربين في شخصيته : الفقر والغنى ، التقشف والتبذير ، أو بعبـارة اخرى فانه جمع بين روحانية الفيلسوف المتأمل ومادية الانتهازى المتلذذ بالعربدة . ويمكن ان نوجـز ملامـح شخصية سـقراط الاريستوفانية بالقول انها تمثل كل ما فهمه الرجل العادي ــ الذى يخاطبه اريستوفانيس بمسرحياته ــ من فكر وحياة هذا الرجل غير العادى أي سـقراط .

لقـد افرزت بلاد الاغريق حقـا ابان القرن الخامس ق.م شخصيات سياسية وفكرية غـير عادية في قوة بصيرتها ونفـاذ المحيتها . ووصل الامر بمفكرى تلك الحقبة الى حد التورط فـي التفكير والاستغراق في التأمل لا فيما يتصل بتاريخ العالم فحسب بل وفى بنية الكون نفسها . وبلغ من ثقة البعض في العقل الانسانى انهم صاروا لا يقتنعون بتعليل الظواهـر الطبيعية على انها مـن الافعال الالهية . هذا هو موقف علماء ومفكرى تلك الحقبة امـا مواطنوهم من عامة الناس البسطاء فقد كان لهم موقف آخر جد مختلف . اذ انهم شخصوا وجسدوا بـل والهوا كل شيء كالرياح والنجوم والانهار وما الى ذلك مما يصعب عليه فهمه او تعليله .

كان هبوب العواصف بالنسبة لهم غضبة الهية ونقمة سماوية تنزل بهم لتأتى على الزرع والضرع انتقاما من الذين لم يقدموا القرابين أو قصروا فى تأدية طقوس العبادة وفرائضها . اما اذا وفق انسان ما الى فكرة بارعة او عمل ناجح فى أي مجال من المجالات فهذا التوفيق - بالنسبة لعامة الناس - نعمة من لدن الالهة او بعبارة اخرى نتيجة لتدخل قوة اخرى غير مرئية فى العملية الذهنية البشرية . صفوة القول ان الرجل العادى الاغريقى كان يحس بأنه يعيش فى عالم تسكنه قوى اخرى خفية تفوقه قدرة وبصيرة وتسيطر عليه وتهيمن على الكون كله .

وكانت العلاقة بين المواطن الاغريقى العادى والقوى الالهية الخفية اشبه ما تكون بعلاقة الرعية بالراعى والمحكوم بالحاكم . فالطرف الأول هو بالضرورة خاضع خاشع للحاكم الالهى المستبد والذى لا يمكن للبشر ان يعرفوا افعاله مسبقا بل ولا تفهم احيانا حتى بعد وقوعها . فالاله الاغريقى فى نظر المواطن العادى ليس مسئولا تجاه البشر وليس مطالبا بتقديم تفسير واضح لكل ما يقول او يفعل . وهذا الحاكم الالهى الخفى هو الذى يشرع للناس القوانين ويضع الاحكام ولكنه لا يخضع لها فى حين انه يعاقب كل من يخرج عليها من رعاياه . ولم تعد امام الانسان والحالة هكذا اية وسيلة متاحة لضمان علاقة افضل مع الاله الحاكم الا الطاعة العمياء ومحاولة الاسترضاء باداء الطقوس وتقديم القرابين . والمواطن الذكى هو ذلك الذى يقوم بالفروض الدينية وينفذ الاحكام الربانية ويبتعد عن طريق هذا الحاكم ويتقى شر غضبه .

ومن الطبيعى فى ظل هذا الشعور بالكبت ان تنشأ لدى الانسان المغلوب على امره حاجة ملحة لاقتناص الفرصة المناسبة التى يؤكد فيها ذاته امام هذا الجبروت الاعلى والسطوة الخفية من قبل القوى الالهية . وقدمت الكوميديا الاتيكية القديمة فرصة ذهبية لابناء القرن الخامس ق.م فوجد المواطن الاثينى فيها متنفسا للخروج من القمقم ولكى يؤكد ذاته فراح مثلا يصور بعض البشر متفوقين على الالهة فى كل شىء كما حدث فى مسرحية « الطيور » وبلغ الامر الى حد وصف الالهة بالغباء والجشع والجبن وما الى ذلك من صفات الضعف البشرى ونظرة واحدة لصورة ديونيسوس فى « الضفادع » أو هرميس فى « بلوتوس » تكفى لاظهار المدى الذى ذهب اليه مثل هذا الانتقام الكوميدى البشرى من الالهة .

واذا كان المواطن العادى يلجأ لتأكيد ذاته امام الحاكم البشرى بالسخرية منه او باطلاق الفكاهات عليه فان هناك فرقا واضحا بين السخرية من الحاكم البشرى وتلك الموجهة للحاكم الالهى . ذلك ان المرء بوسعه ان يتهكم من الحاكم البشرى خفية أي من وراء ظهره بينما الحاكم الالهى وهو البصير — حتى فى المعتقدات الوثنية — لا يمكن ان تخفى عليه مثل هذه السخرية البشرية مهما تخفت او تنكرت . ويمكن ان نضيف فرقا ثانيا وهو أن المرء يستطيع ان يتنبأ برد الفعل المتوقع من الحاكم البشرى ازاء هذه السخرية ويمكنه ايضا ان يحدد مداه وان يعمل على مواجهته بطريقة أو بأخرى اما رد الفعل الالهى فهو فى حكم الغيب ولا يمكن التنبؤ به على وجه اليقين .

فمسرح اريستوفانيس اذن فى هذا الاطار هو صرخة لتأكيد الذات عن طريق الانتقام الكوميدى الساخر من الحاكم الالهى والبشرى فى نفس الوقت . فمن المناسب هنا ان نربط بين الجانب الدينى والجانب السياسى فى مسرحيات اريستوفانيس . وعلى الصعيد السياسي كانت امام الكوميديا ثلاثة اهداف يمكن أن تكون موضع انتقامها الهدف الاول هو البنيان الدستورى للدولة والثانى اسلوب العمل السياسى والثالث يتمثل فى القرارات السياسية المختلفة . ومن الملاحظ ان أريستوفانيس ومعظم اقرانه من شعراء الكوميديا قد اسقطوا الهدف الاول من حسابهم واغفلوه تماما وتعليل ذلك ان البنيان الدستورى للدولة كان ميراثا موروثا جيلا بعد جيل فهو مفخرة الاجداد وقمة الامجاد التى حققوها للبلاد ولا سيما انهم خاضوا فى سبيل ذلك اعنف المعارك وصمدوا صمود الابطال امام الغزو الفارسى . فهذا البنيان الدستورى اذن يرمز لهذا الماضى المجيد ولمجد الاجداد التليد ويرمز كذلك للحرية والديموقراطية . ومن ثم فعندما ما يتحدث اريستوفانيس عن « ايام زمان » فهو لا يعنى ايام ما قبل الديموقراطية ولكنه على العكس يقصد بالذات فترة بناء الديموقراطية والذود عنها . وهى الفترة التى تحقق فيها الامان وعم الازدهار واين ذلك مما انتهت اليه الامور الان ؟ ففى عصر اريستوفانيس بدأ النظام الديموقراطى يتآكل ودبت فى جسده جرثومة الفساد وهجمت عليه جحافل الفوضى والاضمحلال . على ان الفترة الفاصلة بين « ايام زمان » وما هو واقع الان عند اريستوفانيس قد لا تتعدى بضع سنوات . فهناك فى مسرحياته من يتحدثون عن ايام الشباب او الصبا على انها تلك الايام المجيدة (راجع « السلام » بيت ٥٧٢) .

اما بالنسبة للهدف الثاني المحتمل للهجمة الكوميدية الساخرة أي اسلوب العمل السياسي فهو مرتبط اشد الارتباط بالهدف الثالث وهو القرارات السياسية التي يتخذها الحكام فتورط الناس في ازمات وحروب وما لا يحمد عقباه بصفة عامة . وازاء هذين الهدفين يمكن القول ان كل الزعماء الذين عاشوا او حكموا بين عام ٤٤٥ و ٣٨٥ ق.م ــ أي ابان فترة حياة اريستوفانيس ــ والذين حدثتنا عنهم الوثائق التاريخية هؤلاء جميعا قد تعرضوا لنقد هذا الشاعر الساخر . فهذا ما يمكن ان نتحقق منه لو تابعنا اسماء الشخصيات السياسية الواردة في مسرحيات اريستوفانيس الباقية وفي الشذرات او المقتطفات المتبقية من المسرحيات الاخرى المفقودة . فحتى بريكليس اعظم قائد سياسي عرفته بلاد الاغريق والذي مات قبل عامين من عرض اول مسرحية لاريستوفانيس ، هذا القائد النادر اخذ نصيبه من النقد السياسي الساخر اثناء حياته ومن اقلام كتاب الكوميديا السابقين على اريستوفانيس اما الاخير فلم يتوان عن التلميح اليه بين الحين والآخر منددا بقراراته السياسية التي جلبت الحرب والدمار على البلاد .

ويوصف القادة السياسيون في كوميديات اريستوفانيس بالتفاهة والجشع وعدم الاخلاص وفقدان الثقة فهم لا يبحثون الا عن مصالحهم الشخصية فيما يتخذون من قرارات . انهم اذن مخلوقات انانية بشعة . يضاف الى ذلك ان طبيعة الكوميديا استلزمت من الشعراء والممثلين ان يصوروا هؤلاء الزعماء السياسيين قبيحي الخلقة يعانون من امراض جسدية ونفسية مزمنة . ها هو اريستوفانيس على سبيل المثال يسخر من نيوكليديس ــ الذي برز كسياسي ابان السنوات الاولى من القرن الرابع ق.م ــ فيقول (« بلوتوس » بيت ٧١٦ ــ ٧٤٧) بتهكم شديد انه كان مصابا بمرض رمدي مزمن فذهب الى معبد ابيداوروس طلبا للعلاج . وهناك وضع اسكلبيوس اله الطب في عينيه موادا وعقاقير معينة جعلته يصرخ ويتلوى من الالم وخرج من معبد اله الطب وعينيه اكثر اظلاما من ذي قبل اذ فقد البقية الباقية من بصيص النور والامل + !

واحيانا يشتد الهجوم الكوميدي على الساسة فنجدهم عند اريستوفانيس منحرفين منحلين بل ومصابين بالشذوذ الجنسي . واحيانا نفاجأ بأن كبار الزعماء هم عند اريستوفانيس ابناء عاهرات

من رجال اجانب دفعوا رشاوى باهظة ليحصلوا لهم على الجنسية الاثينية ! ومما لا شك فيه أن هذا النقد ذو حدين احدهما موجه لشخصية الزعيم السياسى مباشرة والاخر يلمس المجتمع نفسه . وهكذا نجد الشاعر الاغريقى الكوميـدى ينشر الفضائح ويكشف النقاب عن الاسرار الخفية فى حياة الزعماء السياسيين كوسيلة يحاول بهـا ان يكسب رضى جمهوره من المواطنين العاديين الذين كانوا بحاجة لتأكيد الذات والانتقام الكوميدى من افراد الطبقـة الحاكمة الذين هم على اية حال الاعلى اجتماعيا وسياسيا وبالطبع الاكثر ثروة والاكبر سـطوة .

وكان من الطبيعي ان يمتد هذا الانتقام الكوميدى من السلطة الدينيـة والسياسـية الى السلطة الفكريـة . ففى « الطيـور » (بيت ٩٩٢ ــ ١٠٢٠) يأتي عالم الرياضيات والفلك ميتون ويحاول دخول المدينة الفاضلة للطيور ويعطى لنفسه الحق فى ان يقتـرح التنظيمات والتعديـلات فينصحه بيثتايروس بالانصراف وهـى نصحية دبلوماسية تعنى انه شخص غير مرغوب فيه . ولقد سخر اريستوفانيس كثيرا من الشعراء الديثورامبيين ومن ايسخولوس ويوبيديس واجاثون وغيرهم . وتأتى معظم المعارضات اللغويـة الساخرة الموجودة فى كوميديات اريستوفانيس من التراجيديـا بمعنى ان الشاعر الكوميدى يأخـذ الفاظا وعبارات من شـعراء التراجيدا ويقلدها بهدف النقد والسخرية . وهذا امر واضـح وملمـح مميـز لمسرحيتي « النساء فـى أعيـاد الثيسموفوريا » و « الضفادع » بصفة خاصة .والى جانب النقد والسخرية عـن طريق معارضة الالفاظ والتعبيرات التراجيدية فان اريستوفانيس يستغل ايضا الامكانات الكوميدية فى معارضة بعض المواقف بالغة الجدية والصرامة عن طريق وضع هذه المواقف ــ الاقرب الى روح التراجيديا ــ فى اطار هزلي مضحك مما يثير لدى الجمهـور شهية الضحك ويشبع فيه الميل للانتقام الكوميدى ممن هم أعلى منه فكرا وفلسفة . والجدير بالذكـر اننا فى مثل هذه المواضـع المتصلة بالمعارضات اللفظية او التعبيرية فى مسرحيات اريستوفانيس نقف فى الغالب عاجزين عن نقلها الى العربية بصورة امينة لروح الشاعر الكوميدى مما يدفعنا الى وضع الحواشى والتفسيرات .

اما الضربة الكوميدية الكبرى التى تلقاهـا المثقفون فكانت مسرحية « السحب » اذ يسخر فيها المؤلف من البحث العلمى على

انــه شيء لا طائل منه بل على أنه سلوك مناف للاخلاق . ويظهــر المثقفون فى هذه المسرحية كمخلوقات قذرة متسخة واشباح هزيلة ونسخ باهتة لاصل زائف هــو سقراط الذى فى النهاية تحــرق مدرسته ويطرد شر طرده . وتعكس مسرحية **السحب** اتجــاهين فكريين يتعلق اولهما بالتفكير العلمى والبحث التأملى عــن تفسير مقنع لبنية الكون ونظام عمله . وكما سبق ان المحنــا فان مثل هذا التفكير العلمى والتفسير الفلسفى لم يترك سوى هامش ضــئيل جدا لوجود ونشاط الالهة التقليدية . فالعلم والفلسفة على احسن تقدير قلصت دور الالهة الاسطورية على اعتبار ان الاسطورة تضم عناصر غير ملموسة لا يمكن اقامة الدليل عليها . وهذا اتجاه فكرى ثورى واجه نفورا من قبل عامة الناس لانه يتدخل فــى العلاقــة الحميمة القائمة منذ الازل بــين الرجل الاغريقى العادى وآلهته . اذ كان مثل هذا الرجل يتكىء فى حياته اليومية على النية الحسنة للالهة فهم الذين ينبتون المحاصيل ويسرعون بنضوجها وهم الذين يرعــون قطعــان الماشية فتتكاثر اعدادها وهكذا فى سائر الامور لا غنى للرجل العادى عن آلهتــه القوية الخفية . واذا اخذنا فــى الاعتبار ان احلى ما فى حياة مثل هذا الرجل ــ الذى لــم يكــن مترفا بصفة عامة ــ تمثل فــى الغناء والرقص وارتــداء الملابس الجديدة الجميلة والجلوس الى الولائم الحافلة بما لذ وطاب مــن الوان الاكل والشراب وهذه كلها اشياء لم ينعم بها الا ايام المهرجانات الدينية فهمنا لماذا كــان يحرص على علاقته الطيبة بالالهــة ولماذا كان يعتقد ان الاحتفــالات المهرجانية الصاخبة كانت تمثل جزءا جوهريا من طقوس العبادة . فاذا جاء اى انسان الان مهما كــان ليلقي الشكوك حول وجود هذه الآلهــة التى تقام لها هذه الاعيــاد فانه بلا ريب سيلقى نفورا واشمئزازا من قبل عامــة الناس لان هذه المتع الدنيوية ستصبح بالتبعية موضع شك وغير مضمونة فى المواسم الدينية المقبلة . وهكذا اتسعت الفجوة الموجودة بين الانسان البسيط والعالم الفيلسوف ومن ثم نستطيع ان نفهم لماذا أعــدم سقراط ولا سيما اذا اخذنا فى الاعتبار عقيــدة الرجل الاغريقى العادى بأن الالهة قد تعاقب مدينة باسرها وقد تدمر مجتمعا بأكمله ان سمح لنفسه بأن يحتضن مجرما آثما او ملحدا كافرا بوجــود الالهــة .

أما الاتجاه الثانى فى الحياة الثقافية الاثينية كما تصورها مسرحية « السحب » فهو تزايد الاقبال على تعلم فن الخطابة الذى

تربع بالفعل على عرش الحياة الفكرية لقد عرف الاغريق هذا الفن منذ القدم ولكن القرن الخامس ق.م بالذات هو الذى شاهد صعود نجم شخصيات ادبية وسياسية بفضل هذا الفن الذى اكتسب أهمية خاصة في ظل الحياة الديموقراطية . وفي بعض الحالات نجد الاهتمامات العلمية والفلسفية ممتزجة بفن الخطابة مما جعل المواطن العادى يربط كل هذه الامور بالطموحات السياسية الشخصية . ولا سيما انه رأى اناسا يستطيعون بفضل اتقان فن الخطابة ان يتملصوا من العقوبات القضائية كما رأى ان أبناء الاغنياء هم وحدهم المتمتعون بنعم ومزايا هذا الفن لانهم وحدهم القادرون على دفع الاجور الباهظة لأساتذة هذا الفن أي السوفسطائيين .

واذا كان النظام التربوي التقليدي يقوم على تعليم الصبية ما يفيد الدولة والمجتمع في السلم والحرب أى التمرينات البدنية وشد القوس والقراءة والكتابة والغناء والموسيقى الا ان هذا المنهج العتيق لم يعمل على تشجيع ملكة النقد ولم ينم موهبة الابتكار والخلق لدى التلاميذ . اما المنهج السوفسطائي الجديد فانه باديء ذي بدء لم يقتصر على الصغار فقد ضم – كما نرى في « السحب » – الكبار ايضا . واحتوى هذا المنهج على الفلك ودراسة الاحوال الجوية وعلم الجيولوجيا وعلم الحشرات والنحو والعروض . وأهم من ذلك كله هو أن فيديبيديس تلميذ السوفسطائيين وخريج مدرسة سقراط فى مسرحية **السحب** أصبح قادرا على دحض الحجج السليمة ونقض القانون **nomos** وذلك باللجوء الى اظهار نقاط التناقض بينه وبين ناموس الطبيعة نفسها وهذا أمر يعد – اذا نحينا السخرية الكوميدية جانبا – من الاكتشافات الفكرية الهائلة والهامة ابان القرن الخامس ق.م.

ومن الملاحظ ان ستربسياديس يبدأ مسرحية **السحب** بنوايا لا أخلاقية واهداف لئيمة تتلخص فى التملص من سداد ما اقترض من ديون . وهذه الميول هي التي تسهل له عملية الابتلاع السريع والاقتناع الفوري بآراء سقراط الالحادية وغير الالحادية . فينفي ستربسياديس من قاموسه اللغوي الالهة التقليدية ويتطلع الى مستقبل زاهر قائم على المراوغة فى الحديث وعدم الامانة في المعاملة . أما فيديبيديس الذي تربى فى مدرسة

سقراط على يدي منطق الظلم والباطل فقد تشرب كل مبادئـــه وفى مقدمتها الانانية المطلقة . وواضح جدا ان كل ما يقدمه سقراط لتلاميذه من حلول لا يخدم المجتمع بل ولا يفيد المواطن العـــادي الشريف فى قليل أو كثير . وفى نهاية المسرحية يعترف ستربسياديس (بيت ١٤٣٧ ــ ١٤٣٩) أنه يستحق لطمات ابنه كعقاب عادل على سوء التربية التي تلقاها في مدرسة سقراط وذلـــك انه ــ أي ستربسياديس ــ المسئول الاول عنها فهـو الذي زج بابنه قسرا الى داخل هذه المدرسة . وعندما يهدد فيديبيديس بضرب الام أيضا يفيض الكيل بستربسياديس فيلجأ الى الجوقة ويطلب العون فترد عليه بقولها (بيت ١٤٥٣ ــ ١٤٦٤)

« كلا فانت وحدك المسئول عــن كل هذه الامور
أنت الذي حدت عن الصراط المستقيم واتبعت
طريق الشر العقيـــم ...
هكذا نحن نصنع دائما عندما تقع ابصارنا
على رجل مغرم بالشرور نورطه فى مصيبة كبرى
لكي يتعلم كيف يخشى الالهـــة »

وفى هذه الابيات تتجسد الازدواجية فى رسم شخصيـــة الجوقة لانها بالفعل تلعب هنا دور القوى الالهية الحقيقية ــ اي التقليدية ــ تأتمر بأمر زيوس وبقية آلهة الاوليمبوس . وتقول الجوقة انها بهذه الفعالية عاقبت سترسياديس بعد ان تحققت من ميـولـــه الخبيثـــة .

أما المباراة التي تقوم في المسرحية بين منطق الحق ومنطـــق الباطل فليست بالمباراة الحقيقية الجادة انها اشبه ما تكون برسم كاريكاتيري لموقف جدلي . فنحن نرى الحق ضعيفا أعزل من أي سلاح للرد أو الردع اللهم الا التشنج المضحك والانفعال العصبي . ويمثل منطق الحق هنا جيل « أيام زمان » وهو الجيل المتقشف الخشن والمهذب الخجول الذي يطيع الاوامر دون مناقشـــة ويغتسل جيدا . فينظف بدنه باستمرار من كل وسخ ويطهر نفسه من كل رذيلة ولكنه مع كل ذلك الحرص لا يصمد أمام جيل هذه الايام لان الاخير بلا ضمير و لا يتورع عن اللجوء الى أية وسيلـة مهما كانت ليحقق غايته ويكسب الانتصار انه جيل بارع شيطاني النزعة ، تربى فى مدرسة سقراط السوفسطائية .

٥ ـ رحلة نص المسرحية الينا

هناك حقيقة هامة ينبغي ان نتذكرها دائما ونحن بصدد قراءة أو مشاهدة اي نص لاريستوفانيس وهي انه كان هناك حوالي خمسون مؤلفا كوميديا أثينيا بعضهم يكبرونه سنا وبعضهم الآخر يصغرونه المهم انه لم تبق لنا ولا مسرحية واحدة من أعمالهم . كما انه قد عرضت في المدة التي تغطيها حياة اريستوفانيس ما لا يقل عن خمسمائة تراجيدية لا نملك منها الآن سوى ست وعشرين تراجيدية فقط . ونحن ندين ببقاء نصوص المسرح الاغريقي بعامة ومسرحيات اريستوفانيس الاحدى عشرة بصفة خاصة الى حماس بعض فقهاء بيزنطة ورجال الكنيسة ابان القرن التاسع الميلادي . ومنذ حوالي عام ١٢٠٠ م عاد الاهتمام بالادب الوثني ينتعش وينتشر من جديد وكانت بيزنطة ايضا هي مركز هذا الانتعاش والانتشار بعد أن أصبحت عاصمة للامبراطورية الرومانية الشرقية . وفى تلك الحقبة لم يكن من العسير على رجل ميسور الحال من مواطني العاصمة أو مدينة مثل تيسالونيكي أن يحصل على نسخة من نصوص اريستوفانيس . وظلت الحال هكذا حتى وقعت الكارثة عام ١٢٠٤ عندما هاجم الصليبيون مدينة بيزنطة فحرقوا العديد من المخطوطات . ولحسن الحظ أن امبراطورا يونانيا عاد ليتربع على عرش بيزنطة عام ١٢٦١ ففي ظل رعايته شرع الفقهاء يجمعون نصوص اريستوفانيس من جديد وتمكنوا بالفعل من تجميع الاحدى عشرة مسرحية التي هى في حوزتنا نحن المحدثين الآن .

وعندما وقعت بيزنطة (= القسطنطينية أو استانبول) في يد الترك عام ١٤٥٣ كان الايطاليون قد حصلوا على العديد من المخطوطات اليونانية سواء بالشراء أو بأية وسيلة أخرى ممكنة . والى تسرب هذه المخطوطات من بيزنطة تحت الحكم التركي الى شبه الجزيرة الايطالية الناهضة يرجع الفضل فى نجاة الكثير من النصوص اليونانية . المهم ان أول طبعة لاريستوفانيس ظهرت عام ١٤٩٨ فى البندقية وضعت تسعة مسرحيات أما المسرحيتان الاخريان فقد طبعتا لاول مرة فى فلورنسه عام ١٥١٥ .

واما اذا اردنا ان نعرف شيئا عن حالة نصوص اريستوفانيس فمن المفيد ان نتذكر حقيقة انه منذ عصر الشاعر وحتى عصر

اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر كانت هذه النصوص تدون بطريقة النسخ اليدوي . وقد يظن البعض ان الناسخ اليدوي يمكنه لو توخى الدقة وثابر وتحلى بالامانة وراجع وضاهى ما يكتب مع النسخة الاصلية لامكنه ان يخرج نسخة سليمة طبق الاصل . ولكن الواقع ان التطبيق العملي شيء آخر اذ لم يكن التطابق مع النسخة الاصلية أمرا ميسورا فى جميع الحالات لعدة أسباب . فاذا كنا نحن الآن الذين نملك تكنولوجيا متطورة للكتابة والطباعة لم نتوصل الى الكتاب الخالي من الاخطاء المطبعية مائة في المائة . فما بالنا بمخطوطات قديمة تناولتها مئات الايدي بالتدوين اليدوي والنسخ من نسخة الى أخرى عبر قرون عديدة .

وبناء على ما تقدم يمكن ان نتفهم القول بان مخطوطا من مخطوطات اريستوفانيس — وغيره من الكتاب القدامى — لا ينطبق تمام الانطباق مع مخطوط آخر . بل ويمكن القول بشيء من التعميم ان أى مخطوط اريستوفانى يختلف مع الآخر في مقطع واحد كل ثلاثة ابيات من الشعر . ومع ذلك فليس من العدل ان نعزو كل الاخطاء في نصوص اريستوفانيس الى المخطوطات البيزنطية لانه قد ثبت من البرديات التي تم اكتشافها مؤخرا فى رمال مصر ان الناسخ القديم نفسه قد يخطيء بينما أجهد الفقيه البيزنطي نفسه واعمل عقله في النص الذي يملكه حتى توصل الى نتائج طيبة . ومن ثم فلا غرو ان وجدنا فقرة ما فى مخطوط قديم تعطي معنى افضل من نفس الفقرة في مخطوط أحدث . وقد تأتي فقرة بردية قديمة — مع ذلك — بما يعادل فى قيمتها كل ما وصلنا من العصور الوسطى بأكملها حول هذه الفقرة نفسها فى مخطوطات اريستوفانيس .

ومن الملاحظ ان مسرحيات اريستوفانيس تتفاوت فيما بينها فى نسبة تمثيلها بالمخطوطات التي وصلت الينا مما يدل على تفاوتها في الشيوع والتداول من عصر الى عصر . واقدم هذه المخطوطات هو المعروف باسم مخطوط رافينا وموجود بمكتبة classe بالقرب من رافينا Ravenna ويرجع تاريخه الى عام ١٠٠٠ م على الارجح ويضم جميع المسرحيات الاحدى عشرة . ولكن مسرحية **النساء فى أعياد الشيسموفوريا** على سبيل المثال لم تصلنا فى أي مخطوط آخر غير مخطوط رافينا هذا وذلك اذا أغفلنا

النسخة المنقولة عن نفس هذا المخطوط ابان القرن الخامس عشر . وهناك مخطوط آخر باق وسابق تاريخيا على حادثة تدمير بيزنطة على يد الصليبيين وهو مخطوط فينيتوس **Venetus** الذي نسخ ابان القرن الثاني عشر ويضم سبعة مسرحيات فقط . أما باقي مخطوطات اريستوفانيس فيعود الى عصر اسرة الباليولوجي والتي حكمت في بيزنطة من عام ١٢٦١ وحتى سقوط المدينة في يد الترك عام ١٤٥٣ . وجدير بالذكر ان مسرحية « بلوتوس » تأتي فى المقدمة كصاحبة أكبر نسبة تمثيل فى المخطوطات فهي ترد فيها جميعا على وجه العموم . كما أن معظم مخطوطات فترة الباليوجي تضم ثلاث مسرحيات فقط هي **بلوتوس** و **السحب** و **الضفادع** . ومن المفارقات العجيبة أن مسرحية **بلوتوس** هذه ــ والتي يعتبرها كثير من النقاد من أضعف مسرحيات اريستوفانيس ــ قد وصلت الينا في اكثر من مائة وخمسين مخطوطا فى حين ان « ليسيستراتي » التي تحوز على أعجاب جميع الناس فى أيامنا هذه لم تصل الينا الا فى ثمانية مخطوطات فقط .

ويساعدنا في حل المشكلات التي تواجهنا فى مخطوطات اريستوفانيس عاملان . الاول هو ان اللغة الاغريقية ليست لغة ميتة كالحيثيه أو الاشورية مثلا بل ان اللغة التي يكتب بها اريستوفانيس وهي شعبية عامية قريبة الشبه من لغة اهالي القرى النائية ببلاد اليونان الحديثة . أما العامل الثاني فهو ان هذا الشاعر لحسن حظنا اصبح موضع دراسة منظمة بعد ما لا يزيد كثيرا عن قرن من الزمان من موته . وكان كل الذين تعرضوا لدراسته عندئذ من الاغريق الذين توفرت لديهم امكانيات ضخمة اهمها ان نصوص الادب الاغريقي القديم كلها تقريبا كانت تحت تصرفهم . وكتب هؤلاء الدارسون التعليقات والشروح التي وصلت الينا مع نصوص اريستوفانيس . وهكذا يمكن القول مع شيء من التعميم ان تاريخ الدراسات الاريستوفانية يبدأ من القرن الثالث ق.م ويستمر الى يومنا هذا باستثناء فترات انقطاع قصيرة كتلك التي وقعت ابان القرنين السابع والثامن الميلاديين .

لقد كتب المعلقون على اريستوفانيس دراساتهم منفصلة ان مستقلة عن النصوص نفسها ولكن اصبح فى حكم المعتاد قبيل

نهاية الامبراطورية الرومانية وسقوطها ان ينقل قراء اريستوفانيس بعض اجزاء من هذه التعليقات المستقلة الى هوامش النصوص نفسها . ثم تولدت عن ذلك فكرة اخرى جديدة وهي اصدار طبعات لهذه النصوص مع ترك مساحات كبيرة للهوامش بهدف تسهيل عملية نقل الشروح والتعليقات القديمة على القراء . وهكذا وصلتنا مخطوطات كثيرة لاريستوفانيس من العصور الوسطى وعليها هوامش غنية بالتعليقات والشروح . وتمثل هذه الهوامش اذن نهاية المطاف في تاريخ طويل من الشروح والتعليقات . وتأتي هذه الهوامش أحيانا موجزة واحيانا اخرى مطولة وفي حين يفسد بعض الهوامش سواء الفهم من قبل ناقلها نجد بعضها ينم عن قدر كبير من الذكاء ونفاذ البصيرة والقدرة القديرة على التغلغل في أعماق المعاني الارستوفانية . ونضرب على ذلك مثلا من مسرحية « السحب » ففي بيت رقم ٨٦٨ — ٨٦٩ يقدم ستربسياديس ابنه فديبيديس الى سقراط فيقول الآخر :

« ولكنه لا يزال صبيا صغيرا لم تطحنه التجربة ، أعني تجربة التعليق بحبال هذه السلات »

وهذا معنى مقنع لان ستربسياديس عندما دلف الى داخل مدرسة سقراط وجده معلقا بالحبال **Kremathron** ليدرس الفلك وهو مرفوع عن مستوى الارض . ولكن اذا كانت هذه الكلمة **Kremathron** هي الكلمة الاصلية التي كتبها الشاعر نفسه فهي من ناحية البنية العروضية شاذة فوزنها هو — ب في حين ان البيت ليكون سليم الوزن يتطلب ان يكون المقطع الاوسط قصيرا (ب) ولذلك يقول التعليق الهامشى الذي وصلنا « ... التي عليها يعلق الفلاسفة والا فهناك شرح آخر فهي أدوات فلكية وجيوميترية لان مثل هذه الاشياء كانت تعلق في المدرسة ومن ثم يمكن ان نقرأ الكلمة انها **Kremaston** . وهكذا استطاع صاحب هذا التعليق النابه ان يصل الى قراءة أخرى تؤدي الغرضين أي تتفق مع الوزن وتؤدي المعنى المطلوب وهو ان سقراط كان معلقا في الهواء بهدف التأمل في الكائنات الفلكية العليا .

ويستدل على شخصية المتحدث في مخطوط رافينا من كتابة اسمه مختصرا أو مختزلا **Sigla** فمثلا **Pheid** تعني **Phoidipides**

وهكذا . ولكن هذه المختصرات لا تظهر فى صفحات كثيرة وبـــدلا
منها توضع نقطتان او شرطة طويلة ـ كما يحدث فى طبعات كثيرة
حديثة ـ مما يدل على أن الكلام التالي لهذه العلامة مسنود الـى
شخصية أخرى غير المتحدثة سابقا . وفى حالة وجود شخصيتين
متحاورتين فقط لا يمثل التعرف على شخصية كل منهما مشكلة
مستعصية ولكن اذا كان الحوار يدور بين ثلاث شخصيات أو اربع
تبرز لنا مشكلة حقيقية وصعوبة لا يستهان بها . ونحن لا نعرف
على وجه اليقين كيف كان الاسلوب المتبع في عصر اريستوفانيس
نفسه وهل كان يوضع اسم كل شخصية بالكامل أمام حديثها أم لا
ولكن تعليقات الدارسين والشارحين في الفترات المتأخرة توضح
ان اسناد الكلام المناسب للشخصية المناسبة لم يكن عملا يسنـد
الى تراث قديم ولكنه كان يعتمد على تفسير الشارحين أنفسهـم
واجتهادهم الشخصي بالدرجة الاولى مما يشير بأن النص القديم
الذي كان بين أيديهم لم يكن واضحا ولا قاطعا فى هذه المسألة .

وسنضرب مثلا من مسرحية « السحب » ففي بيت ٢١ ــ ٣١
يقرأستربسياديس من دفتر حساباته قائمة الديون المتراكمـــة
على عاتقه ومنها ١٢ مناى (عملة اغريقية) استدانها من باسياس
لشراء حصان يحمل العلامة كوبا **Koppatias** أي من سلالـة
معينة ومنها ايضا ٢ ميناى لشراء طاقم من خيول العربات وزوجين
من العجلات واستدان هذا المبلغ من أمينياس . وبعد ١٢٠٠ بيت
يعود الدائنان لمطالبة ستربسياديس بالاثني عشر ميناى المقترضة
لشراء الحصان الرمادي (بيت ١٢٢٤ ــ ١٢٢٥) ومبلغا آخر من
المال غير محدد فى النص بدقة ولا حتى يذكر الهدف من اقتراضه
أصلا (بيت ١٢٦٧ ــ ١٢٧٠) . ويطرد ستربسياديس الدائنين
فيهين الاول ويهاجم الثاني بمهماز يستخدم في السبـــاق لحث
الخيول على الركض ، وعندمـــا ينسحب الدائـن الثاني يصرخ
ستربسياديس ــ كما جاء فى مخطوط رافينا وفينيتوس ــ

« اخرج ماذا تنتظر ؟ الا تتحرك أيها الحصان حامل العلامة
سان **San Phoras** والكلمة الاخيرة تدل على سلالة اخرى من
الخيول كما ان هذه العبارة ككل وردت فى مسرحيـــة أخـــرى
لاريستوفانيس هـــي « الفرسان » (بيت ٦٠٣) . ولكن بعض
المعلقين يقول بأن الشخص المطرود هنا ليس أمينياس وانما باسياس

نفسه المذكور فى بداية المسرحية ولقد نوقشت هذه المسألة كثيراً الى حد ان البعض يرى انهما ليسا فى الواقع دائنين بل دائن واحد طرد ثم عاد متنكرا دون ان يلحظ ستربسياديس ذلك . وجدير بالذكر هنا ان بعض شخصيات اريستوفانيس الثانوية تركت بلا أسماء محددة ويبدو ان الشاعر قد تعمد ذلك لانه يتفق مع فنه الكوميدي الساخر ويساعد على تركيز الانتباه حول الشخصية الرئيسية فى كل مسرحية على حدة .

٦ ــ حول عرض « السحب » على المسرح

كانت مسرحيات اريستوفانيس تعرض فى مهرجانين يقاما تكريما لديونيسوس يحمل المهرجان الاول اسم لينايا **Lenaia** ويقع على وجه التقريب فيما يقابل فى تقويمنا الحديث أواخر يناير من كل عام. والمهرجان الثاني يعرف باسم دونيسيا **Dionysia** المدينة ويقام تقريبا فيما يقابل أواخر مارس . واتخذت العروض المسرحية الاغريقية شكل المسابقة فتشكلت هيئة حكام لتقيم المسرحيات ومنح أفضلها الجوائز . وكان عدد الكوميديات التي تقدم في المهرجانات أبان فترة الحروب البلوبونيسية (٤٣١ ــ ٤٠٤ ق.م) ثلاثا . اما فيما قبل وبعد هذه الحروب فكان العدد المقدم هو خمسا وكان القائمون على ترتيبات المسابقات المسرحية يحتفظون بسجل رسمي بالمسرحيات الفائزة مرتبة حسب أولوية الفوز . وفى أواخر القرن الرابع ق.م كان هذا السجل يعلن على الجمهور أو يوضع فى كتيب يتداوله الناس ولقد وصلتنا بعض شذرات من مثل هذه السجلات ومن ثم فان أي فقيه اغريقي في العصر السكندري والعصور التالية له كان بوسعه أن يصل الى معرفة تاريخ عرض مسرحيات اريستوفانيس من مجرد النظرة الفاحصة فى هذه السجلات القديمة .

ثم نشأت عادة جديدة ابان العصر السكندري وهي أن توضع « ملخصات » **hypotheses** موجزة لحبكة المسرحيات الاغريقية الكلاسيكية . وكانت مثل هذه الملخصات تزود بمعلومات تاريخية مأخوذة من سجلات الفائزين بالجوائز . ثم حدث أن اضيفت هذه الملخصات مع المعلومات التاريخية الى كل نسخة من نسخ المسرحيات . وظلت هذه العادة متبعة حتى العصور الوسطى ومن ثم اصبح من الممكن ترتيب مسرحيات اريستوفانيس الموجودة

ترتيبا تاريخيا بل وامكن سد الفراغ الناجم عن فقدان المسرحيات الاخرى .

وحيث ان عدد المسرحيات المقرر عرضها فى المسابقات المسرحية كان محددا سلفا ومعروفا للجميع فان المسرحيات التى نالت بالفعل شرف العرض المسرحي كانت مسرحيات منتقاة من نتاج شعراء كثيرين . وكانت عطية الانتقاء هذه من مهام بعض الرسميين الذين يعينون لذلك الغرض خصيصا كل عام وبطريق القرعة . ولم يكن من الضرورى ان يتمتع هؤلاء الرسميون المكلفون بعملية الانتقاء باية مؤهلات خاصة تمكنهم من التقييم السليم ، اضف الى ذلك انهم كانوا مثقلين بواجبات عامة اخرى كثيرة . وكان من الطبيعى ان يتخذ هؤلاء الرسميون لانفسهم مستشارين من ذوى الخبرة فى مجال الدراما وان لم يتيسر لهم ذلك فانهم على الارجح كانوا يطلبون السلامة ويلجأون الى الطريق الاكثر أمنا ان يعطوا الاولوية فى نيل الجوائز للمؤلفين الذين سبق لهم أن حققوا نجاحات ملموسة وحظوا بالشهرةنتيجة لفوزهم فىالمسابقات المسرحية .

وكان هؤلاء الرسميون يبدأون عملهم بعد منتصف الصيف اى قبل مهرجان اللينايا بحوالى ستة او سبعة شهور ومن ثم فان أى شاعر لم يصل فى عملية التأليف الى حد يمكنه من التعهد على الاقل بتقديم عمله فى وقت مناسب فان الخطر كان يتهدده بفقدان فرصته لدخول المسابقة . وبعبارة اخرى كان المؤلف المتقدم للمسابقة ان يقدم مسرحية او على الاقل نسخة اولية لها فى وقت مبكر جدا . ولهذا السبب كان الشاعر المؤلف — ولا سيما فى الكوميديا — يتمتع بحق اضافة ما يريد الى النص وحتى اللحظة الاخيرة لبداية المهرجانات بشرط ان لا تؤثر هذه الاضافات على عملية تدريب الجوقة والممثلين واجراء البروفات . ولقد امكن للدارسين المحققين لنصوص اريستوفانيس ان يعيزوا بعض هذه الفقرات او الاشارات المضافة فى اللحظات الاخيرة قبل عرض هذه المسرحيات .

كان الشاعر المؤلف عادة — وليس بالضرورة — المخرج المنفذ أو على حد تعبير الاغريق المدرب « المعلم » **didaskalos** وجدير بالذكرهنا ان اريستوفانيس أسند اخراج مسرحياته الثلاث الاول

اى « المشتركون فى الوليمة » و « البابليون » و « أهل اخارناى » الى شخص ما يدعى كاالليسترانوس Kallistratos وأسند اخراج بعض مسرحياته الاخيرة الى شخص اخر يدعى فيلونيدس Philonides وكانت الدولة تتكفل بسكنى المثلين ودفع اجورهم اما نفقات الاقامة من مأكل ومشرب بالاضافة الى الملابس وتكاليف تدريب افراد الجوقة ــ المكونة من ٢٤ عضوا فى الكوميديا ــ فكانت تقع على كاهل مدير الانتاج اى الخوريجوس Choregos او قائد الجوقة كما تعنى الكلمة . وكانت هــذه النفقات المفروضة على الخوريجوس تعد بمثابة ضريبة دخل سنوية يدفعها بصفته احد الاثرياء بالمدينة . وكان الشاعر المؤلف يتلقى اجرا وان كنا لا نعرف قدره ولا ميعاد دفعه .

وفى مهرجانات الديونيسيا الكبرى التى تقام بالمدينة كان عدد المتنافسين من الشعراء التراجيديين ثلاثة وكان كل منهم يتقدم بثلاث تراجيديات ومسرحية ساتيرية واحدة . وكان يخصص لكل شاعر تراجيدى يوم واحد من ايام المباراة المسرحية الثلاث يعرض فيه تراجيدياته الثلاث ومسرحيته الساتيرية ثم يختتم اليوم بعرض كوميدية واحدة لاحد الشعراء الكوميديين الثلاثة المتقدمين للمسابقة راجع « الطيور » بيت ٧٨٦ ــ ٧٨٩ وهكذا كان اجمالى مــا يعرض فى كل يوم من أيام المهرجانات خمس مسرحيات . ولا ندرى كيف كانت تجرى الامور قبل الحروب البلوبونيسية حيث كــانت خمس كوميــديات ــ لا ثــلاثا ــ تعرض فى مهرجــانات الديونيتسيا هذه. ولا ندرى ايضا ماذا طرأ من تغيير بعد هــذه الحروب على النظام الذى نعرفه وتحدثنا عنه لانه ــ فيما نعلم ــ اعيد العمل بالنظام القديم . وبالمثل فان معلوماتنا عن ترتيبات مهرجانات الليناايا غير كافية ولكن من المؤكــد ان التراجيديات المعروضة كانت اقل .

وكانت هيئة المحكمين التى ترتب المسرحيات حسب فوزها بالجوائز فى نهاية المهرجانات تتشكل قبل بدايتها عن طريق القرعة التى تجرى على قوائم مقترحة من قبل القبائل Phylai العشرة التى قسم اليها كل المواطنين الاثينيين . كانوا اذن عشرة محكمين يمثل كل منهم قبيلته اما قرار التحكيم النهائى فكان يصدر بناء على سحب عشوائى لخمسة من قرارات هؤلاء العشرة ونحن لا نعرف

على وجه اليقين المعايير التى احتكم اليها هؤلاء العشرة لاننا لانعرف اصلا قواعد ترشيح القوائم العشرة المقترحة من القبائل .

ويفهم من اشارات وردت فى الكوميديا ان جمهور هذا الفن كان من الرجال والصبية كما تشير فقرتان عند أفلاطون ـ فى القوانين 8170 & — 658A الى انه كان بوسع النساء ان يشاهدن كل انواع العروض المسرحية ابان منتصف القرن الخامس نفسه تفترض وجود النساء بين صفوف النظارة . على اية حال فليس هناك ما يدعونا الى ان نفرق فى هذا الصدد بين عصر كلّ من افلاطون واريستوفانيس فقد تعاصرا فترة من الزمن . وينبغى ان لا ننسى انه من الطبيعي ان يتوجه الشاعر الكوميدى بالخطاب الى جمهوره الرجالى طالما ان ذوق وحكم الرجل الاثينى هو الاولى بالرعاية لانه يلعب الدور الاساسى فى ترتيب جوائز المسابقات المسرحية . كما ان ردود الفعل الايجابية بقبول العمل الدرامي واستحسانه او رفضه واستهجانه من قبل النساء فى حضرة الرجال كان امرا غير مرغوب فيه وقلما حدث . وليس لنا ان نتخيل امرأة تتخذ لنفسها مقعدا من مقاعد المشاهدين وهناك رجل بلا مقعد فهذا اسلوك بالمعايير الاغريقية الكلاسيكية غير لائق من جانب المرأة اللهم الا اذا كان مركزها الدينى ـ مثلا يخولها حق التمتع بهذا الامتياز النادر . وهذا معناه ان المرأة عموما لم تكن قادرة على ان تشاهد العرض المسرحى من موقع ممتاز فى الصفوف الامامية الا اذا لم يكن هناك رجل قد اضطر للوقوف او للجلوس فى الصفوف الخلفية . كان العرف المتبع ان يجلس المواطنون البالغون سن الرشد من الرجال فى الاماكن التى يفضلونها وبعد ذلك فليجلس من يريد الجلوس من النساء والاطفال والاجانب والخدم . مما لا شك فيه أنه كان هناك ضرب من الرقابة على حضور العروض المسرحية الا ان النساء المتمتعات بحقوق المواطنة الاثنية حظين بمشاهدة جميع العروض بما فى ذلك كوميديات اريستوفانيس التى تضم كثيرا من المشاهد التى قد نراها الان خليعة او بذيئة .

لقد كان المجتمع الاثينى يفرض حدودا صارمة على الاختلاط بين النساء والرجال ولذلك كان من الطبيعي ان يحدث رد فعل من نوع ما فى صفوف المجتمع النسائى . وهذا ما نلمسه فى التحرر التام من اية قيود اثناء الحديث او التعامل فيما بين امرأة واخرى وفى رحاب مجتمعاتهن المغلقة ، فمن الملاحظ ان النساء كن يملن

الى التجمع على انفراد اى بعيدا عن الرجال . ومن المؤكد انهن كن يفعلن ذلك فى اثناء العروض الكوميدية وفى المواكب الفاللية (نسبة الى افاللوس) وما شابه ذلك من مهرجانات دينية صاخبة وبالطبع كان هدفهن الرئيسى هو التمتع الى اقصى حد بعيدا عن رقابة الرجال . اما بالنسبة للصبية فقد كان الاثينيون يسمحون لهم بمتابعة المشاهد الكوميدية البذيئة . وفى مسرحية « السحب » (بيت ٥٣٨ – ٥٣٩) يشير اريستوفانيس الى نوع ما من الملابس الفالية المبالغ فى رموزها الجنسية والتى صممت خصيصا لاثارة الضحك لدى الصبية .

وجدير بالذكر فى هذا الصدد ان قاموس الجنس الاغريقى يتدرج فى اربعة طبقات تضم الاولى منها كلمات مباشرة كتلك التى تستخدم فى كل اللغات لوصف العملية الجنسية شفويا ولكنها لا تظهر مكتوبة الا نادرا ولا وجود لها فى الادب النثرى . اما الطبقة الثانية فتضم الكلمات العامية التى تدل على مباشرة الجنس بالكناية او التورية والاستعارة مثل استخدام كلمات « اضرب » و « اخبط » .. الخ فى اللهجات العربية العامية بهذا المعنى وهاتان الطبقتان فى القاموس الجنسى هما الشائعتان فى الكوميديا الاغريقية بصفة عامة والاريستوفانية بصفة خاصة اما الطبقة الثالثة فتضم الكلمات الفصيحة والموجودة فى عيون الكتب وامهات المعاجم مثل « اجامع » و « انكح » .. الخ فى اللغة العربية . اما الطبقة الرابعة فتضم الكلمات المهذبة او الملطفة والتى تعبر عن الجنس بحياء شديد كما لو قلنا فى اللغة العربية « اشاركها سرير الزوجية » « تشاركنى الفراش » وما الى ذلك وهذه الطبقة تميز فنون النثر الادبى الاغريقي ولكنها لا تظهر الا نادرا فى الكوميديا .

ولعل من الواضح بناء على ما تقدم ان اريستوفانيس يستخدم لغة جنسية تعد فى ايامنا هذه فجة وبذيئة . وبالفعل ينشر الشاعر فكاهاته الخليعة تلك فى كل مكان حتى انها احيانا تعطل تطور الفكرة الرئيسية او تؤجل سيرها الطبيعى . وهناك تفسير تقليدى لهذه الظاهرة الا وهو القول بان شيوع الجنس فى المسرح الكوميدى يعود الى اصل نشأة هذا الفن ذاته من احتفالات تقام لاله الخصب ولكننا لا نعتبر هذا التفسير كافيا أو مقنعا تماما ولا سيما اذا وضعنا فى عين الاعتبار ان فنانى النحت المعاصرين لاريستوفانيس تمتعوا هم ايضا بحرية ملحوظة فى تصوير المشاهد

الجنسية على اختلاف الوانها وبجميع انواعها العادية والشاذة وهذا ما يظهر من الرسوم الباقية على الاوانى الفخارية وغيرها من الآثار . والتفسير الاكثر قبولا لهذه الظاهرة ككل هو انه بما ان المجتمع الأثينى قد فرض قواعد صارمة على الاختلاط بالنسبة للنساء والفتيات المتمتعات بحقوق المواطنة وفرض عليهن كذلك قيودا جامدة فى التصرف والسلوك وصلت الى حد تحديد المفردات المستخدمة فى الحديث اليومى ! فان المشاهد الجنسية المتحررة فى الكوميديا ــ وفى اعمال النحت ــ كانت المتنفس الطبيعى امام الرجل العادى للتعبير عن فحولته المكبوتة .

ويرى العلامة دوفر **K. J. Dover** ان تأكيد الذات بالنسبة للمواطن الاثينى العادى هو الدافع ايضا وراء ابراز اريستوفانيس للوصف الساخر لعمليات التبول والتبرز وملحقاتها والتى تجرى على المسرح امام المشاهدين . فمثل هذه العمليات الفيسيولوجية والضرورية لحياة الانسان لم تظهر فى نصوص الادب الاغريقى الجاد بل يمكن القول بصفة عامة انها ظلت مهملة ومنسية فى الادب بجميع ضروبه والوانه حتى ظهرت الروايات الواقعية ابان القرن التاسع عشر ــ . ومن الاستثناءات القليلة التى تذكر فى هذا الصدد تلك الاشارة التىوردت فى « حاملات القرابين » لايسخولوس عندما تحدثت المربية العجوز ــ والمهزار ايضا ــ عن عجز الطفل اوريستيس عن ان يمسك البول والبراز وهو فى مهده . ومن الملاحظ ان اريستوفانيس يقول فى المشهد الاستهلالى لمسرحية « الضفادع » ان منافسيه من الشعراء يلجأون الى السخرية من عملية التبرز أما هو فيسمو بأعماله عن مثل هذا الاسفاف . وعلينا ان لا ننخدع بهذا الزعم الكاذب . ففى احد مشاهد مسرحية « برلمان النساء » لاريستوفانيس نفسه (بيت ٣١١ وما يليه) نجد مواطنا يخرج فجرا من منزله وهو بحاجة ملحة للتبرز اذ اصبحت اثقال امعائه غير محتملة فاخذ يجرى هنا وهناك بحثا عن مكان منعزل ويقول بعد يأس :

»اى مكان فى جنح الظلام سيكون مناسبا « !

وفى هذا السياق يفهم ان البيت الاغريقى لم يضم « دورة مياه » وان الناس كانوا يقضون حاجتهم خارج المنازل اى فى الشوارع والطرقات وما لا شك فيه ان الخنازير والكلاب والفئران

وغيرها من الحيوانات والحشرات قد لعبت دورا هاما وحيويـا فى تنظيف المدن الاغريقية من هذه الفضلات الانسانية وهو دور لا تزال تمارسه هذه الحيوانات والحشرات فى بعض القرى الاسيوية والافريقية الى يومنا هذا . المهم ان المواطن الاثينى الذى رأيناه فى « برلمان النساء » يبحث عن مكان للتبرز يجلس القرفصاء اخيرا ولكنه يكشف لنا ــ بعد ان يكشف هو نفسه ــ ان الامور لا تسير على ما يرام وانه يفشل فى اداء هذه المهمة الصعبـة لانه مصاب بالامساك . وعلينا ان نتلمس له العذر فى هذا الفشل فهو منزعج وقلق بسبب تسلل زوجته ليلا من المنزل دون علمه اذ تركته نائما ووحيدا ! ويلمحه احد الجيران فيناديه صائحا :

« هيه (.. ماذا تفعل هناك .. تتبرز ؟ »

وكان من الطبيعى ان يأخذ الحوار بعد ذلك مجرى مختلفا اذ تمضى الاحداث تاركة صاحبنا الممسك متورطا فى مشكلـته التبرزية دون الوصول الى حل حاسم فيها . ولكن الشاعر لم يترك هذا البطل ومشكلته الا بعد ان استغلها اروع استغلال لاثارة الضحك . بقى ان نعرف او نتذكر حقيقتين الاولى ان هذا المواطن الاثيني بلغ العسر بــه الى حد اللجوء الى ربة الولادة نفسها لكي تسهل له المهمة . الحقيقة الثانية التى ينبغى ان لا ننساها لحظة واحدة هى ان هذا المشهد ككل المسرحية صيغ شعرا وانه احتفظ بشاعريته وسمو لغته ونغمته حتى يتناول اتفه الامور الادمية وتلك آيــة من آيــات الفن الاريستوفانى .

ونشتم الرائحة نفسها فى مسرحية « السحب » ففى بيت ٣٨٢ وما يليه عندما يسأل ستربسياديس سقراط عن سبب الرعد يقول الاخير انه تصادم وتلاطم السحب المحطمة بالماء ثــم يمضى فى شرحه فيقول « ساشرح لك الامر وساتخـذ منك انت نفسك برهانا . هب انك انكببت على الطعام فى اعياد الربة اثينة اى الباناثنيايا فشربت من المرق بشراهة بالغة حتى اصابك المغص فى معدتك ، الا تسمع عندئذ قرقعة وكركرة بل وزئيرا فى امعائك » ويصدق ستربسياديس على كلام سقراط . وهكذا يثبت بطلان زعم اريستوفانيس بانه لم يسف باستغلال مشاهـد التبرز فى مسرحه كما يفعل الشعراء الاخرون وهكذا يثبت ايضا ان مثل هذه المشاهد شائعة فى الكوميديا الاغريقية مما يدل على انها لم تكن

موضع استهجان بل على العكس لاقت من الاستحسان ما شجع على تكرارهـــا .

ومن المعروف ان الملمح الرئيسى فى المبنى المسرحى الاغريقى هو مكان دائرى اى « الاوركسترا » Orchestra وهى كلمة مشتقة من الفعل orchesthai بمعنى الرقص ويبلغ قطر هــذه الدائرة ٦٦ قدما . اما مكان المتفرجين فيتكون من مدرج يضم صفوفا من المقاعد ويحوط باكثر من نصف الدائرة الاوركسترا متخذا شكل حذوة الحصان وفى نهاية الدائرة وفى مواجهة منتصفها ومنتصف مكان المتفرجين يقف المبنى المسمى « سكينى » skene وهو المبنى الذى يدخل منه الممثلون ويدلفون اليه وفيه يغيرون ملابسهم وعند طرفى هذا المبنى يقع ممران اى فيما بين هـــذين الطرفـــين ومكان المتفرجـــين وهما مدخلان patodoi , eisodoi وان كانا فى الواقع يستخدمان لدخول وخروج الجوقة والممثلين نحو وسط المدينة او الميناء . ويبدو ان هذا المبنى « سكينى » كان خشبيا فى ايام كسينوفون (راجع (Cynop. vi I 54 اى فى النصف الاول من القرن الرابع ق.م ويبدو من بقايا مسرح أريتريا بجزيرة بوبويا والذى يعود الى القرن الرابع ق.م أن المكان الواقع امام مبنى الـ « سكينى » اى ما يقابل الان « خشبة المسرح» كان يرتفع بعض الشىء عن مستوى الاوركسترا . وهناك فقرات فى نصوص المسرحيات الاغريقية تؤيد هذا الرأى وهناك فقرات أخرى تدحضه . ويتفق معظم الدارسين الآن على أن « المنصـــة مرتفعة » لم تعرف فى بلاد الاغريق قبل العصر الهيللينستى اى فيما بعد عام ٣٠٠ ق.م تقريبا .

وكان العرض المسرحى يتم نهارا وفى الهواء الطلق ولم تكن بالطبع هناك اية وسيلة لخلق الايهام المسرحى بالظلام فى المشاهد التى تتطلب ذلك . ومن ثم كان على المؤلف الذى يريد تقديم احداث تجرى ليلا ان يعبر عن ذلك لفظيا وعلى لسان الممثلـــين صراحة ومباشرة وهذا ما نجـــده فى مطلـــع « السحب » و « الزنابير » والاربعمائة بيت الاولى تقريبا فى « برلمان النساء » . وهكذا كان خلق الايهام المسرحى يعتمد بالدرجة الاولى على خيال الجمهور نفســه . ومن جهة أخرى فعلينا ونحن نقرأ نص ايـــة مسرحية أغريقية او نشاهد عرضا لها ان نتذكر ان الاغريق عاشوا فى الهواء

الطلق اكثر مما نفعل نحن المحدثون وبعبارة اخرى نريد القول بانهم كانوا يقضون معظم وقتهم خارج ـ لا داخل ـ المنازل . فهناك كانوا يعملون وهناك كانوا يقضون وقت فراغهم . ولقد ساعدهم ذلك على خلق الايهام المسرحى اللازم فى مشاهد يفترض انها تجرى داخل مبنى من المباني كمنزل او مدرسة ولكنهم يرونها تمثل امامهم اى وكأنها تجرى بالخارج . لقد استطاع الجمهور الاثينى مثلا ان يستوعب بحسه الدرامى ابيات ٦٣١ ـ ٦٣٣ فى « السحب » فستربسياديس الذى انخرط فى صفوف مدرسة سقراط قد اثبت فشله فى الدراسة مما جعل استاذه سقراط يخرج من المدرسة متململا ويقول :

..ومع ذلك ساستدعيه من الداخل لكى يخرج هنا الى ضوء النهار .

(ينادى ستربسياديس) انت انت يا ستربسياديس ؟ اخرج واحضر معك السرير » والمشكلة هنا تكمن فى اننا قد فهمنا من ابيات سابقة (١٩٥ ـ ١٩٩) ان تلاميذ سقراط صفر الوجوه شاحبى البشرة لانهم ملزمون بالاقامة فى داخل المدرسة السقراطية بعيدا عن ضوء الشمس وفى منأى عن الهواء الطلق كما تقضى لوائح هذه المدرسة السوفسطائية اما الان فمطلوب منا نحن المشاهدين ان ننسى هذه الفكاهة او نتناساها لان المؤلف عندما اراد ان يقدم لنا نماذج للصعوبات التي يواجهها ستربسياديس في فهم دروس سقراط قدم لنا مشهدا من داخل المدرسة ثم عاد وخرج بنا منها مع سقراط اليائس من تبلد ستربسياديس الذهنى .

وهكذا كان على جمهور المسرح الاغريقي ان يكون متعاونا ومتضامنا مع المؤلف والممثل بهدف خلق الايهام المسرحي المناسب وهذا مطلب يشكل ضرورة حيوية بالنسبة للعملية المسرحية كلها ولا سيما ان المسرح الاغريقي لم يعرف اي نوع من « الستارة » مما استلزم حمل الادوات المسرحية المطلوبة للمشهد الاول فى المسرحية ووضعها على المسرح امام ناظري المشاهدين قبل بداية العرض المسرحي . واذا كان ذلك يمثل ضرورة اضطر اليها القائمون على العرض المسرحي الاغريقي فانه اصبح فى ايامنا هذه فكرة او « تقليعة » يتبناها بعض المخرجين . والادهى من ذلك بالنسبة للمسرح الاغريقي انه اذا كان المشهد الافتتاحي يتضمن

شخصية نائمة كما هو الحال فى « السحب » و « الزنابير » فان ممثل هذه الشخصية وقبل بداية المسرحية كان يمشي بنفسه على قدميه فى حالة يقظة كاملة ثم يستلقي امام الجمهور ثم تبدأ عملية خلق الايهام بأنه نائم مع بداية المشهد ! ومطلوب من الجمهور طبعا ان يعاون هذا الممثل فى عملية الانتقال من عالم الواقع الى آفاق الوهم وهي مهمة صعبة للغاية فى ظل هذه الظروف . فالستارة فى مسارحنا الحديثة توفر على الممثل نصف المجهود فى مثل هذه المشاهد .

وكانت الادوات التي يستخدمها المثلون على المسرح تحمل وتنقل دخولا وخروجا على يد الخدم او الاتباع المحيطين بالشخصيات الرئيسية والصامتين فى اغلب الاحيان . وقد يرد فى النص على لسان الممثلين ما يشير الى عملية النقل هذه وقد يمر الامر دون اية اشارة مما يخلق لنا نحن المعاصرين بعض المشاكل . فذلك ما حدث فى مسرحية « السحب » ابيات ٦٣١ ـ ٦٣٣ اذ احضر ستربسياديس معه ـ بناء على أمر سقراط ـ السرير الذي كان يتمدد عليه داخل المدرسة السقراطية الى خارجها كما رأينا . ولكن هذا السرير نفسه كان فى الاصل خارج المدرسة كما يفهم من بيت ٢٩٤ . وفى بيت ٥٠٥ يقول سقراط لستربسياديس « كف الآن عن هذا اللغو واتبعني ، هيا من هذا المكان بسرعة » ويرد ستربسياديس « .. اخشى وانا أهبط الى داخل هذا المكان (يشير الى مدرسة سقراط) كما لو كنت ادخل كهف ثروفونيوس » . ثم يدخل ستربسياديس الى المدرسة فى اثر سقراط فى بيت ٥٠٩ وبيت ٦٢٧ قد حمل السرير الى الداخل . وليس هناك من هو انسب الى اداء هذا العمل من عبد يمثل شخصية صامتة .

ولنعد الآن الى السؤال الذي سبق ان طرحناه عن كيفية الانتقال من مشهد خارجي الى مشهد داخلي فى المسرح الاغريقي . اذ تشير بعض الفقرات من النصوص التي وصلتنا صراحة الى باب فى منزل ما («أهل أخارناى» بيت ٣٩٣ ـ ٣٩٥ و «الضفادع» بيت ٣٥ ـ ٣٩ و « ليسيستراتي » بيت ٤٢٨ ـ ٤٣١ . وتأتي هذه الاشارة احيانا دالة على الانتقال من مشهد خارجي الى مشهد داخلي وعندئذ ليس لنا ان نتخيل هذا الباب خاصا بمبنى معين (« النساء فى أعياد الثيسموفوريا » بيت ٩٣٠ ـ ١٠٠٧) ولكن هذا الباب يكتسب صفة التعيين والتحديد اذا كان ذلك ما يتطلبه

الحدث الدرامي . فمن الطبيعي ان تتعــدد هوية هذا الباب من مشهد الى آخر فى المسرحية ممثلا يمثل هذا الباب فى «الضفادع» بيت هرقل (بيت ٣٥ ــ ١٦٥) ثم منزل بلوتو اله (٤٣١) ثم لا بد من تجاهل هذا وذاك عندما وصل ديوتبيسوس الى العالم السفلي (بيت ١٦٦ ــ ٤٣٠) ولكنه ليس من السهل دائما ان تصور ان نفس الباب يمثل منزلين او أي مبنيين مختلفين داخل المشهــد الواحــد .

اذا توفرت لدينــا معلومـــات كافية ومؤكــدة ان مسرح اريستوفانيس لم يمتلك سوى باب واحد فى مبنى الـ « سكيني » فاننا عندئذ لن نملك الا القول بأن الكوميديا لا تحتاج الى اكثر من هذا الباب وعندئذ سيتحتم علينا ان نعيد بناء مسرحياته بل وان نعيد النظر فى تفسيرها على اساس من هذه المعطيات الجديدة . وهذا أمر ليس عسيرا فى تحقيقه لاننا والحالة هكذا سنجعل لهذا الباب الاوحد عدة وظائف بغض النظر عن سرعة تحرك الشخصيات او تغيير المشاهد ولكن الحقائق التاريخية لها قول آخر اذ وصلتنا معلومات مؤكــدة من الفن الهيللينستي ــ مع ذلك ــ عن وجــود سكيني بثلاثة ابواب . فاذا أضفنــا الى ذلك مقدمة مسرحيــة « الفظ » **Dyskolos** لماندروس (٣١٦ ق.م) حيث نجــد فيها ثلاثة ابواب تستخدم طوال الحدث الدرامي ولكل منها وظيفة محددة . فان سؤالنا المطروح فيما سلف سيتخذ صورة اخرى واتجاها مخالفا لاننا سنتســاءل من جديــد : هل عرف عصر اريستوفانيس مثل هذا الـ « سكيني » متعدد الابواب ؟ وعلى نحو آخر يمكن ان نطرح السؤال التالي لو ان اريستوفانيس لــم يكن يستخدم الا مسرحا ذا باب وحيد فهل كان بوسعه ان يكتب ويرتب تلك المشاهد التي تتحـــدث عن اكثر من باب وبالتالــي تستلزم عدة ابواب لتنفيذها ؟

فى مسرحية « السحب » (بيت ٩٢) يسأل ستربسياديس ابنه فيديبيديس « اترى ذلك البويب وتلك الدار الصغيرة ؟ » ثم يمضي فيشرح له بأنه باب مدرسة سقراط التي يرغب فى ان يأخذه اليها ليطلب العلم فيها . ويرفض فيديبيديس وينتهي الامر بينهما الى مشادة ينسحب فى اثرها فيديبيدس قائلا : (بيت ١٢٥)

« على أية حال سأدخل منزلنا فأنا لا اعبأ بك »

وبالطبع فانه هنا اي فيديبيدس سيدخل منزل الاسرة تاركا أباه وحيدا امام الباب وسيقرر الاب فيما بعد ان يذهب بنفسه الى مدرسة سقراط لتلقي العلم (بيت ١٣١) قائلا :

« بيد انه لا مناص من الذهاب ... لم لا اطرق هذا الباب ؟ »

ويفتح احد تلاميذ سقراط باب المدرسة للطارق . فلو كان مسرح اريستوفانيس لا يحتوي الا على باب واحد فلماذا يكتب مثل هذا المشهد الذي سيكون عندئذ مربكا ؟ الم يكن فى مقدوره ان يجعل فيديبيدس ينصرف منسحبا ببساطة دون القول بأنه « يدخل » هنا او هناك ؟ الارجح انه كان هناك بابان وانهما ظلا يستخدمان طوال عرض مسرحية « السحب » . وجدير بالذكر ايضا ان احداث مسرحية « برلمان النساء » تتطلب ايضا بابين .

وفى التراجيديا عندما كان الشاعر يريد ان يطلع جمهوره على ما يطلبه وهو على سرير المرض أو وهو يلفظ انفاسه الاخيرة او حتى وهو جثة هامدة فانه ـ أي الشاعر ـ كان يجعل الجوقة او اية شخصية اخرى تدخل المبنى . اما من ناحية الادارة المسرحية فانهم كانوا يستخدمون محركا آليا اي بكرة متحركة ekkylema فى الباب الاوسط من مبنى الـ « سكيني » مهمتها ان تدور فتأتي بالمشهد الداخلي امام النظارة . ويرد عند اريستوفانيس مشهدان عن شاعرين تراجيديين تتم زيارة لهما فى المنزل اولهما يوريبيدس (« اهل اخارناي » بيت ٣٩٥ ـ ٤٧٩) والثاني اجاثون (« النساء فى اعياد الثيسموفوريا » بيت ٩٥ ـ ٢٧٥) وفى الحالتين يحمل الشاعر على البكرة المتحركة من الداخل الى الخارج فهو يحمل الينا اذن آليا بدلا من ان يمشي على قدميه ويتقدم نحونا كسائر البشر . فهل لجأ اريستوفانيس الى هذه الوسيلة من باب السخرية والتهكم على شعراء التراجيديا الذين اكثروا فى الآونة الاخيرة استخدام وسيلة « اله من الالة » theos apo mechanes oleus ec machina ام ان الضرورة المسرحية هي التي املت هذه الوسيلة ؟ هذه مسألة خلافية دار حولها جدل طويل لا يزال محتدما حتى الان . ولقد اقترح البعض ان اريستوفانيس لجأ الى نفس الوسيلة فى مسرحية « السحب » لكي يكشف الجزء الداخلي من مدرسة سقراط لانه بعد ابيات قليلة من صيحة استربسياديس لاحد التلاميذ « افتح الباب »

(بيت ١٨٣) ينفتح الباب ونرى التلاميذ خارجة فى الهواء الطلق ثم يطلب منهم الدخول (بيت ١٩٥ ـ ١٩٩) فاذا استخدمت هذه الآلة فى هذا المشهد فلا بد من انها قد حطت على الاقل مجموعتين مكونتين من تلميذين لكل مجموعة (بيت ١٨٧ ـ ١٩٢) وبعد ذلك يتم ادخال الادوات الجيوميترية والفلكية والخريطة (بيت ٢٠١ ـ ٢٠٦) وكذا سرير ستربسياديس (بيت ٢٥٤) . وهناك نظرية اخرى مقترحة بديلة للآلة وهي ان المدرسة فتحت بازالة حاجز وان الباب المشار اليه فى بيت ٩٢ هو باب فى هذا الحاجز وليس فى مبنى الـ « سكيني » وانه عندما طلب الى التلاميذ ان يدخلوا فى بيت ١٩٥ فانهم دخلوا فى الباب الدائم الموجود بمبنى الـ «سكيني» والذي سيظل يمثل الباب الدائم للمدرسة .

ولكن الامر يقتضينا ان نعود بعض الوقت الى بداية المسرحية حيث نجد ستربسياديس وابنه فيديبيدس مستلقيين على سريرين فنحن اذن امام مشهد داخلي اي داخل منزل الاسرة وان كانا بالفعل نائمين امام مبنى الـ « سكيني » ولا يمكن ان نتخيلهما نائمين خارج المنزل لان النوم فى الشوارع لم يكن مستحبا فى اثينا بصفة عامة ربما بسبب انتشار جريمة سرقة الملابس اضف الى ذلك انه يرد فى النص ان فيديبيدس قد لف نفسه جيدا بخمسة اغطية مما يشي ببرودة الجو . المهم اننا يمكن ان نتخيل ان السريرين والاغطية وربما النائمين قد حملوا امام الجمهور قبل بدء المسرحية ووضعوا فى المكان المناسب . وفى بيت ٩٢ على أية حال أيقظ ستربسياديس ابنه فيديبيدس ليبلغه رغبته فى ان ينصاع لامره ويذهب الى مدرسة سقراط . ويشير الى باب المدرسة فهما الان واقفان على الاقدام مما يوحي بأنه من المحتمل ان السريرين قد رفعا من المشهد هنا .

ونفهم مما سبق ان بيت ستربسياديس ومدرسة سقراط ممثلان ببابين منفصلين . ولكن المشكلة الحقيقية تبرز عندما يطلب ستربسياديس من احد التلاميذ فتح باب المدرسة ثم عندما يقود هذا التلميذ ستربسياديس الى داخل المدرسة فنرى معه مجموعة من التلاميذ منهمكة فى اعمال الدراسة والبحث العلمي وبعد قليل يقول لهم زميلهم : ادخلوا خشية ان يجدكم هنا الاستاذ .. فيدخل التلاميذ وقد تركوا زميلهم وستربسياديس مع الادوات العلمية وبعد ذلك عندما يسمح سقراط لستربسياديس بالانخراط

فى مدرسته كتلميذ (بيت ٥٠٥ ــ ٥٠٩) يطلب منه الدخول . وهذا يعني ان ما قدم لنا فى بيت ١٨٤ كمشهد داخلي اصبح الان مشهدا خارجيا بعد احد عشر بيتا فقط والباب الذي فتح لستربسياديس لكي يدخل منه فى بيت ١٨٣ وما يليه لا يزال بابا سيدخل منــــه فى بيت ٥٠٩ .

ويحتمل استخدام البكرة المتحركة هنا ولو ان هذا الاحتمال بعيد نسبيا . ومن المحتمل ايضا ان الباب الذي فتحه التلميذ فى بيت ١٨٣ لستربسياديس خرج منه بقية التلاميذ ومعهم ادواتهم التي تركوها عندما دخلوا فى بيت ١٩٩ . وهناك احتمال ثالث وهو ان حاجز متحرك به باب صغير كان يقف عند احد طرفي مبنــى الـ « سكيني » منذ بداية العرض . وقد يكون هذا هو المبنــى والباب الذي يشير اليه ستربسياديس فى بيت ٩٢ والذي طرقه فى بيت ١٣٢ ومنه يستطيع ان يخرج التلميذ الذي فتح له ليتحدث اليه فى بيت ١٣٣ ــ ١٨٣ . وفى بيت ١٨٣ يستطيع رجال متخفون وراء الحاجز المتحرك ان يحملوه الى خارج المسرح فيصبح التلاميذ وأدواتهم أمام مبنى الـ « سكيني » . وعندما يطلب منهم الدخول يدخلون من الباب الموجود فى الـ « سكيني » وهو الباب الــذي سيظل طوال بقية المسرحية ممثلا لمدرسة سقراط .

وهناك فقرة فى نهاية المسرحية تشير الى وجود بابين منفصلين احدهما لمنزل ستربسياديس والاخر لمدرسة سقراط ولقد سبق ان قال سقراط لتلميذه ستربسياديس وهو يلقنه التعاليم الجديدة ان العاصفة **Dinos** اصبحت تحكم العالم الان محل زيوس (بيت ٣٨٠) . وفى نهاية المسرحيــــة عندما رفض فيديبيديس التعبد لزيوس حامي حمى الاسرة قائلا بأن « دينوس » هو الحاكم الان يصرخ ستربسياديس (بيت ١٤٧٢ ــ ١٤٧٤) :

« انا اتحمل وزر هذه الفكرة الخاطئة .. بسبب هذا الاناء هنــا ..

كنت غبيا حين اتخذت من قطعة فخارية الها يعبد ! »

ويبدو فى حكم المؤكد ان ستربسياديس يتوجه بهذه الكلمات لدينوس ..

حقيقة أي « اناء كبير » فمن اين جاء هذا الاناء ؟ هل دخل ستربسياديس بسرعة لكي يحضره ؟ ام هل اندفع به خادم من الداخل ليسلمه اليه ؟ على اية حال فبعد ابيات قليلة وعندما انصرف فيديبيدس يضرع ستربسياديس الى هرميس طالبا الغفران ويتظاهر بأن الآله يهمس في اذنه بالنصيحة (ابيات ١٤٨٣ — ١٤٨٥) .

فاذا تذكرنا أن حجرا يمثل هرميس كان يقف عند عتبة أي منزل أثيني فمن الافضل أن نتصور وجود بابين الى جانب أحدهما يقف هذا الحجر التقليدى كرمز للاله هرميس وهو باب بيت ستربسياديس ويوجد الى جوار الباب الثانى اناء كبير dinos يرمز الى أى العاصفة التى يؤمن بها سقراط فهذا الباب اذن يمثل مدرسة سقراط . وهذا الباب الثانى يكشف عنه فقط عندما يرفع الحاجز (بيت ١٨٤) . وعن طريق وجود الحجر التقليدى والاناء الكبير كما أسلفنا يرمز الى التعاليم القديمه والجديدة ويظل هذان الرمزان متمثلين فى خلفية الاحداث من بدايتها الى نهايتها .

وأما عن تعليق سقراط فى الهواء فيمكن انجازه بواسطة الرافعة mekhane ولكى لا يسحب هذا المشهد الغريب انتباه الجمهور على حساب الفكاهات فى الابيات ١٨٤ — ٢١٧ فمن المحتمل ان سقراط المعلق فى الهواء لم يكشف النقاب عنه بمجرد فتح المدرسة فى بيت ١٨٤ ولكنه علق وقفز به الى المشهد قبيل ان يلفت ستربسياديس النظر اليه فى بيت ٢١٧ . أما المشهد الختامى الذى صعد فيه ستربسياديس مدرسة سقراط وحرقها فلا يمكن أن نجزم بالكيفية التى أدى بها هذا المشهد ولكننا نعرف انه كان لمبنى الـ (سكينى) سقف مستوى يمكن بعض الشخصيات من الصعود فوقه (« الزنابير » بيت ٦٧ وما يليه) وأحيانا كان المبنى مكونا من طابقين ففى احدى المسرحيات نزل فيلوكليون من نافذة الطابق العلوى على متن حبل («الزنابير» بيت ٣٦٤ — ٤٠٢) واذا كانت التراجيديا قد استخدمت رافعة لادخال الالهة والابطال فى العرض المسرحى والاحداث الدرامية فيما يعرف بوسيلة « اله من الالة المشار اليها سابقا » فان الممثل فى هذه الحالة لا بد وانه كان يعلق بحبل ويلقى به الى المشهد أمام الجمهور عن

طريق الرافعة التى كان يصعد اليها فوق قمة مبنى « سكينى » نفسه . وفى مسرحية « السلام » لاريستوفانيس يطير تريجايوس الى السماء على ظهر خنفساء ضخمة وهذا منظر يتطلب استخدام الرافعة (بيت ١٧٣ ــ ١٧٦) ويأتي فى كلام تريجايوس ما يشير الى ذلك . ومما لا شك فيه ان سقراط ادخل الى المشهد امام الجمهور معلقا فى مسرحية « السحب » بنفس الطريقة .

كان الشاعر التراجيدى يصمم بناء مسرحيته على أساس عرضها بواسطة ثلاثة ممثلين فقط ولكنه كان حرا فى تقديم أى عدد من الشخصيات الصامته كما نجد بعض الادوار الصغيرة التى يقوم بها أطفال . و لايمكن عرض بعض مسرحيات اريستوفانيس بدون اشتراك ممثل رابع فهناك مشاهد كثيرة يدور فيها الحوار بين اربعة شخصيات وهي مشاهد لا يسمح فيها الحوار نفسه بغياب أحد الممثلين ودخوله الى مبنى الـ « سكينى » لتغيير ملابسه ثم متابعة الحوار من جديد . ومن أبرز الامثلة على ذلك ما يحدث فى بيت ٨٨٦ وما يليه فى «السحب» اذ يخبر سقراط ستربسياديس وفيديبيديس بأن منطق الحق ومنطق الباطل سيظهران بنفسيهما ثم يضيف « أما أنا فسأنصرف » . ومن الواضح ان العبارة الاخيرة جاءت لتقول لنا نحن جمهور المشاهدين بأن الممثل الذى يلعب دور سقراط مطلوب لاداء دور احد المنطقين . وعندما نوزع الادوار على أربعة ممثلين فاننا يمكن أن نعطى أكبر قدر ممكن للممثلين الثلاثة باعتبار ان الممثل الرابع هو أقرب ما يكون الى طبيعة الممثل الاضافى لا الاساسى . ولكننا من جهة أخرى يمكن أيضا أن نوزع الادوار بين الاربعة بطريقة أقرب ما تكون الى المساواة . وفى الحالة الاولى يتضح ان الثلاثه ممثلين هو العدد الطبيعى والمعتاد وان احتياجنا لممثل رابع شيء استثنائي يلفت النظر . ولكن ينبغى أن لا ننسى أن هذه المحاولة من صنعنا نحن لاننا لا نملك معلومات وافية عن توزيع الادوار فى عصر اريستوفانيس . اما بالنسبة لمسرحية **السحب** فلا نستطيع تقليص دور الممثل الرابع الى حد كبير لان دور المنطقين دور حيوى فى المسرحية .

وكانت الادوار النسائية تمثل بواسطة الرجال وكان الاطفال يلعبون بعض الادوار الثانوية الصعبة كما فى « الزنابير » (بيت ٢٥٤ ــ ٣١٥) و (السلام) (بيت ١١٤ ــ ١٤٩ و ١٢٦٥ ــ ١٣٠٤)

ولكن هناك ادوار كثيرة صامته كانت تؤديها فتيات جميلات . ففى « الزنابير » (بيت ١٣٤٢ ـ ١٣٨٧) تشى كلمات النص بأن دور الخامة الجميلة قد لعبته فتاة حقيقية ظهرت عارية على المسرح وان كان من غير المستبعد ان يكون شخص ما ـ ذكرا كان أو أنثى ـ قد لعب هذا الدور مرتديا ملابس ضيقة للغاية رسمت عليها تفاصيل كثيرة للجسد بما فى ذلك الشعيرات المنتشرة هنا وهناك . وفى نهاية « برلمان النساء » يبدو أن الفتيات ظهرت فقط للاشتراك فقط فى الوليمة الصاخبة والرقصات الماجنة التى تختتم بها المسرحيه ولو انه من الممكن أن يكون رجال فى زى النساء هم الذين أدوا هذا الدور فربما كان ذلك أدعى للضحك وأنسب لروح الكوميديا ولسياق المسرحية المذكورة ذاتها .

وكما فى التراجيديا فان ممثلى الكوميديا كانوا يرتدون أقنعة مما يؤثر على طبيعة العرض والتمثيل لان الممثل الذى يضع قناعا على وجهه لا يعول كثيرا أو قليلا على ملامح الوجه لتوصيل المعنى الى الجمهور ولكن من المؤكد أن قوامه وذراعيه وقدميه قد لعبوا الدور الاكبر فى هذا المجال وبصورة أكثر مما يحدث فى التمثيل الحديث والمعاصر . وارتداء الاقنعة هو السبب المنطقي لترديد شخصيات المسرح الاغريقى لكلمات وعبارات تتكرر بصورة غير لائقة فى مسرحنا المعاصر مثل « ها أنا أضحك من فرحى » أو « ها أنا ابكي من شدة الحزن » . فهي عبارات تأتي عوضا عن تعبيرات الوجه المطلوبة من الممثل المعاصر والتى لا يبخل بها عليه كل من المؤلف والمخرج فى توجيهاتهما . ومن الملاحظ أن فتحات الفم والعينين فى قناع الممثل الاغريقى كانت واسعة مما وقف حائلا فى طريق محاولة الايحاء بواسطة القناع بشخصية معينه من الشخصيات المعاصرة التى تحفل بها كوميديات اريستوفانيس مثل كليون وسقراط ويوريبديس . فمما لا شك فيه ان تصميم الاقنعة الشخصية ـ وهو أمر لم يعرفه الاغريق ـ كان سيتناسب مع طبيعة كوميديات اريستوفانيس . بقى أن نعرف أن الممثل الكوميدى الذى كان يؤدى دور رجل كان يرتدى ثيابا تضم مسخا لعضو الذكر المبالغ فى تضخيمه .

وهكذا يتضح انه قد ترك لقارىء نصوص اريستوفانيس أو مخرج مسرحياته المعاصر فى كثير من الاحيان أن يحدد بنفسه

الشخصيات المشتركة فى الحوار وأيهم يكون حاضرا فى المشهد أو غائبا عنه ومن يلقى هـذا البيت أو ذاك . وليس مـن المدهش والحالة هكذا ان نفس هذا القارىء ـ ومن باب أولى المخرج ـ هو الذى يرسم بنفسه الحركة المسرحية فيحرك الممثلين كيفما شاء هنا أو هناك على المسرح كما يحدد لهم الاشارات والايماءات وما الى ذلك وهو الذى يتحكم فى درجات الصوت وتنويعاته . وبعبارة أخرى فان اريستوفانيس بوصفـه مؤلفـا يترك أمـر « التوجيهات المسرحية » للمخرج تماما دون أي تدخل . حقا لقد بقيت لنـا بعض التوجيهات المسرحية التى ربمـا وضعها المؤلف نفسه فهى ترجع الى عصره ولكنها قليلة جـدا وتكاد نسبتها لا تتعدى توجيها واحـدا لكل مسرحية وتتعلق هـذه التوجيهات بالالات الموسيقية («الضفادع» بيت ١٢٦٣) او باطلاق صرخة أو أغنيـة على نحـو مـا حـدث فى « الصلفحات » لايسخولوس (بيت ١٢٩) . يضاف الى ذلك ان بعض المعلقين فـى العصـور البيزنطية والوسطى اقترحوا بعض التوجيهات المسرحية من وحى رؤيتهم التجسيدية الخاصـة بهم . وعلـى سـبيل المثال فـى « السحب » بيت ١١ يقول ستربسياديس وقد ضاق ذرعا بسبب استغراق ابنه فى النوم العميق فى حين انه نفسه لم تغمض له عين اذ خاصمه النعاس يقول :

« حسنا فلنتغطى نحن أيضا وليعلو شخيرنا مثله »

ويقول التعليق فى مخطوط فينيتوس « توجيه مسرحى : يلولب وجهه (أو يلويه حرفيا يجعله قبيحا) ويقلد نومه ابنـه الشـاب وعندما يستيقـظ الاخـير يديـر وجهـه الـى الجانب الاخر ويحاول أن ينام هو نفسه ساحبا الاغطية فوق رأسه » .

ومما يدعو للسخرية من هذا المعلق القـديم انـه نسى ان الممثلين فى مسرح اريستوفانيس يضعون اقنعـة على وجوههم ومن ثم فلا يمكن أن نلاحظ نحن المتفرجين ان الممثل الذي يلعب دور ستربسياديس قد غير من ملامح وجهه . على أية حال فان هذا التعليق يؤكد ما سبق أن ذكرناه مـن اننـا نحن القـراء والمخرجين المعاصرين أحـرار فى وضـع الحركـة المسرحيـة لاريستوفانيس بعد قراءة متأنية لنصوصه .

وسنتناول هنا البراباسيس بالحديث لصلته الوثيقة بملابسات العرض المسرحى . ففى مرحلة ما من تطور الحدث الدرامى فى مسرحيات اريستوفانيس المبكرة نجد ان الامور تقتضى خروج كل الممثلين من المسرح وعندئذ تخاطب الجوقه الجمهور مباشرة . وهنا نجد ازدواتجية فى وظيفة الجوقة التى من جهة تبقى كما هى « أهالى أخارناى » أو « الفرسان » أو « الطيور » أو « السحب » الخ ومن جهة أخرى فانها تتحدث وتغنى لا بوصفها متورطة فى الحدث الدرامى ولكن بصفتها تزور أثينا بمناسبة احتفالات ديونيسوس . وللبراباسيس تركيبة بنيوية مميزة نجدها فى معظم المسرحيات على نحو كامل أو جزئى . ولكل جزئية من هذه التركيبه وظيفة محددة . والتركيبة الكاملة للبراباسيس تتكون من الاجزاء التالية :

١ — توديع الجوقة للشخصية أو الشخصيات التى كانت موجودة فى المشهد السابق وتغادر المسرح الان . وهنا تبدأ الجوقة بكلمات تتمشى مع الحدث الدرامى ولكنها تنتقل بعدذلك الى الجزء التالى الذى لا يرتبط بالاحداث فتخاطب الجمهور مباشرة كأن تقول « .. أما أنتم .. » .

٢ — الابيات الانابايستية ويكتسب هذا الجزء اسمه من الوزن الذي ينظم فيه أي الانابايستي الذي يتكون من الوحدات التالية ب ب ب ب ولو أن بعض الاوزان الاخرى تستخدم أحيانا كما يحدث فى « السحب » ويلقى قائد الجوقة هذا الجزء لان هذا الوزن أنسب لذلك فكثيرا ما يستخدم فى الحوار بين الشخصيات . وكان هذا الجزء الانابايستى يلقى بمصاحبة المزمار . ويمدح الشاعر فى هذا الجزء عادة عمله المسرحى الذى يعرض وينتقد منافسيه فى المسابقة المسرحية بأسلوب ساخر ملىء بالصور الشعرية والوان التورية . ففى « السحب » نجد الشاعر يستخدم ضمير المتكلم المفرد فى هذا الجزء وهكذا يصبح قائد الجوقة تشخيصا حيا ومباشرا للشاعر نفسه الذى يخاطب جمهوره .

٣ — الاغنية وتتوجه الى الآلهة بقصد دعوتها لمشاركة الجوقة رقصاتها الاحتفالية ويشترك جميع أفراد الجوقة فى هذه الاغنيه غناء ورقصا وتنظم أبياتها فى أوزان غنائية .

ومن الطبيعي أن تكون هناك علاقة ما ظاهرة بين الآلهة التي يتوجه اليها الخطاب والدعاء هنا وأعضاء الجوقة . فمثلا في « الفرسان » يتوجه الخطاب لبوسيدون بوصفه اله الخيول .

٤ ــ ابيريما Epirrhema وهو جزء ينشده قائد الجوقة وينظم في الوزن التروخائي الرباعي الذي يستخدم أحيانا في الحوار ويضم هذا الجزء نصيحة توجهها الجوقة للجمهور فمثلا في « السحب » تشكو الجوقة أي السحب من أن خسوف القمر نفسه لم ينجح في ثني الاثينيين عن انتخاب كليون قائدا .

٥ ــ أنتودي Antode : أي الجواب على الاغنية « أودي » فهي اذن اغنية من ناحية بنائها العروضي تقابل الجزء رقم ٣ ومن ثم فقد تستمر في مناجاة الآلهه مثلما يحدث هناك .

٦ ــ انتيبيريما Antopirrhema : وهذا الجزء من ناحية التكوين يعد جوابا على الابيريما أي الجزء رقم ٤ ولذا يأتي في وزنه وطوله كما يعالج نفس الموضوع ولكن على نحو أخف وفي لهجة تعليمية ألطف . في « السحب » مثلا تنقل الجوقة أي السحب رسالة عن القمر تتضمن شكوى مرة من أن التقويم الاثيني مرتبك أشد الارتباك حتى ان الآلهة لم تعد تعرف متى يحل موعد تقديم القرابين الواجبة لها في الاعياد والمواسم الدينية .

هذه هي الاجزاء الستة التي يتكون منها البراباسيس ولكن هناك بالطبع خروج عليها بين الحين والآخر . حتى ان المسرحيات التي تتضمن براباسيس كامل في منتصفها قد تضم أيضا براباسيس آخر أصغر قرب نهايتها . وهذا بالضبط ما يحدث في مسرحية « الفرسان » (بيت ١٢٦٤ ــ ١٣١٥) و « الطيور » (بيت ١٠٥٨ ــ ١١١٧) و « السحب » (بيت ١١١٥ ــ ١١٣٠) .

تمثل الابيات الثمانون الاولى من مسرحية « السحب » ما نسميه البرولوج وهدفه ــ كما سبق ان ألمحنا ــ عرض الموضوع

ولكن الشاعر هنا يتحاشى الشكلية ويكسر الملل بخلق نوع من التباين فى انفعالات ستربسياديس الذي ينفجر غاضبا ثم يقرأ فى دفتر حساباته ويقاطعه فيديبيديس الذي يصرخ أثناء نومه وهو يحلم بركوب الخيل . ويقاطعه ايضا الخادم عندما ينطفيء المصباح ، وفى أثناء ذلك كله يكون ستربساديس قد طرح موضوع المسرحية فيكشف لنا عن أسراره العائلية ومشاكله الاجتماعية والاقتصادية وبين الحين والآخر وقبل ان يتسرب الينا الملل يقول لنا أنه يفكر في حيلة ما للخلاص وهو بذلك يشدنا الى متابعة حديثه باستمرار.

أما عن « المباراة » agon التي تحدث فى « السحب » فهي فى الواقع مباراتان وليست مباراة واحدة . الاولى بين منطق الحق ومنطق الباطل والثانية فى نهاية المسرحية بين ستربسياديس وفيديبيديس وتدور حول علائق البنوة أو الابوية . وتتركب مثل هذه المباراة الكلامية في العادة من الاجزاء التالية :

١ ـ دخول المتبارين

٢ ـ اغنية للجوقة ذات لغة منمقة وتهدف الى تقديم المتبارين .

٣ ـ تخاطب الجوقة أحد المتبارين ببيتين من نفس الوزن الذي سيستخدمه هذا المتباري نفسه فى الرد عليها . وهي هنا تحثه على شرح قضيته باستفاضة .

٤ ـ وهو الجزء الذي يتحدث فيه المتباري الاول مع مقاطعات بالطبع من جانب غريمه المتباري الثاني وشخصية ثالثة ـ ان وجدت ـ وكذا تعليقات واحاديث جانبية من هذه الشخصية .

٥ ـ الجزء الختامي من كلام المتباري الاول ويأتي في نفس الايقاع المستخدم فى صلب حديثه ولكنه مختصر وله تركيبة عروضية أقل احكاما .

٦ ـ أغنية للجوقة هي بمثابة جواب عروضى على الاغنية الاولى أي جزء رقم ٢ وتعليق على كلام المتباري الاول.

٧ و ٨ و ٩ ـ هذه الاجزاء تؤدي نفس وظائف الاجزاء ٣ ، ٤ ، ٥ ولكن بالنسبة للمتباري الثاني الذي قد يستخدم وزنا آخر غير الذي استخدمه المتباري الاول .

نعود للبراباسيس لنقول بأن الجزء الانابايستي منه في مسرحية « السحب » (ويسمى هنا اليوبولي نسبة الى الشاعر يوبوليس الذي يتبنى اريستوفانيس اسلوبه فى هذا الجزء) تتحدث الجوقة باسم اريستوفانيس وتشكو مر الشكوى لان مسرحيته قد فشلت (أبيات ٥٢١ ـ ٥٢٥) :

« فلكم أتمنى أن أكون سعيد الحظ هذه المرة

فأفوز بالجائزة ويعتبرني الناس شاعرا بارعا

ذلك أنني أعتقد أنكم جمهور حصيف الرأي ...

وبعد كل ذلك انسحبت لانني هزمت ... الخ »

وبالطبع لا يمكن ان تكون هذه الابيات جزءا من نص المسرحية حين عرضت لاول مرة عام ٤٢٣ ق.م والا فكيف يشكو المؤلف من فشل هذا العرض نفسه . وهكذا اصبح من المؤكد ان النص الذي بين أيدينا هو الطبعة الثانية من « السحب » . وهناك دليل آخر يؤكد هذه النتيجة ففي أبيات ٥٤٩ ـ ٥٥٩ يقول اريستوفانيس أنه بعد ان هاجم كليون وجها لوجه أي في المسرحية « الفرسان » المعروضة عام ٤٢٤ ق.م لم يعد الى هذا الهجوم ثانية فى حين واصل الشعراء الآخرون هجومهم على هيبربولوس بعد ان أخذوا اشارة البدء من مسرحية يوبوليس « ماريكاس »
والمسرحية الاخيرة لم تعرض لاول مرة الا فى عام ٤٢١ ق.م ولما كانت هناك مناسبتان فقط فى السنة للعروض الكوميدية فمن ثم لا يمكن ان يكون اريستوفانيس قد كتب هذا الجزء من «السحب» قبل عام ٤١٨ أو على أقل تقدير ٤١٩ ق.م .

هذا ومع العلم بأن « السحب » لم تعرض على المسرح سوى مرة واحدة في حياة الشاعر وذلك عام ٤٢٣ ق.م أما النسخة الثانية التي بين أيدينا فقد نشرها اريستوفانيس مكتوبة ولم ينجح فى عرضها على المسرح ثانية . كما ان مراجعة هذه النسخة لم تكتمل ودليل ذلك الاشارة الواردة فى البراباسيس والتي تتحدث عن كليون كما لو كان لا يزال حيا (بيت ٥٩١ ـ ٥٩٤) فى حين انه كان قد مات عام ٤٢٢ ق.م في احدى المعارك . وهناك ايضا ما يدل على عدم اكتمال المراجعة التي بدأها اريستوفانيس وذلك فى بيت ٨٨٦ وما يليه حيث يقول سقراط لستربسياديس انه

سيترك المنطقين يعلمان بنفسيهما ابنه فيديبيديس أما هو فسوفه ينسحب ولا يشرح لنا سبب هذا الانسحاب ولو اننا ــ كما سبق ان ألمحنا ــ يمكن ان نتبين السبب وهــو أنـــه طالمـــا سيكون ستربسياديس وابنه فيديبيديس والمنطقان حاضرين فى المشهـد التالي فلا مجال لوجود ممثل خامس بل ان الممثل الرابع نفســه ــ الذي كان يقوم بدور سقراط ــ هو المطلوب لاداء الدور الخامس أي دور أحد المنطقين . ولكن هذا الممثل لن يكون لديــه الوقت الكافى لتغيير ملابسه وكان من المفروض أو المتوقع أن يتدخــل الشاعر المؤلف باغنية للجوقة تكون فرصة سانحة للممثل الرابع لكي يغير ملابسه ويعود بعد انتهاء الاغنية للمشهد . ومن المحتمل انه كانت هناك في النص الاول المعروض عام ٤٢٣ ق.م أغنيـــة للجوقة حذفها اريستوفانيس بهدف المراجعة ولكنه نسى أو لـم يتمكن من وضع أغنية أخرى بديلة . وهناك تعليق قديم على بيت رقم ٨٩٩ يؤكد هذه الفكرة ويقول ان المنطقين قد حملا الى داخل المسرح فى قفصين كما لو كانا ديكين متحاربين . ويبدو أن الاغنية المحذوفة والتي كانت موجودة فى النص الاصلي كانت توحـــي بصورة الديكين المتحاربين ومن هنا جاءت الفكرة الواردة فى التعليق المذكور . ومن المحتمل ان تكون النسخة الاصلية معروفة ايــان العصر الهيللينستي لان هناك نصوصا بردية تتحدث عن « السحب الثانية » وليس من المعقول ان يكون هناك حديث عن الطبعـــة الثانية للسحب ما لم تكن « السحب الاولى » أي الطبعة الاولـى معروفـــة . (١١)

* * *

الحـــــواشي

١ ــ حاربت جزيرة ساموس ــ الواقعة في البحر الايجي متاخمة لساحل آسيا الصغرى ــ تحت لــواء العـــدو الفارسى اكسركسيس في معركـــة سلاميس الشهيرة (٤٨٠ ق.م) ولكنها لم تلبث ان تحولت لتحارب فى الصفوف الاغريقيــة ضد الغزاة الفارسيين ثم اصبحت عضــوا فى حلف ديلوس وخضعت لاثينا وان تمتعت بقدر م نالاستقلال الذاتي حتى ثارت على هذا الحلف عام ٤٤١ ق.م تلك الثورة التـــي اشترك بريكليس نفسه في اخمادها .

٢ ــ A. Lasky Coschichte der Griechischen Literatur (Zweite neu bearbeitore und erweiterte Auflage 1963) P. 592

وقد رجعنا الى الطبعة الثانية للترجمة اليونانية الحديثــة لهذا الكتاب الذي قام بها تسوباناكيس A. G. Tsopanakis .

٣ ــ أقيمت في أثينا مهرجانات أربعة مسرحية لديونيسوس هي : مهرجانات ديونيسوس (الديونيسيا) الريفية ، اللينايا ، الانثيستيريا ، مهرجانات ديونيسوس (الديونيسيا) المدنية اي التي تقام فى مدينة أثينا نفسها . راجع مقالنا «مهرجانات احياء المسرح الاغريقي » بمجلة الكاتب العدد ١٧٣ (أغسطس ١٩٧٥ ، ص ١٥٤ ــ ١٦٠ والعدد ١٧٤) (سبتمبر ١٩٧٥) ص ١٥٥ ــ ١٦٠

٤ ــ اشترك فى الحروب البلوبونسية وقتل عام ٤١٤ ق.م أثناء حصار سيراكيوز المشئوم (ثوكيديديس ، الكتاب السادس) ويشيد اريستوفانيس نفسه ببطولته في مسرحياته الاخـيرة رغم انه كان قد سخر منه بمرارة فى مسرحية « الاخارنيون » كعسكري جعجاع متبجح .

٥ ـ M. Biobeb History of Greek and Roman Theatre (Princeton 1959) fig. 79

٦ ـ قائد اسبرطة الذي برز منذ بداية الحروب البلوبونيسية فى عام ٤٣١ ق.م وهو الذي فاجأ وهزم كليون المتمركز بجيشه فى مدينة امفيبوليس عام ٤٢٢ ق.م ولكنهما ماتا معـــا في هذه المعركة التي تعد من أهم المعارك الحاسمة فى الحروب البلوبونيسية (توكيديديس . الكتاب الرابع والخامس)

٧ ـ بيلليوميروفون هو حفيد البطل الاغريقي المشهور فى الاساطير سيسيفوس كان يقضي بعض الوقت في ضيافـــة بروتيوس ملك أرجوس عندئذ وقعت زوجة الاخير فى حب الشـــاب الضيف الجميل فلما صدها واعرض عنها واحتقر عروضها الشائنة اتهمته لدى زوجها . واحتراما لاصول الضيافـــة فى الكرم أي الملك أن يعاقب ضيفه تحت سقف قصره فأرسله الى صهره يوباتيس ومعه رسالة تطلب من الاخير قـــتل حاملها (وهي الرسالة التي يقول عنها هوميروس « علاقات قاتلة » ويشك البعض فى انها حروف ابجدية لان فن الكتابة لم يكن شائعا ابان الفترة التي يتحدث عنها هوميروس أي الفترة الثالثة من العصر الموكيني أي مـــن ١٤٠٠ ـ ١١٢٠ ق.م. على أية حال فان يوباتيس عمل بما جاء فى رسالـــة بروتيوس أرسل بيلليروفون الى الوحش الاسطوري الفتاك خيمايرا الذي له رأس أسد وجسم جدي وذيل تنين ولم يستطع بيلليروفون ان يتغلب على هذا الوحش ويدمره الا بمساعدة الحصان المجنح بيجاسوس الذي طار به بعد ذلك صوب السماء .

٨ ـ كانت لبانديون ملك أثينا الاسطوري ابنتان بروكني وفيلوميلا تزوج تيريوس ملك طراقيا من الاولى ولكنه شغف بجمـــال الثانية فأرسل الى صهره فى طلبها متظاهرا بموت زوجته . فلما وصلت فيلوميلا غرر بها تيريوس او اغتصبها عنـــوة وقطع لسانها حتى لا تفوه بسره وتفضح أمره . ولكنهـــا استطاعت ان تنسج قصتها بدقة على قطعة مـــن القماش المطرز ارسلتها الى اختها فما كان من بروكني الا أن هبت

لنجدة اختها وللانتقام من زوجها الخائن تيريوس فذبحت بيدها فلذة كبدها منه وقدمته طعاما سائغا لابيه الذي ما ان اكتشف سر هذه الوجبة البشعة حتى طارد الاختين وعندما استل سيفه ليقتلهما حولته الالهة الى هدهد وحولت بروكني الى عندليب وفيلوميلا الى طائر الخطاف (أو السنونو) .

٩ ــ هو شاعر اثيني ازدهر في أواخر القرن الخامس ق.م كتب اناشيد ديثورامبية كانت الى جانب افكاره الاعتادية ومظهره الخارجي مثار سخرية معاصرية وتهكم شعراء الكوميديا وعلى رأسهم اريستوفانيس الذي تحدث عنه في مسرحية « الطيور » (بيت ١٣٧٧) و « ليسيستراتي » (بيت ٨٦٠) و « برلمان النساء » (بيت ٣٣٠) و « الضفادع » (بيت١٤٣٧) وكذلك في شذرة رقم ١٩٨ .

١٠ ــ كان ثراسيبولوس قائدا عسكريا وزعيما سياسيا في أثينا. نفاه الطغاة الثلاثون الى طيبة حيث التف حوله سبعون منفيا احتل بهم عام ٤٠٤ ق.م حي فيلي الاتيكي الواقع على جبل بارتيس بالقرب من أثينا . فلما ازداد عدد أتباعه وصاروا الفا احتل ميناء بيريه ثم هزم قوات الطغاة الثلاثين وعاد الى أثينا مع قواته بعد استعادة الديمقراطية . لعب دورا بارزا في الحرب الكورنثية وقاد اسطولا أحرز به بعض الانتصارات في عام ٣٨٨/٣٨٩ ق.م ولكنه كان يعاني من نقص الامدادات واضطر جنوده لسلب أهالي مدينة أسبيندوس مما جعلهم يقتلون تراسيبولوس في خيمته . لقد كان قائدا قديرا ولكن كان يعيبه انه كان يعيش بأحلام الماضي فلم يستطع ان يستوعب حقيقة ان سياسة أثينا الامبريالية قد ولى عهدها وان المدينة نفسها لم تعد قادرة على تحمل تبعاتها .

١١ ــ عن خصائص فن اريستوفانيس الكوميدي نحيل القاريء الى المراجع التالية :

M. J. Dover' Aristophanic Comody' Univarsity of California Press. Berkleley and Los Angels' 1972

V. Ehrenberg' The People of Aristophanes.
A Sociology of Old Athic Comedy. Rasil
Blackwell — Oxford 1951

وعن « السحب » وصورة سقراط فيها نوصى بقراءة المقال التالـــــي :

Eric A. Havelock' The Socratic self
is parcdied in Aristophanes (Clouds)
yale @@ Classical Studies XXII (1972) . 4 pp 1-18
unuA6uyegaassrol.f—eib—p'nlnsaiU xfiflffffi 12345 ?

* * *

العنـوان الأصـلي باللغـه اليونـانية
طبعـة أكسـفورد

ARISTOPHANIS

COMOEDIAE

RECOGNOVERVNT
BREVIQVE ADNOTATIONE CRITICA INSTRVXERVNT

F. W. HALL
COLLEGII DIVI IOHANNIS BAPTISTAE SOCIVS ET TVTOR

W. M. GELDART
COLLEGII SANCTAE ET INDIVIDVAE TRINITATIS
APVD OXONIENSES SOCIVS

TOMVS I

ΝΕΦΕΛΑΙ

OXONII
E TYPOGRAPHEO CLARENDONIANO

فهرست

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
١	ـ مانويل جاليتش	● سمك عصير الهضم
٢	ـ جان انوى	● القبرة (جـان دارك)
٣	ـ هـال بورتر	● البرج
٤	ـ تسـاو يـو	● عاصفة الرعد
٥	ـ هارولـد بنتر	١ ـ الخـادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ـ جـون وبستر	● الشيطانة البيضاء
٧	ـ تيرانس راتيجـان	● الاسكندر المقدونى أو قصة مغامرة
٨	ـ تييري مونييـه	● سباق الملوك
٩	ـ جون مورتيمر	● استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ـ فريدريش دونيمات	● النيـــازك
١١	ـ يونسكو ـ داموف ـ ارابال ـ البـــي	● دراما اللامعقول
١/١٢	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليـــا ٢ ـ الاب
١٣	ـ نيقوس كازندزاكى	● عطيل يعـود
١٤	ـ بيتر فايس	● انشودة انجولا
١٥	ـ اوليفر جولد سميث	● تواضعت فظفرت
١/١٦	ـ موليـــير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسـة الزوجات ● ارتجاليـة فرسـاي
١٧	ـ دوجلاس ستيوارت	عسكر ولصوص اونيد كيللي
١٨	ـ وليم شكسبير	● العـين بالعـين
١/١٩	ـ أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢ ● الطريق الى دمشق ـ ثلاثية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
٢٠	رومان رولان	● ١٤ يوليـو
٢١	انجس ويلسون	● شجرة التـوت
٢٢	تيرانس راتجان	● روس أو لورانس العرب
٢٣	كارون دي بومارشيه	● حـلاق اشبيلية
٢٤	وليم شكسبـير	● هاملـت
٢٥	نويل كوارد	● الحياة الشخصية
١/٢٦	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ــ ١
		● نســاء تراخيس
١/٢٧	جبريـل مـارس	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ــ ١
		١ ــ رجل اللـه
		٢ ــ القلوب النهمـة
٢٨	انريكي خارديل بونثلا	● ليلة ساهرة من ليالي الربيع
٢/٢٩	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ــ ٢
		١ ــ الاقــوى
		٢ ــ الربــاط
		٣ ــ الجرائـم
		٤ ــ موسيقــى الشبــح
٣٠	بيتر شافر	● اصطياد الشمس
١/٣١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ١
		١ ــ حكايــة فاسكــو
		٢ ــ السيـد بوبـل
٣٢	هـ. و. فيرمان	● انتصار حـورس
١/٣٣	جورج برناردشو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ــ ١
		١ ــ بيـوت الارامـل
		٢ ــ العـابث
٣٤	فرناندو ارابـال	● ثلاث مسرحيات طليعية
		١ ــ قرافـة السيارات
		٢ ــ فانــدو وليــز
		٣ ــ الشجرة المقدسـة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيــــة
٣/٣٥	ـ سوفوكـــل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢ ١ ـ اوديب الملــك ٢ ـ اوديب في كولــون ٣ ـ اليكتـــرا
١/٣٦	جان جيرودو	(من الاعمال المختاة) جان جيرودو ـ ١ ١ ـ اليكتـــرا ٢ ـ لن تقع حرب طروادة
١/٣٧	ـ يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنيــة الصلعـــاء ٢ ـ المـــدرس ٣ ـ جـــاك او الامتثـــال ٤ ـ المستقبل فى البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	ـ كوبر ـ تشيرشل ـ شارب ـ ● مـــانج	مسرحيات اذاعيــة
٢/٣٩	ـ جبرييـــل مارســـل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ رومـــا لم تعـد في رومـا ٢ ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)
٤٠	ـ انطون تشيخــوف	١ ـ شيطـــان الغابـــة ٢ ـ الخـــال فانيـــا
٢/٤١	ـ جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهـــاجر بريسبـــان ٢ ـ البنفســـج
١/٤٢	ـ لويجي بيرنــدلو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ١ ١ ـ ديانـــا والمشـــال ٢ ـ الحيـــاة عطـــاء ٣ ـ لـــذة الامانـــة
٤٣	ـ جيمس جويس	١ ـ ستيفـــن ((د)) ٢ ـ منفيون

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
٤/٤٤	أوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الفرمـــاء ٢ ـ الامـــيرة البيضــاء ٣ ـ عيـــد الفصـــح
٣/٤٥	سوفوكـــل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونـــة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت
٣/٤٦	جان جيردو	(من الاعمال المختارة) جان جيردو ـ ٢ ١ ـ ســدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايــو
٣/٤٧	يوجـين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايـــا الواجب ٢ ـ مرتجلـــة المـــا ٣ ـ سفـــاح بـــلا كراء
٢/٤٨	جبرييــــل مارســـل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ٣ ١ ـ طريق القمـــة ٢ ـ العالـــم المكســـور
٤٩	البي شيزجـــال	١ ـ الحلم الامريكي ٢ ـ الطابعان على الآلـــة
٥٠	ارمان سالاكرو	١ ـ الارض كرويـــة
٢/٥١	جورج برنارد شـــو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ـ ٢ ١ ـ الســـلاح والانســـان ٢ ـ كانديـــدا ٣ ـ رجـــل القادير
٥٢	هارولـــد بنتر	● الحـــارس
٥٣	مارتنيس دي لاروزا	● ابن أمية او ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	● ماساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بايبخو	● القصة المزدوجة للدكتور بالمي
٥٦	يوربيديس	● الكتـــرا ● اورستيس

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٥٧	فيكتور هيجو	● هرناني
٥٨	ليو تولستوي	● المستنيرون
٣/٥٩	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ٣
		١ ـ سجاناريل
		٢ ـ المتحذلقات المضحكات
		٣ ـ مدرسة الازواج
		٤ ـ الطبيب الطائر
		٥ ـ غيرة الباربوييه
٦٠	روبرت شيروود	● الطريق الى روما
٦١	فيليب باري	● المهرجون
		● قصة فيلادلفيا
٦٢	ماكس فريش	● قصة حياة
٦٣	جون جي	● اوبرا الصعلوك
٦٤	دنيس ديدرو	● الابن الطبيعي
٥/٦٥	اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٥
		١ ـ رقصة الموت
		٢ ـ الطريق الكبير
٦٦	وليم ساروبان	١ ـ أيام العمر
		٢ ـ سكان الكهف
٦٧	اندريه شديد	١ ـ العارض
		٢ ـ بيرنيس المصرية
٢/٦٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) بيرندلو ـ ٢
		١ ـ المعصرة
		٢ ـ اداء الادوار
		٣ـ ابو زهرة بفمه
٦٩	البير كامي	حالة طوارىء
١/٧٠	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ١
		١ ـ حياة جاليليو
		٢ ـ طبول فى الليل
٧١	جراهام جرين	● غرفة المعيشة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيــــة
٢/٧٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ــ ٣
		١ ــ المستاجر الجديـــد
		٢ ــ اللوحـــة
		٣ ــ الخرتيت
٢/٧٣	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ــ ٣
		١ ــ السفـــر
		٢ ــ سهـــرة الامثـــال
٧٤	ثورنتون وايلـــدر	● نجونا باعجوبة
٢/٧٥	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) جورج برنارد شو ــ ٢
		١ ــ تلميـــذ الشيطان
		٢ ــ هدايـــة القبطان براسباوند
٧٦	وليـــم شكسبيـــر	● الملـــك لـــير
٧٧	وول شوينكـــا	● الطريـــق
٧٨	الكسي اربوزف	● عزيزي مارات المسكين
٧٩	هوجو فون هوفمانزتال	● زفـــاف زبيـــدة
١/٨٠	جـــون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ــ ١
		١ ــ ميـــاه بابـــل
		٢ ــ رقصـــة العريف
٨١	رومـــان رولان	● روبسبير
٨٢	سنكـــا	● اوديـــب
١/٨٣	يوجين اونيـــل	(من الاعمال المختارة) يوجين أونيل ــ ١
		١ ــ ظمـــأ
		٢ ــ عبودية
		٣ ــ ضبـــاب
		٤ ــ مبحرون شرقا الى كارديف
		٥ ــ في المنطقة
		٦ ــ بـــدر على البحر الكاريبي
٨٤	جان كوكتـــو	١ ــ فرســـان المائـــدة المستديرة
		٢ ــ الابنـــاء الاشقيـــاء
٨٥	تيرانس راتيجـــان	١ ــ تلم الفرنسية بلا دموع
		٢ ــ المر المضيء

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــة
٨٦	فدريكو غرسيا لوركا	● العرس الدمـــوي
٨٧	كالدرون دي لاباركا	● الحيـــاة حلـــم
٨٨	وليم شكسبيـــر	● يوليوس قيصر
٨٩	يوريبيديس	١ ـ الفينيقيـــات
		٢ ـ المستجيـــرات
٩٠	الكسندر استروفسكي	● لكـل عـــالم هفـــوة
١/٩١	جون ملينجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ١
		١ ـ ظـــل الوادي
		٢ ـ الراكبون الـــى البحر
		٣ ـ زفـــاف السمكري
		٤ ـ بئر القديســـين
٢/٩٢	جون ميلنجتون سنج	(من الاعمال المختارة) جون ميلنجتون سنج ـ٢
		١ ـ فتى الغرب المدلـــل
		٢ ـ ديردرا فتـــاة الاحزان
		٣ ـ عندما غـــاب القمر
٩٣	آرثر ميللـــر	١ ـ كلهـــم ابنائـــي
		٢ ـ الثمـــن
٢/٩٤	برتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٢
		١ ـ اوبرا القروش الثلاثـــة
		٢ ـ لوكلوس
		٣ ـ بعـــــل
٩٥	وليم شكسبيـــر	● تيمون الاثيني
٩٦	كارلو جولدوني	● خادم سيدين
٩٧	اوجين لابيش	● رحلة السيد بريشون
٤/٩٨	لويجي بيرندلو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٤
		● فتـــاة في سن الزواج
		● مشاجرة رباعيـــة
		● تخريف ثنائـــي
		● الثغـــرة
		● لعبـــة المـــوت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيـــــة
٣/٩٩	لويجي بيرندلـــو	(من الاعمال المختارة) لويجي بيرندلو ـ ٢ ١ ـ ست شخصيات تبحث عن مؤلف ٢ ـ كل شيـخ لـه طريقـة ٣ ـ الليلـــة نرتجـــل
١/١٠٠	تشيكا ماتســو	(من الاعمال المختارة) تشيكا ماتسو ـ ١ ١ ـ انتحار الحبيبين في سونيزاكي ٢ ـ معـــارك كوكسينجـــا
٢/١٠١	يوجين اونيـــل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٢ ١ ـ وراء الافـــق ٢ ـ انـــا كريستي
٢/١٠٢	جون آردن	(من الاعمال المختارة) جون آردن ـ ٢ ١ ـ الحريـــة المغلولـــة ٢ ـ صعـــود البطـــل
١٠٣	وليم شكسبير	● ماســـاة عطيـــل
١٠٤	جالنز كوبر.كولين فينيو	١ ـ الطلبـــة المشاغبـــون ٢ ـ قبـل يـوم الاثنـين الموعود ٢ ـ الليلـــة يـــوم الجمعـــة
١/١٠٥	برانيسلاف نوشيتش	١ ـ حرم سعـــادة الوزير ٢ ـ الدكتـــور
١/١٠٦	دنيسن جونستون	١ ـ من المسرح الايرلندي ـ القمر فى النهـر الاصفر
١٠٧	تيرانس راتيجـــان	١ ـ بينما تسطـــع الشمس ٢ ـ المهرجـــون
١٠٨	فرانسواز ساجـــان	● الحصـــان المغمى عليـــه ● الشوكـــة
٣/١٠٩	تشيكا ماتســـو	(من الاعمال المختارة) تشيكاماشو ـ ٢ ● الصنوبرة المجتثـــة ● انتحـــار الحبيبين فى آميجيما
٣/١١٠	بروتولت برشت	(من الاعمال المختارة) برتولت برشت ـ ٣ ● الام شجاعـــة ● السيد بنتـــلا وخادمـــه ماتي

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحيــــة
١١١/٥	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٥ ● الغضب ● الملك يموت ● العطش والجوع
١١٢	وليم شكسبير	● العاصفة
١١٣	وليم كونجريف	● هكذا الدنيا تسير
١١٤	الفونسو ساستري	● الدراما الثورية الاسبانية ● فصيلة على طريق الموت ● النطحة ● الكمامة
٣/١١٥	يوجين اونيل	(من الاعمال المختارة) يوجين اونيل ـ ٣ ١ ـ مرحلة الواقعية الاولى ٢ ـ رغبة تحت شجر الدردار
١١٦	جان كوكتو	● الآلة الجهنمية
١١٧	يوهان فلفجانج جيته	● جيتس فون برلشنجن
١١٨	جان راسين	● ماساة طيبة او الشقيقان فيدر
١١٩	جان انوى	● ليوكاديا
١/١٢٠	جاك اوديبرتي	● الشر يستطير ● الصابرون
٢/١٢١	جاك اوديبرتي	● مضيفة النزلاء
٢/١٢٢	بويرو باييفو	● اسطورة دون كيشوت ١٩٦٨
٣/١٢٣	بويرو باييفو	● حلم العقل
١٢٤	وليم شكسبير	● مكبث
١٢٥	جوزيف اوكونر	● القيثارة الحديدية
١/١٢٦	ادواردو دي فيليبو	١ ـ عائلتي ٢ ـ الاشباح
١٢٧	جيمس بروم لين	● الزملاء الثلاثة
١٢٨	برانيسلاف نوفيتس	(من الاعمال المختارة) برانيسلاف ● ممثل الشعب

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٢٩	آرثـر ميللر	● الناشزون
١/١٣٠	ايفـان سرجيفتش فوجنيف	● العائلـة ● خيال مريض
١٣١	روبرت بولت	● الكرز الزهـر
١٣٢	يوهان فلنجانج جيته	● توركواتوتاسـو
١٣٣	المـر رايس	● مشهـد في الطويـق
١٣٤	وليـم كونجريف	● حبـا بحـب
١٣٥	روبرت بولت	● تحيـا الملكـة
١٣٦	الفريد دي موسيه	● لورانـز الشـو
١٣٧	يوجين اونيل ـ ٤	من الاعمال المختارة ● الامبراطور جونز ● الفوريلا
١٣٨	سينيكا	● هرقل فوق جبل أوبتـا
١٣٩	موس هارت جورج كوفمان	● دنيـا زوال
١٤٠	لبير كورنى	١ ـ ميليت ٢ ـ السيد
١٤١	دونا ماكونا	● فنزه فى الخلاء أو ● العجوز المراهق
١٤٢	برانسيسلاف نوشينس	● المستر دولار
١٤٣	جورج كيلى	● زوجة كريج
١٤٤	كارلو جولدونى	١ ـ التطلع الى المصيف ٢ ـ مغامرات المصيف ٣ ـ العودة من المصيف
١٤٥	فريدرش شلر	● اللصوص
١٤٦	ميجيل ميورا	● ثلاث قبعـات كوبـا
١٤٧	جون فورد	● القلب المحطـم
١٤٨	ت. س. اليوت	● جريمـة قبـل فى الكاتدرائيـة
١٤٩	ت. س. اليوت	● حفـل كوكتيـل

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٥٠	كارل توكماير	● نقيب كوبينيك
١٥١	يوجين اونيل ــ ٥	● الاله الكبير براون
١٥٢	فرديناند اويونو ماورلد كمل	مختارات من المسرح الافريقي ــ ١ ١ ــ الخادم ٢ ــ الزنزانة
١٥٣	ايفان تورجينيف	● شهرفي القرية
١٥٤	فرانس جريليا رتسر	● الجدة الاولى
١٥٥	برانيسلاف نوشيتس	● المرحوم
١٥٦	روبرت بولت	● النمر والحصان
١٥٧	موريز سبارك	● حملة الدكتوراه
١٥٨	فريدرش شلر	● فلهلم تل ١٨٠٤
١٥٩	ادواردو دى فيليبو	● عيد الميلاد فى بيت كوبيللو
١٦٠	كاريل تشابيك	من مسرح الخيال العلمى ــ ١ انسان روسوم الآلي
١٦١	تولستوى	● أول من صنع الخمر ليلـة تبكي الملائكة
١٦٢	بيتر ليرسون	زواج لوترو هاديك
١٦٣	جول رومان	● سلطان الظلام
١٦٤	ايفان تورجينيف ــ ٢	● الاعزب
١٦٥	فدبريكو غريسيه لوركا	الانسة روزيتا العانس أو لغة الزهور
١٦٦	يوريبيديس	١ ــ افيجينيا في اوليس ٢ ــ افيجينيا فى تاوريس
١٦٧	يوريبيديس ٤	٣ ــ أندروماخى ٤ ــ الطروا‌ديات
١٦٨	فرانس جزيلبارتسر ــ ج ٢	● سابفو
١٦٩	ادواردو دى فيليبو	● أصوات الاعماق
١٧٠	رجب تشوسيا	● أبو الهول الحي

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٧١	ايفان تورجينيف ـ ٤	● الريفيـــة
١٧٢	المر ل. رايس	● الآلـــة الحاسبـــة
		من المسرح الافريقي ـ ٢
١٧٣	جيمس نجوجي	● الناســـك الاسود
	سام توليا موهيكا	● ولـــد للمـــوت
	توم أومارا	● الخـــروج
١٧٤	ديتر فورته	● مصرع كاسبرهاوزر
١٧٥	الكسندر استروفسكى	● الغابـة
١٧٦	جول رومان	● الدكتاتور
١٧٧	أنطونيو جالا	● خاتمان من اجل سيدة
١٧٨	أوجو بتى	● انحراف فى قصر العدالـــة
١٧٩	نيجل دنيس	● اغسطس من أجل الشعب
١٨٠	يوريبيديس ـ ٥	● عابدات باخوس
١٨١	يوريبيديس ـ ٦	● ايـــون
١٨٢	يوريبيديس ـ ٧	● هيبوليتوس
١٨٣	طوباز	● مارسيل بانيول
١٨٤	راى برادبورى	من مسرح الخيال العلمى ـ ٣
		● عمود النـــار
		● الكلايدوسكوب
		● نفير الضبـــاب
١٨٥	اوجو بتي	● جريمة فى جزيرة الماعز
١٨٦	بيير كورنى	● ميديـــا
١٨٧	كليفورد اوديتس	● الفتى المذهب
١٨٨	تانكرد دورست	● عصر الجليد
١٨٩	بيير كورنى	● الكـــذاب
١٩٠	جون جولزود ذى	● العدالـة
١٩١	الفريد جارى ـ ١	(من الاعمال المختارة)
		● أوبو ملكـــا

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩٢	الفريد جاري ـ ٢	(من الاعمال المختارة) ● اوبو عبدا
١٩٣	الفريد جارى ـ ٣	(من الاعمال المختارة) ● اوبو فوق التل ● اوبو زوجا مخدوعا
١٩٤	ماكسويل اندرسون	ما ثمن المجد ؟
١٩٥	لوبى دى بيجا	● نجمة اشبيلية
١٩٦	عزيز نسين	● وحش طوروس ـ ١
١٩٧	عزيز نسين	● افعل شيئا يامت
١٩٨	كوبينا سكيى	من المسرح الافريقى ـ ٣ ● المتعامون
١٩٩	كويسى كاي	من المسرح الافريقي ـ ٤ ● هرج ومرج في المنزل
٢٠٠	شكسبير	الجزء الاول من حكاية ● الملك هنري الرابع
٢٠١	هنريك ابسن ـ ١	من الاعمال المختارة ● الاشباح
٢٠٢	هنريك ابسن ـ ٢	من الاعمال المختارة ● البطة البرية
٢٠٣	هنريك ابسن ـ ٣	من الاعمال المختارة ● اعمدة المجتمع
٢٠٤	ادواردو دي فيليبو	نابولي مليونيرة .
٢٠٥	توماس دكر	● عطلة الاسكافي
٢٠٦	فرناندو ارابال	أو اغنية القطار الشبح الحبل المتهدل
٢٠٧	مارسيل بانيول	● ماريوس
٢٠٨	تولستوي	● جثة حية .

تابع ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٠٩	كليفورد أودتيس	الارض الحرام
٢١٠	هارولد بنتر	السكين الكبير
٢١١	الكسندر استروفسكي	مذنبون بلا ذنب
٢١٢	يوجين أونيل ـ ٤	رحلة النهار الطويلة خلال الليل
٢١٣	ادوارد بيرسي وريجينالد دنهام	سيدات متقاعدات
٢١٤	جون جولزوردي	الهارب
٢١٥	أريستوفانيس	السحب ـ ١

مـن الاعـداد القادمة

١٩٨٦ ـ ١٩٨٧

المؤلف	المسرحية	المترجم
من المسرح الافريقي :		
كويسي كاي كوبيناسكي	ضحك وصخب في المنزل المتعاملون	د. نايف خرما
وول سوينكا وول سوينكا ويل سوينكا	مجانين واختصاصيون الموت وفارس الملك السلالة القوية	د. على حسين حجاج د. سليم الاسيوطى
من مسرح الخيال العلمي :		
ج كوفمان ، م. كونيلي	شحاذ على صهوة جواد	د. طه محمود طه
صوفي تريدويل	الآلية او ماكينال	يوسف الشاروني
من المسرح العالمي :		
كليفورد اوديتس	السكن الكبير	د. امين العيوطى
لوبي دي بيجا	نجمة اشبيلية	د. صلاح فضل
ماكسويل اندرسون	آلهة البرق	محمد الحديدى
ابسن	الاشباح ـ البطه البرية	د. عبد الله عبد الحافظ
تولستوي	جثـة حية ـ والضوء يسطع في الظلام	د. فوزى عطيه محمد

تابع من الاعـداد القادمة

المؤلف	المسرحية	المترجم
ادواردو دى فيليبو	نابولى مليونيرة	د. سلامة محمد سليمان
هارولد بنتر	الأرض الحرام	الشريف خاطر
فرناندو ارابال	اغنية القطار الشبح	د . محمد السرطيبلى
شون اوكيسى	المحراث والنجوم - ورود حمراء من اجلى - ظل مقاتل - نهاية البداية .	فوزى المنتيل حسين اللبودى
اريستوفانيس	السحب	د. احمد عثمان
شكسبير	هنرى الرابع	د. فاطمة موسى
مارسيل بانيول	ماريوس	محمود فريد زعزع
توماس دكر	عطلة الاسكافى	خالد عباس
جون جولزوراى	الهارب	د. داود السيد
عزيز نسين (من المسرح التركى)	وحش طوروس افعل شيئا يا « مت »	جوزيف ناشف

المترجم : د • أحمد محمد عتمـان ، من مواليــد محافظــة بني سويف ـ ج•م•ع ، حصل على الدكتوراه من جامعة أثينا • عمل استاذا مساعدا بالمعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت • ويعمــل حاليا استاذا مساعدا بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة • ترجم وراجع بعض المسرحيات اليونانية واللاتينية للسلسلة • له دراسات منشورة باليونانية والعربية في الأدب المقارن والمسرح •

المراجع : د • عبد اللطيف أحمد علي ، من مواليد ج•م•ع• استاذ علم البردى بقسم الدراسات اليونانية واللاتينيـة بجامعــة القاهرة • عمل رئيسا للقسم عام ١٩٦٣ وعميدا بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٦٣ ـ ١٩٧٠ • وعمل استاذا بجامعة الكويت • نشـر وثائق في التاريخ اليوناني والروماني والأساطير والأدب •

الاشتراكات

الجهة	قيمة الاشتراك	
	ف.	د.
البلاد العربية	٠٠٠	٣
البلاد الاجنبية	٥٠٠	٢

تحول قيمة الاشتراك بالدينار الكويتي لحساب وزارة الاعلام بموجب حوالة مصرفية خالصة المصاريف على بنك الكويت المركزي ، وترسل صورة عن الحوالة مع اسم وعنوان المشترك الى :

المكتب الفني
ص.ب (١٩٣)
الكويت

وزارة الاعلام

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بايا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبي	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الاردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	٢٠٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

في العدد القادم

السحب ــ ٢

تاليف : اريستوفانيس **ترجمة : د. احمد عتمان**

في هذا العدد ــ وهو الجزء الثـاني والاخير ــ يجد القارىء نص المسرحية مع معجم للاعلام الاسطورية والتاريخية .

تعتبر مسرحيـة **السحب** من نصوص النقد الادبي القيمة النادرة التي وصلتنا من التراث الادبي اليوناني القديم ، اذ يتمتع مؤلفها بقدرة فائقة على الغوص في اعماق النصوص الادبية وله مهارة خاصة في عقد المقارنات بين الشعراء ورسم مشاهد فريدة من المساجلات الادبية بينهم حول مسائل فكرية عويصة ، بأسلوب فكاهي ساخر وخلاب .

يقول د. عبداللطيف احمد علي في مقدمته :

« اننا لا نعرف شيئا موثوقا عن طبيعة العلاقة الشخصية بين هذا الشاعر وسقراط ، وهل كانت حسنة ام سيئة ؛ ومن ثم لا نستطيع ان نقطع برأي فيما اذا كان نقده اللاذع نابعا من نية طيبة او قصد خبيث ... ان الصورة الهزلية التي يرسمها الشاعر لسقراط لا تكشف الا القليل عن حقيقة الفيلسوف » .

في هذا العدد

السحب ـ ١ **تأليف : اريستوفانيس**

ترجمة : د. احمد عتمان

لمسرحية **السحب** اهمية خاصة فى تاريخ المسرح العالمي لأسباب عدة منها ان المؤلف اريستوفانيس هو احد كبار الشعراء الذين عرفهم الفن المسرحي الكوميدي على مر العصور .

وتدور مسرحية **السحب** حول شخصية فذة هي شخصية « سقراط » ، الفيلسوف الشهير الذي ترك بصمات واضحة على مسار الفكر الانساني كما تعكس **السحب** احوال أثينا فى الشطر الاخير من القرن الخامس قبل الميلاد .فهي تتعرض بالنقد والسخرية للحياة الثقافية آنذاك ، وتلقي ضوءا ساطعا على الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى تلك المدينة .

في هذا العدد يجد القاريء دراستين ـ الاولى تاريخية بقلم الاستاذ الدكتور عبداللطيف احمد علي والثانية أدبية بقلم الاستاذ **الدكتور أحمد عتمان** . فى العدد القادم تصدر السلسلة النص المترجم مع معجم للاعلام الاسطورية والتاريخية .